تحية الاقلام

لمؤتمر المجمعيين

انعقدت في بغداد بين العشرين من شهر تشرين الثاني المنصرم والتاسع والعشرين منه دورة مجمع اللغة العربية الثانية والثلاثين بدعوة من المجمع العلمي العراقي ، وبالاشتراك معه في دورته الحاضرة ، ووفد الى بغداد بهذه المناسبة الكريمة عدد من افاضل علماء اللغة والادباء والشعراء من أعضاء المجمع يمثلون الوطن العربي الذي تجمع بين اقطاره آصرة من أقوى أواصر الوحدة ، تلك هي (اللغة العربية) التي جمعتهم من قبل في دورات عديدة في القاهرة ، وتجمعهم اليوم في دورتهم هذه ببغداد ، وسوف تجمعهم غدا وبعد غد في عواصم عربية غير القاهرة وبغداد باذن الله .

ولئن كانت بغداد قد حظيت بشرف انعقاد أول دورة للمجمع تنعقد في غير مقره ، فانها لتعتز بما حياها به الوافدون من اعضائه ، وانها لتحييهم بتحيتهم وتزيد عليها أن تفتح لهم قلبها الكبير الذي وسع العربية في ماضيها وحاضرها وأخلص لطارفها وتليدها وذب عن حياضها ودفع عن أقداسها ومازال يذب ويدفع .

و (الاقلام) التي تقف في بغداد وقفتها الصامدة في هذا الميدان يسعدها ان تتقدم الى حماة لغة القرآن وسدنة كعبتها في كل بقعة من بقاع الوطن العربي الكبير باطيب تحياتها وأجمل تمنياتها لهم بالنجاح في مؤتمرهم والتوفيق في أعمالهم ، وعلى الرحب والسعة في هذا البلد الامين ؟

التحرير

كلمة السيد رئيس الوزراء

ارتجل السيد رئيس الوزراء كلمة في حفل افتتاح المؤتمر جاء فيها :

أيها الاخوة الكرام

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، وحمدا لله الذي كرم الانسان وحمل ذريته في البر والبحر وزاد في تكريم هذه الامة حين جعل كتابه الكريم بلسان عربي مبين وجعل هذا الكتاب ذكرى للنبي المصطفى وأمته المختارة ، وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون .

وبعد فاحمد الله اليكم أيها السادة الخالدون أعضاء المجمع اللغوي العربي حين قبلتم دعوة المجمع العلمي العراقي لعقد مؤتمركم الثانية والثلاثين في بغداد ، بغداد عاصمة المنصور والرشيد والمأمون ، بغداد « يا موئل الامل القديم ومبعث الامل الجديد » كما قال المرحوم علي الجارم أحد الخالدين من سلفكم طيب الله ثراه .

بغداد الذي ما أظن احدا منكم الا وقد قال فيها في سره أو علنه ، في ظاهره أو باطنه في عقله الواعي أو الباطني ما أظن أحدا منكم الا ردد قول ابي تمام :

في الشام أهلي وبغـــداد الهوى وانا
بالرقمتـــين وبالفسطاط أخوانـــي

ولا أحسب أن عربيا حيثما يكون في بغداد أو القاهرة أو الرباط أو صنعاء – في أقصى مشرق العروبة أو اقصى مغربها ، انه حيث يكون في حاضرة من حواضر عالمنا العربي الا ويحيي من أعماق نفسه انه بين ذويه وأهله فلست أرى أن ارحب بكم وانتم بين اهليكم ومواطنيكم ولكن أشعر بالفخر أن يتاح لي أن ارحب بكم وأشعر بهذا الفخر اضعافا مضاعفة حين تكون هذه المهمة قد عهدت الي نيابة عن السيد رئيس الجمهورية المشير الركن « عبدالسلام عارف » الذي يعرف لكم قدركم ويعرف الجهد المشكور الذي تبذلونه في الحفاظ على هذه اللغة وبقائها حية نامية متطورة وافية بمتطلبات هذا العصر من علوم وفنون وآداب ومخترعات واني على يقين كما اني أعتقد انكم قادرون على الوصول بهذه اللغة الكريمة التي اختارها الله تعالى لتكون قادرة على أن تفي بكل هذه المتطلبات ، وانكم بعملكم الدائب وجدكم المستمر واعمالكم المشكورة بالغون الهدف ، واني لعلى علم أن الكثيرين من الذين

يعلمون ما تعملون وما تلقون من عظيم المشقة ومدى الجهد الذي تبذلونه ، واني على يقين كذلك اننا سندرك جميعا يوما عظيما بقدر هذه الجهود المشكورة المباركة وانكم باذن الله بعملكم هذا تقيمون لا اللغة العربية وحدها من حيث هي أداة للتعبير وواسطة للحفاظ على التراث ولكن باعتبارها الدعامة الاساسية التي عليها قوميتنا وأمتنا العربية ٠

والقومية ايها السادة هي أولا وقبل كل شيء لغة القوم ، وستبقى العروبة ، وستبقى الامة العربية كما قال أحد زملائكم السالفين المرحوم شفيق غربال « وستبقى الامة العربية بخير ما بقيت اللغة العربية في خير »٠

فانتم تعملون لهذه الامة ولغتها أحسن عمل وأرصن عمل ، تقيمون دعائم هذه الاداة لوحدة أمتنا ٠

أن الروابط التي تربطنا أيها السادة لا حصر لها ، ولكن لغتنا تلك هي أقوى الروابط واثبتها على الدهر ٠ هذه هي اللغة التي عبر عنها شاعرنا الرصافي بقوله :

وتجمعنا جوامع كبريات ... واولهن سيدة اللغات

على أن هذا المعنى لم يختص به الرصافي ، فقد سبقه اليه كثيرون من شعراء العربية ولعلنا نجده في قول أحد الشعراء :

فنحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام اخوان

ونحن في واقع الحال أخوة ، لاننا أولا وقبل كل شيء ابناء لغة واحدة ٠٠ الامة الواحدة هم أبناء اللغة الواحدة حينما تصبح تلك اللغة لغة وجودهم وحين تصبح اللغة تراثهم وحين تصبح اللغة حضارتهم وادابهم ومشاعرهم ٠

فنحن بهذه اللغة سنقيم وحدتنا وبالحفاظ عليها وبالعمل الدائب من أجلها نحقق وحدتنا ٠

فلست أريد ان أطيل وأن أكرر القول فيما انتم به عارفون ولكن حبي لهذه اللغة ــ وانا أحد تلامذتكم المعجب بالجهد الصادق الذي تقومون به ــ دفعني الى أن أقول ما قلت ٠

ومرة أخرى أكرر الشكر خاصة لاخواني الذين تجشموا مشاق السفر ولا أقول وعثاء السفر بعد الاجنحة وطائرات الهواء ، ولكن أقدم الشكر على تفضلكم بالحضور في هذه الفترة بعد ثلث قرن من حياة مجمعكم العتيد الخالد ، سدد الله خطاكم وابقاكم حفاظا وسندا لهذه اللغة الكريمة وسدد الله خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله ٠

مجمع اللغة العربية في بغداد

ابراهيم مدكور

هذه أول مرة يجتمع فيها مؤتمر مجمع اللغة العربية خارج القاهرة ، وليس بغريب أن يتم ذلك في بغـــداد ، حاضرة الدنيا ، وملتقى الثقافات العالية الكبرى في صدر الدولة العباسية • ففيها التقت الثقافة الهندية الفارسية بالثقافة اليونانية الرومانية ، وامتزجت كلها في الثقافة العربيـة الاسلامية • واليها جلبت ذخائر العلم من الشرق والغرب ، وسرعان ما ترجمت على اختلاف مصادرها وتنوع موضوعاتها • فترجم عن الهندية والفارسية ، كما ترجم عن العبرية والسريانية ، وعرب كل ما وقعت عليه اليد من اليونانية • ولا نزاع في أن حركة الترجمة العباسية مثل فريد في تاريخ النهضات العلمية قديما وحديثا •

وفي القرن التاسع الميلادي أضحت بغداد أهم مركز ثقافي في العالم ، عرف قبل أن تعرف باريس واكسفورد ، وازدهرت فيهمــا شتى العلوم والفنون ، من تفسير وحديث وفقه ، ولغة ونحو وصرف ، وطب وفلـــك ورياضة ، ومنطق وفلسفة ، وغناء وموسيقى ونقش وتصوير ، وانتشرت المكتبات العامة الخاصة ، وتنافس المتنافسون في اقتناء الكتب والذخائر • وتنوعت حلقات الدرس والبحث في الدور والمساجد ، ونشطت الانديـة العلمية في قصور الخلفاء والامراء ، وأثير فيها ما أثير من جدل ومناظرة • وتقابلت المدارس اللغوية والفكرية ، واصطرعت الاراء والمذاهب • وأصبحت بغداد كعبة يحج اليها الباحثون والدارسون ، ينهلـــون من حياضهـا ، ويستنيرون بضوئها ، ولا تكاد تكتمل ثقافة شخص الا ان قضى فيها زمنا •

وبغداد اليوم بنت بغداد الامس ، تشيد الصرح ، وترفع ألوية العلم والثقافة ، كلها حياة ويقظة ، وهمها نهوض وتقدم ، فيها درس وبحث ، واختراع وابتكار • تسعى جاهدة الى ربط الحاضر بالماضي ، واستعادة مجد الاباء والاجداد ، وقد خطت في ذلك أفسح الخطوات • تؤمن الايمان كلـه بالعزة القومية والكرامة الوطنية ، وتعتد بلغتها وعروبتها ، وتنشد لهما مجدا لا يفنى وازدهارا لا يبلى •

١ ـ المجمع والناطقون بالضاد :

ولاجتماعنا اليوم هنا دلالة أخرى ، وهي أن القومية العربية لا تقف

عند وطن ، ولا يحدها اقليم أو سيادة ، انما هي رمز العرب جميعا مهما تعددت دولهم وتباعدت أوطانهم ، وفي الحق أن مجمع اللغة قام أول ما قام باسم العربية ومن أجلها ، ولم يلحظ فيه أن يكون مؤسسة وطنية ٠ ونص في مرسوم انشائه على أن يتكون من عشرين عضوا من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية ، دون تقيد بجنس أو وطن ، وهذا مبدأ لم يؤخذ به في المجامع الاخرى ٠ وقد احترم تطبيقه كل الاحترام ، فكان نصف اعضاء المجمع الاول من المصريين ، والنصف الاخر من العرب والمستعربين ٠ وكان من العرب العراقي والسوري واللبناني والتونسي ، وكلنا يذكر الاب انستاس الكرملي لغوي العراق الكبير الذي يعد بين أعضاء المجمع المؤسسين ، وله فيه بحوث ودراسات خالدة ٠

وعلى مر الزمن زاد اعضاء مجمع اللغة العربية ، واحتفظ فيهم دائما بنسبة لغير المصريين ٠ ونص في التشريع الاخير لسنة ١٩٦٠ على ان يشتمل المجمع على ٤٠ عضوا من المصريين ، و ٢٠ من البلاد العربية ، وأصبح برلمانا عربيا وافر العدد ، يجتمع مرة كل عام على الاقل ، وله أن يجتمع في غير القاهرة من العواصم العربية ، ويسعدنا أن انضم الينا منذ زمن عضوان عاملان عراقيان ، وعالمان جليلان ، وهما يساهمان معنا مساهمة جادة ومخلصة في خدمة الادب واللغة ٠ وبين اعضاء المجمع المراسلين عدد وفير من علماء العراق الاجلاء ، وكثيرا ما أمدوه ببحوثهم الممتعة ٠ وان في دعوة المجمع العلمي العراقي الى عقد هذا المؤتمر لدليلا على أخوة صادقة وتعاون وثيق في سبيل العربية ٠

ب ـ مجمع اللغة والمجامع الاخرى :

سيداتي ، سادتي :

ان مجمع القاهرة ثالث ثلاثة من المجامع العربية وهو يتوسطها زمنا ، يسبقه مجمع دمشق بثلاث عشرة سنة ، ويليه مجمع بغداد بنحو هذه المدة ٠ ومنذ قيامه وهو على اتصال وثيق بهما ، يتبادل معهما الرأي والمشورة ، والكتب والمطبوعات ، وفيه أعضاء مشتركون في كليهما ٠ وفي عام ١٩٦٢ أنشىء مكتب التعريب بالرباط ، لكي يتعهد حركة الترجمة والتعريب في المغرب ، ويسعدني أن أقرر أنه فيما اقترح من معجمات ـ يأخذ بكل ما اقره مجمع اللغة العربية من مصطلحات ، ولا يكاد يخرج عنه الا في القليل النادر ٠ وما أجدر هذه الصلات أن تزداد توثيقا ، وتوحيدا للجهود ، وتعاونا على الهدف المشترك ٠

ولقد اثير أمرها منذ زمن ، وأريد بها أن تسمو الى فكرة الوحدة أو الاتحاد ٠ ففي عام ١٩٥٣ قدم الى مؤتمر وزراء المعارف العرب اقتراح بانشاء « مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء ، ويحل محل

المجامع الاقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد وتكون مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية » • وأحيل هذا الاقتراح على اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، ورأى مكتبها الدائم صرف النظر عنه ، « لان المجامع الموجودة يعاون بعضها بعضا ، وفيها أعضاء مشتركون في أكثر من مجمع منها ، والجامعة العربية بصدد انشاء اتحاد علمي عربي يهدف الى جمع شمل العلماء والهيئات العلمية في البلاد العربية » • ووافق مجلس الجامعة على ذلك عام ١٩٥٥ ، على أن تعقد مؤتمرات دورية لتوحيد أعمال المجامع الثلاثة • وفي سبتمبر سنة ١٩٥٦ عقد بدمشق أول مؤتمر للمجامع العلمية واللغوية العربية ، ومن أهم قراراته انشاء اتحاد للمجامع العلمية واللغوية العربية ، ينظم اتصالها ، وينسق اعمالها • وتكون هذا الاتحاد فعلا ، وان لم يخط خطوات تذكر ، ولم يعقد الا اجتماعا واحدا • وما ذاك الا لان الاتحاد نفسه يستلزم وحدات اقليمية يقوم عليها ، ولذلك لم ينضم الى عضويته الا أربع من البلاد العربية • ومن حسن الحظ أن تكون الاتحاد العلمي العربي ، وهو يتابع اعماله بانتظام ، ويعقد مؤتمراته من حين لاخر ، ويغذي مجمع اللغة العربية دون انقطاع بما ينتهي اليه من قرارات • وتحت اشراف الجامعة العربية الان لجان منبثقة من الاتحاد العربي للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وتهدف الى وضع المصطلحات المتصلة باختصاصها ، ويعاونها مجمع اللغة العربية ما وسعه •

ومع هذا عادت فكرة ربط المجامع بعضها ببعض مرة أخرى ، وفي الحاح على أثر استقلال شمال افريقيا ، وشعوره بالحاجة الماسة الى تعريب أجهزته الثقافية والادارية والسياسية • وفي عام ١٩٦١ دعت الحكومة المغربية والامانة العامة لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر للتعريب ، يعنى ببحث مشاكل العربية والتعريب ، ويرمى الى تحقيق توحيد أعمال المجامع العلمية واللغوية ، وتنسيق جهودها لكي يسهل تعريب العلم وجميع مظاهر الحضارة ، فتسير الحياة العلمية في العالم العربي سيرا حثيثا تنافس به أمثالها في البلاد المتقدمة • وأوصى هذا المؤتمر بأمرين هامين : أولهما انشاء مكتب دائم للتعريب بالرباط ، وثانيهما انشاء مجمع عربي موحد ، وجاء نص التوصية الاخيرة كما يلي : « يتطلع المؤتمر الى وقت قريب يتحقق فيه للامة العربية مجمع واحد ، الى جانب مجمع لكل قطر » • وفي عام ١٩٦٤ عرض المؤتمر الثاني لوزارة التربية العرب الذي عقد ببغداد لهذا الموقف ، واكتفى بأن أوصى بتأليف لجنة عليا من المجامع الثلاثة ومكتب التعريب ، يعهد اليها بتنسيق جهود المجامع وتوحيدها ، طبقا لقرارات المؤتمرات العربية السابقة •

ويظهر أن مكتب التعريب ، في نشاط الشباب ، يحاول وحده أن يستحث الخطى ، فأعد نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه المجمع الوطني ، وبعث

به الى البلاد الراغبة أمثال : تونس ، والمملكة العربية السعودية ، والسودان، وكون أخيرا ما سماه « لجنة التنسيق المجمعية » ، للنظر فيما يرد الى مكتب التعريب من توجيهات وملاحظات تبديها المجامع والمجالس العليا ، تهدف الى اصدار مجموعة موحدة من المصطلحات العلمية والفنية • وتتكون هذه اللجنة فقط من أعضاء من اخواننا المغاربة ، وبعض الاسـاتذة السوريين المقيمين في الرباط ، وكأنما أطرحت جانبا المجامع المشيخة ! وما أشبهها بالمحكمة العليا في الادب واللغة التي قيل عنها بالنسبة للاكاديمية الفرنسية ؟

وليس شيء أحب الى نفوسنا جميعا من أن يقوم في كل بلد عربي هيئة أو هيئات علمية وأدبية ، وبعبارة أدق أن يقوم مجمع علمي أو لغوي متى توافرت اسبابه ووسائله ، وفي هذا ولاشك ما ينهض باللغة والعلم العربي نهضة قوية شاملة • وكلنا يذكر ذلك العصر الذهبي للعلوم الاسلامية الذي كانت تتنافس فيه المدن العربية الكبرى بعضها بعضا ، فمن قرطبـة الى القيروان ، ومن القيروان الى القاهرة ، ومن القاهرة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد ، ومن بغداد الى الرى وأصفهان ، وكم خلفت هذه المدن من آثار خالدة وكنوز علمية قيمة • وها هى تلك المنافسة النافعة تعود سيرتها الاولى ، وأخذت العواصم العربية الكبرى تباهي بثمارها وانتاجها الادبي واللغوى ، وفي ذلك كله حياة حقة للادب واللغة ، وازدهار للعلم والمعرفة •

ج ـ المجمع الموحد :

أما فكرة المجمع الموحد أو المشترك ، ففيها ما يستأهل النظر قليلا ، فان أريد بها مجمع على غرار القاهرة فيبدو لي أن لا غبار عليه • ولكن هل هناك ما يدعو الى التكرار والازدواج في وقت نرى فيـه ضرورة التلاقي والاتحاد ،لاسيما وفي مجمع القاهرة عشرون مقعدا لممثلي البلاد العربية لم يملأ منها حتى الان الا أربعة عشر ، وقد خلا واحد منها أخيرا بوفاة العالم الجليل محمد البشير الابراهيمي ممثل الجزائر • وكم نود مخلصين ان تملأ هذه المقاعد كلها ، كي تتضافر جهود علماء العربية جميعا على خدمة الادب واللغة • ولست في حاجة ان اشير الى أن أعمال مجمع القاهرة المتصلة بمادة اللغة أو أصولها لا تصبح نهائية الا ان أقرها المؤتمر ، كي تحظى باجماع المتخصصين من أبناء الضاد •

وان أريد بفكرة المجمع الموحد هيئة أدبية ولغوية عليا تقضي وتبرم ، وتحلل وتحرم ، وتفصل وحدها في شؤون اللغة على اختلافها ، فهذا ما لا يتفق وطبيعة البحث والدراسة ، ولا يلائم سير العلوم وتقدمها • ولن يكون في وسعها أبدا أن تفرض على الناس ما لم يريدوه ويذهبوا اليه بانفسهم • وهل استطاع مجمع القاهرة أو مجمع بغداد ان يلزم الكتاب والعلماء بمـا يراه ، ان في مصر أو في العراق ؟ فكيف يتأتى ذلك لهيئة تخاطب العالـم

العربي بأثره • واقترح مرة على مجمع اللغة العربية أن تكون قراراته ملزمة ، وأن يصدر بها تشريع يوجب الاخذ بها • ومن الخير أن لم يقبل هذا الاقتراح ، لانه أولى بالعلم أن يفرض نفسه بنفسه ، وأن يسير الناس وراءه رغبة لا رهبة • وأنى لنا بتشريع في اللغة يطبق على الباحثين والدارسين في بلد ما ، فضلا عن البلاد العربية كلها •

وعندي أن نشر الكتاب العربي وتداوله بين القراء من أنجع الوسائل لتوحيد المصطلحات وتثبيت اللغة العلمية • وللمجاميع في هذا شأن غير قليل ، ولم تكن يوما مظهرا لتعصب أو تحزب ، ولا داعية خلاف أو فرقة • ويخرج مجمع اللغة العربية كل عام مجلدا يشتمل على ما يقره مؤتمره من مصطلحات ، وتكاد تزيد على الالف بانتظام • وقد أخرج في السنوات الاخيرة سبع مجلدات فيها ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألف مصطلح عدا ما نشره قديما في المجلة والمحاضر أو في كراسات مستقلة • ومما يؤسف له أن توزيع الكتب في العالم العربي غير منتظم وتبادلها غير ميسر ، وكم من كتب تصدر في بغداد مثلا ولا تعرفها القاهرة • وما أحوجنا أن نعالج هذه الناحية علاجا أدق وأحكم ، ونحن نعرف مدى سرعة انتشار الكتاب الاوربي وتداوله في الايدي ، فلا يكاد يظهر في بلد الا وينقل الى الاخرى • والمصطلح الفرنسي مثلا يفرض نفسه في فرنسا وبلجيكا وجزء من سويسرا ، وعلى كل الناطقين بالفرنسية ، لانهم يعرفونه ويقرءونه ويكتبونه •

واجتماعنا هنا وسيلة أخرى هامة من وسائل توحيد المصطلحات العلمية والقضاء على الفوارق اللغوية ، وهو ولاشك صورة من صور اتحاد المجامع الذي دعي اليه منذ عشر سنوات او يزيد • وكم يطيب لعلماء العربية أن يلتقوا من حين لاخر ، ان في الرباط والجزائر ، أو في دمشق وبغداد ، وفي لقائهم درس وبحث ، وتمحيص وتحقيق ، وسير باللغة دائما الى الامام •

ونحن نعيش في عصر التعليم والثقافة الشعبية ، في عصر الصحافة والسينما ، في عصر الاذاعة والتلفزيون • فتكافح الامة وينشر التعليم في مختلف البلاد العربية ، ويقرأ الاطفال والشبان ويكتبون في لغة سهلة وأسلوب هين • وتنشر الكتب الشعبية وسلاسل القراءة المبسطة ، ويطبع منها عشرات بل مئات الالاف • وتتبادل الصحافة اليومية والاسبوعية والشهرية بين المدن والعواصم ، وبيننا كتب وأدباء ينتمون الى العالم العربي بقدر ما ينتسبون الى وطن خاص • والفلم العربي أصبح ذا رسالة أدبية ولغوية الى جانب رسالته الفنية والاجتماعية ، وللاذاعة والتلفزيون شأنهما في تقويم النطق وتقريب بعضه من بعض •

هذا هو العالم العربي اليوم ، وهذه هي اسباب اتصاله الثقافي واللغوي • ولا ننس تبادل الاساتذة والمدرسين بين البلاد العربية في مراحل

التعاليم المختلفة ، وكلهم يكتبون العلم والفلسفة والتكنولوجيا بلغة عربية واضحة ، ويدرسون بها هذه المواد في الجامعات والمعاهد العليا ، فضلا عن المدارس الابتدائية والثانوية • وفي كل ذلك ما يوثق الوشائج بين الناطقين بالضاد ، ويقضي على كثير من فوارق اللهجات •

د ـ العربية بين الامس واليوم :

سيداتي ، سادتي

ان العالم يسير ، والتطور سنة من سنن الحياة لا تتخلف • وما اللغة الا قطعة من الحياة ، نشأت فيها ، وسارت معها ، ولذا تجيء صورة للمجتمع الذي يتخاطب بها ، تنهض بنهوضه ، وتركد لركوده • وتاريخ اللغات مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارات على اختلافها • ويزداد تطور اللغات كما ازداد انتشارها وكثر المتكلمون بها ، لانها تدخل في صراع مع لغات ولهجات جديدة ، فتكشف عن القوى الكامنة فيها وعوامل بقائها •

ولقد مرت العربية بهذا الصراع قديما ، وخرجت منه ظافرة منتصرة • ثم جاءت عليها مرحلة ركود طويلة ، عاشت فيها على الماضي وحده ، وليتها استعادته على وجهه ، بل كثيرا ما شوهته ولم تضف اليه جديدا • وها هي تعود الى هذا الصراع مرة أخرى ، وعلى أشده ، فهناك مستحدثات حضارية علمية وفنية لابد لها أن تؤيدها وتحسن أداءها ، وهناك لغات تنازعها البقاء ، ولابد لها أن تقاومها وتنتصر عليها • والدلائل قائمة على أنها تحظى بنصر لا يقل عن نصر الامس ، فهي تطرد اللغات واللهجات المزاحمة ، وتحرص على أن تعبر عن العلم والحضارة في دقة ووضوح • ولا تقنع بأن تكون مجرد لغة وطنية أو قومية ، بل تأبى الا أن تكون لغة عالمية ، لها علمها وأدبها ، يؤخذ من غيرها •

وتصادفنا اليوم بعض الصعاب اللغوية ، ونحن ننشر العلم ونريد بالناس جميعا أن يكتبوا ويقرأوا ، وأخصها كتابة العربية ورسم حروفها ، مرونة متنها ووفاؤها بحاجات العلم والحضارة ، تيسير نحوها وصرفها • وقد بذلت في ذلك جهود لا سبيل الى نكرانها ، وخطونا خطوات لها شأنها •

فاثبت خط الرقعة ملاءمته للكتابة اليدوية ، وأخذ يحل محل الخطوط الاخرى • وانا لنقرأ اليوم جميعا أكثر مما نكتب ، ويزداد عدد من يستخدمون الآلات الكاتبة باطراد ، ومن بينهم من لا يكاد يلجأ الى قلمه الا عند امضائه• وهبطت صور صندوق الطباعة من ٦٠٠ الى ٥٠٠ في الجمع اليدوي ، ونحو ٣٠٠ في الجمع الآلي ، وهي سائرة الى نقص أعظم ، فتصبح نحو ١٣٥ فقط ، على نحو ما أقره مجمع اللغة العربية ، وتقترب بذلك كل القرب من صور حروف الطباعة اللاتينية التي يبلغ عددها ١١٥ • وييسر الاملاء ما أمكن ، فوضعت قواعد سهلة لكتابة الهمزة والالف اللينة • وأنزل رسم الحروف من

عرشه ، وقدرناه القدر اللائق • وأذكر أن طالبا رسب في العربية منذ عهد غير بعيد ، بسبب « سنة » ، وما أغلاها حتى ان كانت من ذهب ! والواقع أنا أصبحنا وليس لدينا متسع من الوقت لمشاكل الهجاء والعقد الاملائية • وحاول مجمع اللغة العربية منذ نشأته ان يضع قواعد لكتابة الاعلام الاجنبية وانتهى في ذلك الى مبدئين هامين : أولها أن يكتب العلم الاجنبي كما ينطق به في لغته الاصلية ، اللهم الا ما اشتهر بنطق خاص قديما أو حديثا ، وثانيهما أن في الحروف العربية ما يؤدي الاصوات الاجنبية ، بزيادة حرفين اثنين هما الباء والفاء الثقيلتان •

ولا حيلة للغة بدون ابتكار الفاظ جديدة تواجه سير الزمن ومستحدثات التطور ، وتغذي متن اللغة ، وتسد الحاجة • وهذا الابتكار هو ما يسمى بالوضع ، وسبله بوجه خاص اشتقاق وقياس وتعريب • والعربية لغة اشتقاقية ، وفي الاشتقاق ما اكسبها مرونة ومناعة في آن واحد ، فسمح لها بخلق الفاظ جديدة ، وحافظ على ثروتها ، وحماها من الشطط • وانا نشتق اليوم مما كان يرى بالامس انه لا يشتق منه ، فنشتق بوجه عام من أسماء الاعيان والجواهر ، ونكون ما تدعو اليه الحاجة من المصادر الصناعية ، ونكمل المادة اللغوية • ونتوسع في القياس ما أمكن ، فنقيس صيغا جديدة للدلالة على الصوت أو المرض أو الحرفة أو الآلة ، وتعدى الثلاثي بالهمزة او التضعيف باطراد ، ونقول بقياسية افعال المطاوعة • وفي الاشتقاق والقياس ما جعل اللغة اداة طيعة في أيدي الادباء والعلماء ، ومكنهم من وضع الالفاظ الملائمة للدلالة على المعاني المختلفة • ولا بأس من أن نلجأ الى التعريب ان دعا اليه داع ، وقد عرب القدماء ، وفي لغتنا العلمية والحضارية معربات امتلكناها وأصبحت من ثروتنا اللغوية ، وعلى هذا تسير اللغات العالمية الكبرى •

وليس ثمة نحو صادف من العناية ما صادفه النحو العربي ، وهو دون نزاع أثر رائع من آثار العقل العربي • اعتمد في الجملة على ملاحظة دقيقة وفهم واسع ، واستنباط سليم ، وأخذ بالمنطق ما أمكن • ولم يرق نحو قديم و حديث الى مستواه ، على أن اللغات الحديثة أميل بوجه عام الى اختصار نحوها والوقوف به عند أضيق الحدود الممكنة • غير أن النحاة غلوا في فلسفة النحو ، وتفننوا في العلل ، واستخدموا العلة الواحدة في اثبات الشيء وضده ، وتوسعوا في « التوجيهات النحوية » • وأثارت هذه الفلسفة ما أثارت من نقد قديما وحديثا ، واقترنت نهضتنا المعاصرة باستنكار للعلل النحوية ، وكثيرا ما كانت موضوع تنادر وفكاهة • وأشير الى ضرورة تخليص النحو من فلسفته ، ودرسه في ضوء الشواهد الادبية والعبارات الحية ، وبذلت في ذلك جهود شتى ساهم فيها أفراد وجماعات • ومن أخصها ما قامت به وزارة المعارف المصرية عام ١٩٣٠ ، فقد شكلت لجنة خاصة لتيسير قواعد النحو والصرف ، أنتهت الى طائفة من المقترحات التي تصوب الى صميم قواعد النحو

والصرف ، وتهون من أمر الاعراب على الناشئين ، وما أشبه النحو الذي رسمته بأجرومية بعض اللغات الحية كالفرنسية والانجليزية . وقد أقر مجمع اللغة العربية هذه المقترحات كلها تقريبا . ثم وضعت أخيرا كتب لتطبيقها والكشف عن أهدافها ، وبدأ التلاميذ يتعلمون النحو الميسر ، ولا يفوتنا أنه سبقتها كتب « النحو الواضح » لعلي الجارم ، وهدفها جميعا أن تيسر قواعد النحو على صغار المتعلمين . ولا نزاع في أن التيسير أخذ سبيله ، وان اعترضته بعض الصعاب . وأصبحنا نؤمن بأن ملكة اللغة تكتسب بالقراءة والحفظ أكثر مما تكتسب بالضابط والقاعدة ، وأن النحو لغير المتخصصين ليس علما يقصد لذاته ، وانما هو وسيلة من وسائل تقويم اللسان والقلم . وما أغنى صغار التلاميذ عن الاحاجي اللغوية والالغاز النحوية .

وفي هذا كله ما يؤكد لنا أن اللغة العربية سائرة سير الزمن نفسه ، وأن أدبها اصبح ينافس الآداب العالمية . في شعرها خيال بديع ، ونسج محكم ، ووحدة متصلة ، وتصوير خلاب لخلجات النفس وآيات الطبيعة وظواهر المجتمع ، وبين الشعراء المعاصرين فحول لا يقلون عن شعراء العصر العباسي الاول . وفي نثرها تحرر وانطلاق ، ووضوح وسهولة ، وتعليل ومنطق ، وافكار ومعان ، لا مجرد صيغ وعبارات . وفيه أيضا ألوان جديدة ، كالقصة والرواية ، والبحث والمقالة ، وبين كتاب اليوم من يذكرنا بعبد الحميد وابن المقفع ، أو بالجاحظ ومحمد بن عبدالملك الزيات .

هـ ـ مؤتمرنا هذا :

سيداتي ، سادتي

ان في مؤتمرنا هذا ، فوق ما أشرنا اليه ، معنيين هامين : أولهما انه مؤتمر مجمعين لا مجمع واحد ، ويسعدنا أن نلتقي هنا باخواننا أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وسيجدون أمامهم نماذج من أعمال مجمع القاهرة في المعجمات والمصطلحات والاصول اللغوية . ولا يساورني شك في أن سيسفر هذا اللقاء عن دروس نافعة وملاحظات قيمة ، وسير باللغة الى الامام دائما . وفوق هذا نحن في مؤتمر شبه شعبي ، تكاد جلساته العامة تعادل جلساته الخاصة ولنا في الجلسات العلنية سنة متبعة ، ولكنا لم نصعد بها الى هذه النسبة الا في مؤتمر بغداد ، حيث يتسابق جمهور المثقفين الى سماع أحاديث العلم والادب ، وسيستمعون الى دراسات عميقة وبحوث ممتعة ، وليس شيء أحب الى نفوسنا من أن نتحدث باسم الشعب في قاعة الشعب .

ولم يبق لي الا أن اتجه باسمي واسم زملائي اعضاء مجمع اللغة العربية جميعا بخالص الشكر الى السادة اعضاء المجمع العلمي العراقي على كريم دعوتهم وبالغ حفاوتهم ، وانهم ليلمسون عظيم تقديرنا ، ويحسون بمدى اغتباطنا . وسيبقى اجتماعنا هذا رمزا صادقا للتعاون والاخاء ، وأثرا خالدا في سجل الخالدين .

من المغرب الاقصى

عبد الله كنون

سيدي ممثل رئيس الجمهورية العراقية ، سادتي أعضاء مجمع اللغة العربية ، وأعضاء المجمع العلمي العراقي المضيف ، سيداتي ، سادتي :

أحييكم باسم المغرب والبلاد العربية عموما تحية العروبة الخالدة والاخوة الصادقة والايمان المشترك بالاهداف العليا لامتنا العربية الناهضة .

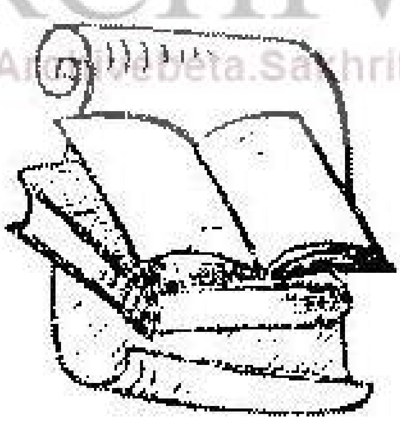
واني لاشعر بمزيد الغبطة والسرور أن اتاح لنا المجمع العلمي العراقي فرصة الاجتماع بهذا البلد الأمين في دورة استثنائية لمجمع اللغة العربية فمكننا من مشاهدة بغداد عاصمة الرشيد وعاصمة الحضارة العربية الزاهرة، وتحية أهلها وابنائها الذين هم في سويداء قلب كل عربي ، مشرقي أو مغربي لما أثلوا للعروبة من مجد وأبقوا لها من ذكر خالد على مر الايام والدهور .

ان دعوة العراق الكريمة لعقد مجمع اللغة العربية ببغداد تدل على ما يوليه هذا القطر الشقيق من عناية كبيرة للبعث العربي وتقدم اللغة العربية واحياء العهود الذهبية السالفة للامة العربية في العلوم والفنون والاداب . ومن أحق بذلك من العراق ؟ وماضيه في هذا الصدد على ما نعرف جميعا ليس له نظير ، فمدرستا البصرة والكوفة هما اللتان قعدتا قواعد اللغة العربية وأرستا بنيانها الشامخ . وفضل رجالهما في وضع المعجمات الاولى للغة العربية ، وأول كتاب جامع للنحو العربي ، لا ينكره أحد .

وأما بغداد فهي التي اذا ذكرت ، ذكرت حركة الترجمة والنقل من اللغات المختلفة الى اللغة العربية في العلم والفلسفة والطب والرياضيات والادب والحكمة والتاريخ والسياسة ، وهي التي بلغ فيها الادب العربي قمة مجده . وكبار شعراء العرب هم ممن عاشوا في ظلالها وبين رحابها . وتراث الفقه والعلوم الاسلامية الذي تخلف عنها هو مما نفاخر به جميع الامم . واذا كنا نحن العرب نذكرها بهذه الكنوز العلمية الطائلة ، فان هناك أيضا من يذكرها بلياليها الساحرة الجميلة التي تصور من مظاهر الحضارة وترف الحياة ما يعد اليوم اسرافا في الخيال . وكتاب ألف ليلة وليلة هو اللوحة الفنية الرائعة التي ترسم اسم بغداد في خلد كل من قرأه من عربي وأجنبي .

وان وفود البلاد العربية من أعضاء المجمع اللغوي اذا استجابوا لدعوة المجمع العلمي العراقي وحجوا الى بغداد في هذه الدورة الاستثنائية لمجمعهم ، فانهم انما يعبرون بذلك عما للعراق ، وبغداد خاصة في نفوسهم من مكانة سامية ، وحب وتقدير لهذا البلد الذي كان مدى أجيال عديدة قبلة العرب والمسلمين ، ومركز الدولة الحاكمة في بلاد الخلافة الشاسعة الاطراف ، ومشعل النور والعرفان الذي يستضيئون به في كل مكان ، وتستضيء به معهم الانسانية جمعاء •

واننا لنأمل أن تعود للأمة العربية تلك العصور المجيدة ، فتصبح وهي موحدة الكلمة ، موحدة الصف ، رافعة علم النهضة العلمية ، مؤدية للانسانية أعظم الخدمات في ميدان الخير والمعرفة ، والتطور المنشود ، وما ذلك على همم قادتها الابرار ، وابنائها الاحرار بعزيز والسلام •



خزانة المستنصرية

ناجي معروف

١ ـ خزائن الكتب البغدادية

لقد حفلت بغداد في العصر العباسي بعدد كبير من خزائن الكتب ودور العلم التي كانت تنشأ مستقلة ، أو في المساجد أو المدارس او الربط أو المنازل او في قصور الخلفاء والملوك والامراء والوزراء وبيوت العلماء والادباء والكتاب والمدرسين ٠

وكان لهذه الخزائن انظمة خاصة بالخزان والمشرفين والمناولين وادارة الاوقاف وبالمطالعة والاعارة والاستنساخ وابتياع الكتب وتجليدها وتزويقها ونقشها وتحليتها ، والاعتماد على النساخ الحذاق في صناعة النسخ ، والمهرة في الضبط ، والاجادة في التجليد ٠

ولعل بغداد لم تنافسها مدينة اسلامية أخرى في كثرة كتبها ومكتباتها لانها أولى المدن التي انشئت فيها الخزائن ودور العلم ، ولأن انشاءها كان في ابان ازدهار الحضارة العربية في البلاد الاسلامية ، ولم ينافسها فيما بعد الا قرطبة في الاندلس في خلافة الأمويين ، والقاهرة في خلافة الفاطميين فقد ذكر القلقشندي خزائن الكتب المشهورة فقال :

« قد كان للخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام ، وكمال اعتناء حتى حصلوا منها على العدد الجم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ٠ ويقال : ان أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن :

احداها ـ خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك الى أن دهمت التتر بغداد ، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، واعفيت آثارها ٠

الثانية ـ خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر ، وكانت من اعظم الخزائن ، واكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ٠٠٠ ولم تزل على ذلك الى ان انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم ، فاشترى القاضي الفاضل اكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة فبقيت

فيها الى ان استولت عليها الأيدي فلم يبق منها الا القليل ٠

الثالثة ـ خزانة خلفاء بني أمية بالاندلس ، وكانت من أجل خزائن الكتب أيضاً ٠ ولم تزل الى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الاندلس فذهبت كتبها كل مذهب» ٠

ثم قال : « واعلم ان الكتب المصنفة اكثر من ان تحصى ، وأجل من أن تحصر ، لاسيما الكتب المصنفة في الملة الاسلامية فانها لم يصنف مثلها في ملة من الملل ، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم ٠٠٠ » (١) ٠

ويمكننا أن نذكر ان مساجد بغداد زخرت بالكتب وحلقات التدريس كما يمكننا ان نقول : ان اكثر الخلفاء العباسيين كلفوا بجمع الكتب وبناء الخزانات ومكتبات الاشخاص التي زخرت بعشرات الألوف من الكتب وبخاصة خزائن المدارس حيث صار مؤسسوها ينقلون اليها الكتب من خزائنهم الخاصة لان المدارس التي ابتنوها كانت أمس اليها ٠

ومن أشهر هذه الخزائن :

١ ـ « خزانة الحكمة » أو « بيت الحكمة » أو « دار الحكمة » وهي خزانة الرشيد والمأمون ٠ وكان فيها خزان وكتاب ومترجمون مشهورون امثال : بني موسى بن شاكر المنجم وهم ثلاثة أخوة : محمد واحمد والحسن ٠ ثم يحيى بن أبي منصور المنجم المأموني ، ومحمد بن موسى الخوارزمي ، وسعيد بن هارون الكاتب ، وحنين بن اسحق العبادي : وابنه اسحق ، وابن اخته جيش بن الحسن الاعسم ، وثابت بن قرة ، وعمر بن الفرخان الطبري ٠

٢ ـ خزانة عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٢هـ ويصفها المقدسي بأنها : أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن في كل وجه ٠ وقد الصق الى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوت طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها الا وجيه» ٠

٣ ـ خزانة الناصر لدين الله العباسي : ويظهر انها كانت خزانة عظيمة نقل منها عدداً كبيراً من كتبها الى خزانة دار المسناة ، والى الرباط الخاتوني السلجوقي ، والى المدرسة النظامية ٠

٤ ـ خزانة المستنصر بالله : وهي الخزانة التي نقل منها فيما ذكره المؤرخون نحو ثمانين ألف كتاب الى خزانة المستنصرية ٠ ومن أشهر خزانها مدرس النظامية القاضي أبو محمد عبد الله البادرائي وضياء الدين أحمد ابن عبدالعزيز بن دلف الناسخ ٠

٥ ـ خزانة المستعصم : وكانت تتكون من خزانتين متقابلتين اختير لها كاتبان هما : الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب ، وصفي الدين

الأرموي أحد فقهاء الشافعية بالمستنصرية • وقد سلمت الأولى الى شيخ المستعصم العدل شمس الدين علي بن النيار ناظر المستنصرية وسلمت الخزانة الثانية الى صفي الدين الأرموي •

ومن أشهر خزائن الاشخاص :

١ ـ خزانة ابن النديم صاحب الفهرست •
٢ ـ خزانة الشريف الرضي صاحب « دار العلم » •
٣ ـ خزانة الشريف المرتضى •
٤ ـ خزانة ابي بكر الخطيب البغدادي •
٥ ـ خزانة ابن التلميذ •
٦ ـ خزانة ابن الجوزي •
٧ ـ خزانة ابن المارستانية التيمي البكري •
٨ ـ خزانة البرفطي الانصاري •
٩ ـ خزانة ابن النجار المؤرخ شيخ الحديث المستنصرية •
١٠ ـ خزانة صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي مدرس المستنصرية •••• الخ •

أما خزائن المدارس المشهورة فيمكننا ان نذكر منها :

١ ـ خزانة مدرسة ابي حنيفة التي انشئت سنة ٤٥٩هـ • ووقفت فيها كتب كثيرة قيمة • وكان فيها اكثر مؤلفات الجاحظ •

وكان من واجبات المدرس في مدرسة ابي حنيفة ان يثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها مارضة ذلك بفهرسته ، متطلباً ما عساه قد شذ عنها وأن يأمر خازنها بعد استصلاحه ، بمراعاتها ، ونفضها في كل وقت ، ومرمة شعثها ، وان لا يخرج شيئاً منها الا الى ذي أمانة ، مستظهراً بالرهن عن ذلك •

٢ ـ خزانة المدرسة النظامية • وقد افتتحت سنة ٤٥٩هـ وكان لها خزان ومشرفون حفلت باخبارهم كتب التراجم وقد جمع فيها نظام الملك مختلف الكتب كما ان الخليفة الناصر لدين الله أمر بعمارة الخزانة ونقل اليها من الكتب النفيسة الوفا لا يوجد مثلها •

٣ ـ خزانة المستنصرية : وهي التي خصصنا لها البحث في هذا الكتاب •

٤ ـ خزانة المدرسة البشيرية : انشأتها زوجة المستعصم وأم ولده محمد أبي نصر على المذاهب الاربعة • وافتتحت سنة ٦٥٣هـ وكانت كتبها لا تعار الا برهن حافظ لقيمتها •

وقد اشتملت هذه الخزائن على ألوف كثيرة من الكتب النفيسة في اصناف العلوم فقد ذكروا ان دار العلم في محلة الكرخ ببغداد وهي خزانة ابي نصر بن سابور بن اردشير وزير البويهيين سنة ٤١٦هـ كان فيها عشرة

آلاف واربعمئة مجلد منها مئة مصحف بخطوط بني مقلة .

واشتملت خزانة الشريف المرتضى على ثمانين ألف كتاب .

وكانت كتب الصاحب اسماعيل بن عباد تحتاج الى ٧٠٠ بعير لنقلها ويروى انها كانت ١١٤ ألف كتاب .

واشتملت خزانة القاضي الفاضل على ١٤٠ الف مجلد .

واشتملت خزانة ابن العلقمي على عشرة آلاف مجلد ... الخ .

وقد وقف كثير من العلماء كتبهم على مكتبات المدارس والمساجد من ذلك ان الخطيب البغدادي وقف كتبه على المسلمين .

وابن جزلة الطبيب البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ الذي وقف كتبه بمشهد الامام ابي حنيفة .

والشريف أبو الحسن الزيدي المتوفي سنة ٥٧٥هـ وقف كتبه قبل موته على المسلمين كافة بمسجده الذي كان يؤم فيه الناس في اوقات الصلوات بدرب دينار الصغير بسوق الثلاثاء .

ووقف أبو الخير صبيح عبدالله الحبشي المتوفى سنة ٥٨٤هـ كتبه في مسجد الزيدي .

كما وقف ابو الخطاب العليمي الدمشقي المتوفي سنة ٥٧٤هـ كتبه في هذا المسجد ايضاً .

ووقف ياقوت الحموي الجغرافي المؤرخ المتوفى سنة ٦٢٦هـ كتبه في مسجد الزيدي هذا ايضا .

ووقف ابن النجار المؤرخ شيخ دار الحديث المستنصرية المتوفي سنة ٦٤٣هـ خزانتين من كتبه على المدرسة النظامية كانت قيمتها تساوي ألف دينار .

ووقف فخر الدين الطبسي المعيد بالمستنصرية كتبه على خزانة المدرسة المستنصرية . وشرط فيها الذي شرطه المستنصر . واستفاد الناس بها .

ووقف صفي الدين عبد الحق الحنبلي مدرس المستنصرية كتبه على المدرسة المجاهدية وكانت أكبر مدارس بغداد في القرن الثامن الهجري .

٢ ـ خزانة المستنصرية وما بقي من كتبها

ان من أهم الأقسام العلمية في المستنصرية « دار الكتب » وكانت تسمى « خزانة الكتب » وكانت مرجعا عاماً لطلاب المستنصرية ، ومدرسيها وشيوخها ، كما كانت مرجعا لطلاب العلم ، والعلماء في خارج المستنصرية . ولطالما قصدها الكثير منهم ، وترددوا عليها ، وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمن . وتعد دور الكتب قديما وحديثا من أهم مستلزمات الدراسة الجامعية .

ولعل المكان الذي كانت فيه مكتبة المستنصرية يتكون من القاعات الكبيرة الواقعة في الحد الاسفل من عمارة هذه المدرسة ، يفصل بينها وبين مدرسة الفقه دهليز أو أزج طويل عال • وهذه القاعات ترتفع بارتفاع الطابقين • ولم تكن فيها نوافذ بل كان فيها كوى سقفية لا تزال عامرة تكفي للاضاءة والتهوية •

أما الكتب التي نقلت اليها فقد جاء في الحوادث الجامعة(٢) ان الخليفة المستنصر نقل الى هذه المدرسة يوم افتتاحها « من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية ، والادبية ما حملة مئة وستون حملا وجعلت في خزانة الكتب سوى ما نقل اليها فيما بعد » •

وقال السيوطي : « ان ما نقل الى خزانة المستنصرية مئة وستون حملا من الكتب النفيسة » (٣) • ثم رتب فيها الموظفون على اختلاف درجاتهم •

وجاء في عمدة الطالب ان المستنصر « أودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألف مجلد على ما قيل ! » (٤) •

وجاء في الحوادث الجامعة (٥) ، ان هذه الكتب قد رتبت بحسب الفنون ليسهل تناولها ، ولايتعب مناولها •

وقال الصديقي : وكانت خزانة كتبها عديمة المثل(٦) •

وقال ابن الفوطي : « والتي لم يوجد مثلها في العالم (٧) •

وقال ابن كثير ان المستنصر « وقف كتبا نفيسة ليس في الدنيا لها نظير (٨) •

وكانت بالخطوط المنسوبة الى اشهر الكتاب العرب او بالخطوط النفيسة الرائقة غير المنسوبة •

ولعل مكتبة المستنصرية كانت في القرنين السابع والثامن الهجريين أعظم دور العلم العامة ، وأشهرها في العالم ، ولا سيما في العهد الذي كان ابن الفوطي خازنا فيها ، على الرغم من كثرة الكتب التي انتهبها المغول منها ، فقد جاء في مختصر أخبار الخلفاء (٩) المنسوب لابن الساعي ان المغول « بنوا اصطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن » • وجاء في الحوادث الجامعة انّ نصير الدين الطوسي وصل الى بغداد سنة ٦٦٢هـ لتصفح الاحوال والنظر في أمر الوقوف والبحث عن الاجناد والمماليك ثم انحدر الى واسط والبصرة ، وجمع من العراق كتبا كثيرة لاجل الرصد(١٠) • وجاء في البداية والنهاية لابن كثير ان نصيرالدين الطوسي عندما بنى دار الرصد بمراغة « نقل اليه شيئا كثيراً من كتب الاوقاف التي كانت ببغداد » (١١) • وذكر الصفدي وابن شاكر ان نصير الدين « ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء ، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربعمئة ألف مجلد »(١٢) •

ذكر الذهبي : خزانة الرصد ، وخزانة المستنصرية فقال : « وليس في البلاد اكثر من هاتين الخزانتين » (١٣) .

فاذا كانت خزانة الرصد وهي التي تأسست بعد تأسيس المستنصرية بربع قرن تحتوي كما نقل ابن الفوطي على ٤٠٠ الف مجلد ، أو مصنف استطعنا ان ندرك مقدار الكتب التي كانت في خزانة المستنصرية وأهميتها وجلالة قدرها بالنسبة الى كتب خزانة الرصد بمراغة ، حيث يعتبر قول ابن الفوطي السابق شهادة قيمة تثبت انها كانت اعظم وأجل من خزانة دار الرصد ، على الرغم من عدم اطمئناننا الى هذه الاعداد الضخمة فيهما او في غيرهما بوجه عام .

ومن المستغرب جدا اننا لم نعرف من هذه الالوف المؤلفة من كتب المستنصرية التي وقفت عليها ، أو التي ألفت فيها لخزانتها أو للخليفة المستنصر أو التي ما تزال باقية حتى اليوم الا ما يأتي :

١ ـ نسخة من « ربيع الابرار » للزمخشري في دار الكتب الوطنية بباريس (١٤) مكتوب عليها : « الجزء الثالث من ربيع الابرار . الخزانة الشريفة المقدسة ، النبوية الطاهرة الزكية ، الامامية المستنصرية أعز الله بدوام دولة مالكها انصار الاسلام ، وجعلها باقية على الايام بمحمد وآله » .

٢ ـ كما ان ابن تغري بردي ذكر كتابا واحدا من الكتب التي كانت وقفا على المستنصرية فقد ذكر أن : طه بن ابراهيم بن أحمد بن اسحق الشيخ الامام زين العابدين ابا بكر البخاري ، الحنفي ، الفقيه العالم ، الزاهد ، المتوفى في حدود سنة ٦٥٠هـ له عدة مصنفات منها كتاب في الادبيات نحو العشرين مجلدا يشتمل على شعر وترسل ، وحكايات ، وغير ذلك ، كان بخطه وقفاً بالمستنصرية (١٥) .

٣ ـ كتاب في العروض كان في خزانة المستنصرية ببغداد وهو من املاء الشيخ جعفر محمد بن سعيد النحوي الموصلي (١٦) .

٤ ـ وقال عزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » (١٧) : وتقربت به الى الخزانة الشريفة ، المقدسة النبوية ، الامامية ، المستنصرية ، عمر الله تعالى بعمارتها أندية الفضل ورباعه . وطال بطول بقاء مالكها يد العلم وباعه ، وجعل ملائكة السماء انصاره واشياعه ، كما جعل ملوك الارض أعوانه واتباعه » .

٥ ـ وفي مكتبة راغب باشا في استنبول كتاب سجل (١٨) في الفهرست باسم « التبيين » في النسب لابن قدامة الحنبلي . وعلى البطاقة الجديدة « مختصر كتاب جمهرة النسب » لابن الكلبي . ويذكر الدكتور محمد حميدالله الحيدر آبادي في احدى رسائله الي عندما كنت عميدا لكلية الشريعة ببغداد . يقول : « وليس الكتاب الا لابي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (١٩) رواية ابي سعيد السكري ، والنسخة قيمة جدا » ثم يقول :

والكتاب في قسمين . قال الناسخ في آخر القسم الاول ٧٩/ب : « هذا آخر ما علقته من النصف الاول من كتاب الجمهرة في بغداد المحروسة من نسخة بالمستنصرية مقابلة أكثرها بنسخة ياقوت . وكان فراغ هذا في المحرم سنة ثمان وأربعين وست مية (كذا) والحمد لله ... آخر الجزء الاول ... فجر يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين وست مية (كذا) ببعلبك حرسها الله تعالى » .

٦ ــ « مجمع البحرين » في الفقه لابي المظفر أحمد بن علي بن تغلب المعروف بابن الساعاتي المدرس بالمستنصرية . جاء في « الجواهر المضية » انه جمع فيه بين مختصر القدوري ، والمنظومة ، مع زوائد . ورتبه فأحسن وأبدع في اختصاره . وشرحه في مجلدين كبيرين .

وجاء على نسخة منه قول المؤلف : « قد أجزت لمالكها الشيخ الامام العالم ، الفاضل ، الورع الكامل ذي الاخلاق الكريمة ، والفضائل الجسيمة زكي الدين السمرقندي أدام الله حراسته ، وكتب سلامته ان يرويها عني . وكذلك اجزت له رواية الشرح الذي صنفته بعد اذ وقعت اليه نسخة يثق الى صحتها . وكذلك جميع ما يصح عنده انه من مقولاتي أو مسموعاتي أو مستجازاتي فهو ــ أدام الله أيامه ــ يحمل ما يرويه وانا معتمد على الله تعالى ، ثم ملتمس من خدمته أن يصون هذا الكتاب ، ويحفظه عن تغيير يقع فيه ، وما يروى فيه من مخالفة لفظ أو معنى لما في أحد الكتابين فلا يتسرع الى انكاره فان لي فيه مقصدا صالحا من تحرير نقل ، أو اختيار ما هو الاصح من الاقوال ، والروايات . وقد كنت عازما على التنبيه على ذلك في حواشي الكتاب فلم يتسع الزمان لسرعة التوجه الى بلاد الاسلام صانها الله تعالى عن التغيير ، وفتح لها أبواب النصر والظفر . ولكن كل ذلك منقول من مواضعه ، محرر عند واضعه ، منبه عليه في شرح الكتاب . والله هو الملهم للصواب . كتبه المصنف أحمد ابن الساعاتي الشامي الأصل ، البغدادي المنشأ بالمدرسة الشريفة المستنصرية رحمة الله على منشيها في رجب المبارك سنة تسعين وستمئة »[٢٠] .

٧ ــ « كشف الابهام لدفع الاوهام » : وقد جاء في كشف الظنون[٢١] انه للعلامة ظهيرالدين محمد بن عمر النوجاباذي البخاري الحنفي [المدرس بالمستنصرية] ألفه بالمستنصرية ببغداد .

٨ ــ « اليسق » أو « الياسة » وهي كتاب المغول الشرعي الذي يحوي قوانينهم ، وانظمتهم . كتبه جنكيز خان في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه .

قال المقريزي : « اخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم احمد بن البرهان رحمه الله انه رأى نسخة من « الياسة » بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد »[٢٢] .

٩ ــ « مشارق الأنوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية » للامام

رضي الدين حسن بن محمد الصغاني العمري العدوي المتوفى سنة ٦٥٠هـ . قال مؤلفه : الفته لخزانة المستنصر بن الظاهر أوله : الحمد لله محيي الرمم، ومجري القلم ...

١٠ - شرح « مشارق الانوار ... »

جاء في كشف الظنون ان علاء الدين يحيى بن عبداللطيف الطاووسي[٢٣] القزويني شرحه شرحين كبيرا وصغيرا . وفي أول الشرح الصغير « الحمد لله الذي خلق السموات مزينة بمصابيح النجوم ... الخ . وفرغ منه ببغداد بالمستنصرية سنة خمس وعشرين وسبعمئة .

١١ - كتاب « القانون » في الطب لابن سينا ، نسخة الحكيم عيسى البغدادي المعروف بابن القسيس الحظيري في شبيبته . ثم خرجت النسخة عن ملكه بحكم شرعي ، وحصلت في خزانة المدرسة المستنصرية ، فلما اسن طلب النسخة ، وقابلها ، وصححها ، وأعادها الى مكانها . ولما سئل عن ذلك قال : انما فعلت ذلك لئلا يزرى علي بعد موتي[٢٤] .

١٢ - « الحاوي الصغير » في الفروع .

للشيخ نجم الدين عبدالغفار بن عبدالكريم القزويني الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥هـ وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية اوله : الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ... الخ . قالوا : هو كتاب وجيز اللفظ بسيط المعاني، محرر المقاصد ، مهذب المباني ، حسن التأليف والترتيب ، جيد التفصيل والتبويب . وقد شرح عدة شروح .

ومن شروحه : شرح الشيخ علاء الدين الطاووسي يحيى بن عبداللطيف القزويني الشافعي مدرس المستنصرية ببغداد فرغ منه سنة ٧٥٥هـ[٢٥] .

١٣ - « نهج البيان عن كشف معاني القرآن » لمحمد بن الحسن الشيباني وهو نسخة مهداة للخزانة المستنصرية ، محفوظة اليوم في خزانة العلامة العارف الشيخ محمد باقر الفت الاصفهاني المتوفى سنة ١٩٦٤م الموقوفة باصبهان[٢٦] .

١٤ - كتاب « الهياكل السبعة » وهي « هياكل النور » لمؤلفها الشيخ شهاب الدين بن حبش بن أميرك السهروردي[٢٧] .

١٥ - كتاب « المصابيح » لمحيي السنة[٢٨] .

١٦ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ١٤ مجلدا بخط المؤلف[٢٩] . ذكر الحاج خليفة في كشف الظنون انه كان في وقف المستنصرية .

وقد ألف العلماء للمستنصر كتبا منها :

١٧ - « دعائم الاسلام في وجوب الدعاء للامام » .

الفه يحيى بن ابي منصور بن ابي الفتح بن رافع بن علي بن ابراهيم الحراني أبو بكر زكريا ابن الصيرفي المعروف ايضا بابن الجيشي المولود بحران سنة ٥٨٣هـ والمتوفي بدمشق سنة ٦٧٨هـ قال ابن رجب : « كتبه للمستنصر »[٣٠] .

١٨ – « رموز الكنوز »

وهو تفسير للقرآن الكريم في أربع مجلدات ضخمة الفه عبدالرزاق ابن رزق‌الله بن ابي بكر بن خلف بن ابي الهيجاء الرسعني عزالدين أبو محمد المولود برأس عين الخابور سنة ٥٨٩هـ والمتوفى بسنجار سنة ٦٦١هـ ·

قال ابن رجب : « وكان لما قدم بغداد انعم عليه المستنصر ، وصنف هذا التفسير ببلده وارسله اليه وهو في ثمان مجلدات وقف المدرسة البشيرية ببغداد » ··· وله في تفسيره مناقشات مع الزمخشري وغيره في العربية وغيرها » ·

ويظهر انه كان موقوفا بالمستنصرية وليس بالبشيرية لان المدرسة البشيرية انشئت في خلافة المستعصم أمرت بانشائها زوجته سنة ٦٤٩هـ وافتتحت قبل سقوط الدولة العباسية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٥٣هـ · ولعل هذا التفسير نقل الى المدرسة البشيرية بعد ذلك فرآه ابن رجب في جملة الكتب الموقوفة فيها(٣١) ·

٣ – شروط خزانة المستنصرية

لقد كانت شروط هذه المكتبة التي اشترطها المستنصر كما يلي :

١ – أن يكون فيها خازن للخزانة ·
٢ – أن يكون له في كل يوم عشرة أرطال خبزا وأربعة لحما بحوائجها ، وخضرها ، وحطبها ·
٣ – أن يكون له في كل شهر عشرة دنانير(٣٢) ·
٤ – ان يكون فيها مشرف على الخازن ·
٥ – ان يكون له في كل يوم خمسة أرطال خبزا ورطلان لحما ·
٦ – ان يكون له في كل شهر ثلاثة دنانير ·
٧ – ان يكون فيها مناول للكتب ·
٨ – ان يكون له في كل يوم أربعة أرطال خبزا ، وغرف طبيخا ·
٩ – ان يكون له في كل شهر ديناران ·
١٠ – ان تجعل الخزانة برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء · ورتب لهم الورق والاقلام لمن يريد النسخ ·

ويظهر ان بعض العلماء كانوا يوقفون عليها كتبهم ، ويشترطون فيها الشروط التي اشترطها المستنصر بالله ، كما فعل فخرالدين الطبسي المعيد في المستنصرية(٣٣) ·

وقد اجمع المؤرخون على أنه رتب في المستنصرية خزانة كتب فيها من الكتب النفيسة في أنواع العلوم المختلفة شيىء كثير جدا · وجعلت برسم

من يطالع ، ويستنسخ من الفقهاء • ورتب لهم فيها الورق ، والاقـلام لمن يريد النسخ(٣٤) •

ومما يدل على عناية المستنصر بالعلوم ، والـكتب العلمية ، وميله الى اقتنائها وخزنها في دور الكتب التي في المدارس ما ذكره الصفدي ، فقـد قال : « وبيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الاثمان لميله الى اقتنائها ، ورغبته في تحصيلها ، واكبابه على مطالعتها ، وحسن خطوطها ، ووقفها على أهـل الفضل ، وخزنها في المدارس • وصنف الفضلاء في دولته : بدايع المصنفات في فنون العلم ، وتقربوا باهدائها اليه»(٣٥) •

وبعد سقوط بغداد بايدي المغول فوض نصيرالدين الطوسي أمـر خزائن الـكتب ببغداد الى موفق‌الدين بن ابي الحديد وأخيـه عزالدين • وللاول قصائد مشهورة نظمها في مدح المستنصرية(٣٦) ، وللثاني قصائـد باسم « المستنصريات » مدح بها المستنصر •

---

(١) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ •

(٢) ص ٥٤ • والربعات : مفردها : الربعة وهي اجزاء القرآن الكريم او صندوق فيه اجزاؤه •

(٣) تاريخ الخلفاء ٣٠٦ •

(٤) ابن عنبة ص ١٨٢ •

(٥) ص : ٥٤ •

(٦) عيون الاخبار الورقة ٢٣٨ •

(٧) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ الورقة ٢٢١ •

(٨) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٥٩ •

(٩) ص ١٢٧ •

(١٠) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠ •

(١١) ج ١٣ ص ٢١٥ •

(١٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٩ الوافي بالوفيات ج ١ ص : ١٧٩ •

(١٣) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٨٤ •

(١٤) رقم المخطوطة ٥٩٨٥ • وتوجد لدينا نسخة فتوغرافية للاجزاء الاربعة صورت على النسخة الخطية بباريس ، وعلى نسخة أيا صوفيا التي في الجامعة العربية • وقد حققنا الجزء الاول منها بمشاركة الدكتور صبحي الصالح الطرابلسي اللبناني والاستاذ عمر با وزير الحضرمي الاصل اللذين كانا أستاذين بكلية الشريعة بالاعظمية سنة ١٩٥٦م عندما كنت عميدا لها • والجزء المذكور معد للطبع • وفي مكتبة الاوقاف العامة نسخة خطية تعد اصح النسخ المذكورة غير انه ينقصها الجزء الثاني • وفي مكتبة مديرية الآثار العامة الجزء الثاني منها • ويظهر انه الجزء المتمم لنسخة مكتبة الاوقاف • وعند الاستاذ محمد رضا الشبيبي نسخة بجزء واحد بخط والده وهي مضطربة وفيها كثير من الاغلاط • راجع :ـ

Blochel; Catalogue de la Collection de Manuscripts Orientaux. Arabes, Persans et Turos formèe Par M. Charles Schefer. et acquise Par l'Etat, Paris 1900 p. 37—38; No. 5685).

Blochet; Catalogue des Manuscrits Arabes des Nouvelles Acquisition (1884–1924) Paris 1924, p. 155 No. 5985).

(١٥) المنهل الصافي الورقة ١ .
(١٦) فهرس مخطوطات ليدن في هولندا ج ١ ص ١٤٠ وهو من عمل دي غويه وهوتسما . جاء ذكره في الكتاب المرقم ٢٨٠ من الفهرس المذكور .
(١٧) الفلك الدائر ص ٣ ، وهو نقد لكتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » الذي الفه ضياءالدين بن الاثير سنة ٦٣٧هـ ويظهر انه قدمه لخزانة الخليفة المستنصر . وخزانته اما ان تكون خزانة المستنصرية او خزانته الخاصة به .
(١٨) رقمه القديم ٩٩٩ ورقمه الجديد ٨٥٢ .
(١٩) ابن حبيب الاخباري المتوفى سنة ٢٥٠هـ وهو صاحب كتاب « المحبر » . وفي الوافي ٢ : ٣٢٦ اسماء عدد كبير من مؤلفاته .
(٢٠) الجواهر المضية ج ١ ص ٨٠ - ٨١ .
(٢١) المجلد الثاني ص ١٤٨٤ - ٨٥ طبعة وكالة المعارف التركية .
(٢٢) الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ .
(٢٣) راجع ترجمته في مدرستي الشافعية من الجزء الاول من كتابنا تاريخ علماء المستنصرية . وكشف الظنون ص ١٦٩٠ .
(٢٤) ابن العبري ص ٤٧٨ - ٤٧٩ . المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٠م .
(٢٥) كشف الظنون ص ٦٢٥ .
(٢٦) ذكر لي ذلك الزميل الدكتور حسين محفوظ المدرس في كلية الآداب .
(٢٧) راجع ترجمة قطب‌الدين الخالدي في الفصل السادس الخاص بزوار مكتبة المستنصرية .
(٢٨) راجع ترجمة الشالنجاني في زوار مكتبة المستنصرية .
(٢٩) كشف الظنون ص ٢٨٨ .
(٣٠) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٩٧ .
(٣١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٧٥ وقد ذكر هذا التفسير مرة في أربع مجلدات ضخمة واخرى في ثمانية مجلدات .
(٣٢) ذكر الخزرجي في حوادث ٦٣١هـ الورقة ١٤٩ « ثلاثة دنانير » ولم يشر الى وجود المشرف في هذه الخزانة بل اقتصر على ذكر الخازن والمناول فقط .
(٣٣) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ الورقة ١٦٧ راجع فصل المعيدين في الجزء الاول من « تاريخ علماء المستنصرية » .
(٣٤) عيون الاخبار الورقة ٢٣٩ .
(٣٥) الوافي بالوفيات ج ٢٤ الورقة ١٢ من مخطوطة لندن .
(٣٦) راجع فوات الوفيات ج ١ ص ١٠ ، ١١ .

التغريب والثقافة العربية

أنور الجندي

لكن نفهم معركة الثقافة العربية المعاصرة مع التغريب والشعوبية لابد من تحديد مفاهيم الالفاظ التي يجري تداولها :

(أولا) : ان هناك فارقا واضحا بين الحضارة والثقافة وبين الثقافة والمعرفة فالحضارة هي الاله والماكينة والعلوم التكنيكية والاختراعات والكشوف والذرة والصواريخ عابرة القارات ، والمعرفة هي جماع النظريات المختلفة في مجالات علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد وعلوم التقنية وغيرها وهي أساسا نظريات معرضة للتغير ولا تؤخذ لحقائق ثابتة وهي بالجملة عصارة آراء عامة في مجالات مختلفة من المعارف والابحاث خاضعة للخطأ والصواب ٠

أما الثقافة فهي الفكر بقطاعاته المختلفة من لغة ودين وأدب وتاريخ وتراث وهي مرتبطة اساسا بأمة ما ، يتمثل فيها ضميرها وروحها وهي تقوم أساسا على جذور أساسية من روح الأمم وضميرها ممتزجة بتكوينها الروحي والنفسي والاجتماعي وتحمل طابع الأمة اساسا ٠ ومن هنا لا يمكن أن تكون الثقافة مستوردة في أسسها حيث ترتبط بكيان الأمة ومفاهيمها وقيمها الأساسية ٠ فثقافة الشرق غير ثقافة الغرب ، وهما مختلفان عن الثقافة العربية الاسلامية التي لها طابعها المتميز عن ثقافات الشرق والغرب ؛ ذلك أن ثقافة الشرق تقوم أساسا على المفاهيم الروحية الصرفة كما تقوم ثقافة الغرب على المفاهيم المادية الصرفة ، أما الثقافة العربية الاسلامية فتقوم على أساس مزاج من الروح والمادة والنفس والجسم والعلم والدين والعقل والقلب ٠

أما الغرب فتقوم ثقافته على أسس ثلاث : أدب اليونان وحضارة الرومان والمسيحية وقد كانت المسيحية بالنسبة له مستوردة ، ليست من نبت أرضه ، لذلك فهو لم يقبلها كلية بشرقيتها وسماحتها ، ولكنه صنعها على طريقته ، ثم نحاها حين وقفت في وجه نهضته ٠ فقد اعتمد أساساً على « روح الوثنية » في الأدب والثقافة اليونانية التي لا تؤمن بالتوحيد أساساً وترى العلاقة بينها وبين الآلهة علاقة صراع ، وتضع نفسها في موقف

التحدي لله والطبيعة والحياة ، ثم نمت الحضارة الغربية على أساس النظرة العلمية المادية الأساس التي أنكرت الجانبين الروحي والغيبي انكاراً تاماً . ومن الفكر المادي الغربي الأساس انبثقت « الماركسية » ، فاذا كان الغرب يمثل مادية الفكر فان الماركسية هي مادية الحياة . ومن هنا يبدو الفارق الواسع بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الاسلامية التي تقوم على امتزاج المادة والروح .

ومن هنا يبدو عسر اندماج الفكر العربي الاسلامي في الفكر الغربي واستحالة ذلك لاختلاف المقومات والمفاهيم ، ومن هنا كانت محاولة التغريب في اثارة الشبهات حول هذه المفاهيم كوسيلة للقضاء على المقومات الأساسية للفكر العربي الاسلامي واحلال المفاهيم الغربية القائمة على مادية الفكر والتي تستمد منها مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما وتقوم نظرات علوم النفس والاجتماع والتربية والأدب والتاريخ واللغة منبثقة من هذه المادية مرتبطة بها .

ومن هنا يبدو الفارق الواضح بين المعرفة والثقافة وبين الثقافة والحضارة ، فالثقافة هي ضمير الأمة ، أما الحضارة فهي مظهر حياتها . ومن هنا كانت الحضارة عالمية ليست ملكاً لأمة ما فقد امتدت في رحلة طويلة منذ بابل وأشور ومصر الفرعونية الى اليونان والرومان فالاسلام من الأندلس الى الهند ، وقد شارك العالم الاسلامي مشاركة فعلية في هذه الحضارة حين استوعب تراث اليونان وصفاه وغربله وزاد فيه وانتقص منه وأضاف اليه في استقلالية وحرية كاملة ، على نحو كان أساس الحضارة الحديثة التي عرفت بالحضارة الغربية ، وقد بلغت هذه الحضارة الآن ذروتها من الرفاهية والترف والمتاع المادي ، وهي على هذا النحو ملك مشاع للأمم والشعوب وللبشرية كلها تأخذ منها وتدع .

وقد استطاعت الأمة العربية اليوم بعد أن تحررت من الاستعمار العسكري أن تأخذ جانب القوة منها وقد كان محجوباً عنها ، وان تصل فيه الى المدى فترتبط نفسها بالعلوم التكنيكية وعلوم الذرة وتبلغ فيها المدى .

أما الثقافة فلا سبيل لنقلها وذلك لاختلاف المقومات الأساسية للأمم والشعوب ، وقد نقلت اليابان الحضارة منذ أواخر القرن الماضي دون أن تنقل الفكر الغربي وكذلك فعلت الهند .

ولا شك ان الفكر العربي الاسلامي في أسسه ومقوماته له طابعه المخالف كثيرا لمقومات الفكر الغربي ويتمثل أبرز هذه المخالفات في التوحيد ، وموقف الانسان بالنسبة للكون والحياة وفي نظراته الى التربية والمجتمع والنفس .

والفكر العربي الاسلامي يقف موقف الحذر والمعارضة من اللادينية الغربية ، والتحرر من القيم الروحية واطلاق الغرائز واعلاء القيم المادية

وتعرية الانسان واعتبار دوافعه كلها مرتبطة بالغريزة كما يقول علم النفس (فرويد) أو اعتبار الدين ينبت من الأرض ولا ينزل من السماء كما يقول علم الاجتماع (دوركايم) أو تغليب المصلحة على القيم وجعل القيم أساساً للمنفعة كما تقول فلسفة الذرائع (البرجماتزم) أو فصل الدين عن التربية والتعليم كما تقول فلسفة (ديوى) أو أن « لا اله والكون مادة » كما تقول فلسفة (ماركس) ٠

كل هذه المقومات الأساسية للفكر الغربي وشقه الماركسي تختلف اختلافاً واضحاً عن القيم الأساسية للفكر العربي الاسلامي ، ومن هنا يبدو أنه ليس ميسوراً أن تتحول مقومات الفكر العربي الاسلامي لتحل محلها مقومات الفكر الغربي ٠

ومن هنا يبدو أن الثقافة في كل أمة لها مقوماتها الأساسية القائمة على مفاهيم واضحة وعلى ضوء هذه القاعدة والمقومات يمكن اطلاق النظرة الى الثقافات الانسانية الاخرى والامتصاص منها والاستعارة بما يزيد شخصيتها قوة وفكرها انطلاقاً ، فنحن لا نغلق الأبواب أمام الفكر الانساني ولكننا نفتحها ونحن معتمدون اساساً على قاعدتنا وقيمنا التي تحول دون انصهارها في ثقافات الأمم أو تميع ملامح الثقافة العربية الاسلامية أو تضعف مقوماتها الحية ، وهدف التغريب أساساً هو العمل جاهداً للقضاء على هذه المقومات ٠

ثانياً : ان ثقافتنا عربية اللسان اسلامية الفكر ، وليس الاسلام هنا هو الدين فليس الاسلام ديناً فحسب وانما هو دين وحضارة وفكر ، والى جانب العقائد الدينية التي تخص المسلمين وحدهم ، فهناك عصارة الفكر الحي الممتد المتصل بالحياة النابض بالحركة – والفكر الاسلامي الذي أضاء للانسانية طريقهـا في ظلمات العصور الوسطى ليس من صنع المسلمين وحدهم وانما هي عصارة فكر المجموعة التي عاشت في هذه المنطقة بكل ما تملك من ثقافات مسيحية ويهودية وهندية وفارسية ويونانية وحضارات فينيقية وفرعونية ورومانية ٠ وليست هذه الثقافة وهـذا الفكر ملكاً للمسلمين وحدهم وانما هو ملك للعرب والفرس والأتراك والهنود وكل من استظل بلواء هذه الثقافة ممثلة في مختلف الأديان والحضارات والثقافات ٠

هذا الفكر هو الذي صور ضمير الانسان في المنطقة كلها وأعطى هـذه الأمة سمة واضحة هي ما نطلق عليه كلمة « الشرق الاسلامي » وقد حظى العرب منها بنصيب كبير حين حفظت لغتهم هذا الميراث واحتضنته ، فقد كانت العربية الفصحى لغة هذه الحضارة ٠

ثالثاً : ان الدعوة الى الانفصال عن الماضي هي دعوة تغريبية أساساً ، ذلك لأن الفكر الغربي نفسه لم ينفصل عن ماضيه ، بل أن أبرز معالم تطور فكره اليوم مستمدة من الوثنية الاغريقية ، وفي الوقت الذي يحرص فيه الفكر الغربي على مقوماته وجذوره يحاول أن يقنعنا بدعوة الانفصال

عن الماضي وانكاره واحتقاره والشك فيه •

والواقع أن الفكر الغربي المعاصر قام أساساً على التراث اليوناني والروماني واستمد منه أبرز قيمه ودعائمه وهي الوثنية النافذة اليوم الى الفن والأدب والفكر والاجتماع •

فضلا عن النظرة السياسية الرومانية التي تقول بأن كل ما دون الغرب برابرة والتي تعطي للرجل الأبيض السيادة والقيادة وحق تمدين الشعوب والسيطرة عليها •

هذا مع ملاحظة أن الفكر الأغريقي قد انفصل عن الفكر الغربي ألف عام بينما أن الفكر العربي الاسلامي لم ينفصل عن قاعدته خلال حياته كلها• ومن هنا يمكن القول بأن فكر الاغريق تراث بعد أن دخلت اللغة اللاتينية المتحف ، ولكن لا يمكن أن يقال أن الفكر العربي الاسلامي تراث اذ تزال لغته حية وما زال هذا الفكر متفاعلا متطوراً رغم سقوط دولته •

وقد أشار مستر « جب » الى هذا المعنى حين قال : « ليس في وسع العرب أن يتجردوا من ماضيهم الحافل كما تجرد الأتراك ، وسيظل الاسلام أهم صفحة في هذا السجل الماضي الى درجة لا يمكن أن يغفل عنها الساعون الى انشاء مثل عربية عليا » •

رابعاً : أثبت البحث العلمي بدلائل قوية أن الفرعونية والآشورية والفينيقية والبربرية ليست الا موجات عربية متتالية تدفقت من قلب الجزيرة العربية حيث لم تمكنها الأجواء القاسية من بناء حضارة شامخة فاندفعت الى أطراف الجزيرة ووديان العراق ومصر وسهول سوريا والمغرب وشواطيء البحار والأنهار •

خامساً : ان الافرنج عندما نقلوا علوم العرب وفكرهم لم يتعربوا ، لقد ترجموها ثم حولوها الى قاعدة فكرهم الأساسية المستمدة من الوثنية اليونانية والمسيحية ممتزجين ، وبلغوا في أمر ذلك غاية التعصب عندما أنكروا فضل العرب ، وانكروا المرحلة التي ازدهرت منها الحضارة العربية واسموها بالعصور الوسطى باعتبارها فاصلا بين حضارة اليونان وعصر النهضة •

سادساً : خطأ التجزئة بين العروبة والاسلام فالواقع أن العروبة والاسلام هما وجهي القطعة الفضية ، وقد استطاع الباحثون المنصفون في الغرب اقرار هذه الحقيقة فيقول « دمورو بيرجو » :

« ان العروبة تعني الاسلام وان الابتعاد بالعرب عن الاسلام معناه انفصال البناء عن أساسه ، وقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعني قوة الاسلام ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة في أفريقيا » •

والواقع ان نظرية انفصال العروبة عن الاسلام هي نظرية مستوردة

على أساس الفهم الخاطىء بأن الاسلام دين فحسب ، ولا شك أن قيم الفكر العربي الاسلامي الأساس الفعال في بناء وحدة الفكر التي هي وحدة الأمة ؛ وان الثقافة العربية الاسلامية هي في الحق فرش الوحدة العربية ، وهي أصلا نتاج مشترك ساهمت فيه كل العناصر التي عاشت في هذه المنطقة وقد امتص عصارات تراث المسيحية واليهودية جميعاً .

والمعروف أن الغرب فصل القومية عن المسيحية باعتبارها ديناً فحسب وقد دخل الدين على أوربا من الخارج فهو أجنبي عن طبيعتها وتاريخها في حين كان الاسلام دائماً بالنسبة للعرب ثقافة وحضارة وفكر وتاريخ .

ومن رأي الباحث العربي المسيحي ان الاسلام بالنسبة الى العرب ليس عقيدة أخروية فحسب ، ولا أخلاق محررة ، بل هو أجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم الى الحياة وأقوى تعبير عن شخصيتهم ، فعلاقة الاسلام بالعروبة ليست علاقة أي دين بأي قومية والاسلام للمسيحيين ثقافة قومية يجب أن يتشبثوا بها ويفهموها ويحبوها ، فالفكر الاسلامي أثمن ما في العروبة .

سابعاً : لاشك ان معرفة أنفسنا في مرآة الآخرين ، أو البحث عن تاريخنا وفكرنا في دراسات الآخرين واعتباره حقيقة واقعة يعتمد عليها : هو خطأ بالغ ، فان في مرآة الآخرين نقص أو تحيز والذين يكتبون عن أمتنا وفكرنا هم أما خصوم يشوهون الحقائق بدافع التعصب ، واما لديهم نقص في أدوات الفهم لتاريخنا وفكرنا ، وأغلب كتابات الغرب عن الفكر العربي الاسلامي لم تكن منصفة أو متعمقة أو صادرة عن فكر مجرد أو نظرة خالصة

وخطأ الاعتماد على مصادر الغرب واعتبارها مراجع لدراسة فكرنا وتاريخنا يتمثل في مظهرين واضحين ، « الأول » عدم وضوح الرؤيا الكاملة للمفكر الغربي فيما لو افترض انصافه « الثاني » العجز الطبيعي في الهضم والتعمق والاقتناع بالجزئيات والتفصيلات .

ولا شك أن الفكر الغربي لا يستطيع أن يقول كلمة الحق في قضية هو فيها طرف من حيث كونه مستعمراً أو مؤمناً بنظرية سيادة الجنس ، أو فيه حرصه على أن يبقى مسيطراً ، هذه السيطرة التي تدفعه الى أن يحجب كلمة الحق والانصاف ككل صاحب مصلحة وكل صاحب هوى ، فهو ليس مجرداً عندما يكشف عن رأيه في قضايانا الفكرية ، ومن هنا وجب التحفظ في كل ما يصدر من الأحكام على فكرنا أو تراثنا .

ثامناً : خطأ موقف التصيد للأدلة والوسائل التي تريد أن تثبت أن فكرنا العربي الاسلامي يجري مع فكر الغرب في طريق واحد . وعندي أن هذا احساس بالقصور لا مبرر له . ان منهج فكرنا العربي الاسلامي له قيمه ومقوماته التي يتميز بها والتي لها طابعها الايجابي المتحرك القادر على

الأخذ والعطاء • ولقد أمضى فكرنا تجربة ناجحة في مجال الحضارة الانسانية، ولا زال هذا الفكر قادراً على اعطاء جديد وقد أشار الى هذا « روم لاندو » حين قال :

« لا يوجد سبب على وجه الاطلاق يبرر الزعم بأن العربي فقد الصفات التي مكنت أجداده من أن يقيموا حضاراتهم العظيمة ، فهو لا يزال يملك الرجولة والمروءة ، وذلك الاستطلاع العقلي الحاد ، وذلك الخيال المبدع » ويرى جورج سارتون أن بناء حضارة العرب كان باعثها راسخ من تراثهم وكتابهم ، وأن انهيار حضارتهم المادية يرجع الى عوامل خارجية هي الغزوات المتتابعة التي دهمتهم لا الى فساد في داخلهم » •

ولاشك أن فكرنا العربي الاسلامي أقل ثغرات من فكر الغرب وعقائده، وليس عيباً ان جمد فكرنا فترة عن الابداع بعد دورة كاملة خلال ألف عام •

ومن خطأ البحث اعتناق رأي الاجنبي ،أو خضوع المفكرين العرب للتقسيمات والمذاهب الغربية (بشقيها) في مجال الفكر أو الادب أو الاجتماع • لان هذا الخضوع معناه اقرار مفاهيم الغرب للقيم ، وهو ما يتعارض مع استقلال الفكر العربي وقدرته على الحركة والحرية والابداع ، ونحن لانقول ما يقول غاندى « اريد أن افتح نوافذ بيتي لكل التيارات بحيث لايقتلعني أي تيار منها » ولكن نقول :

لابد ان يكون لنا أساس فكري وشخصية واضحة الملامح ناضجة بالغة رشدها العقلي ، قادرة على الفحص والنقد والاخذ والعطاء ، تستطيع امتصاص ما في الفكر الانساني من قوى حيوية وايجابية ، عندئذ لايقتلعني أى تيار من التيارات •

تاسعا : خطأ النظرة « الجزئية » التي حرص التغريب على اذاعتها ونشرها وضرورة النظرة الكلية فالاسس العامة للفكر العربي الاسلامي مترابطة واحدة ، وهو أساسا يقوم على التوحيد وعلى سيادة الانسان للكون، وكل القيم تترابط وتتكامل في سبيل السمو به ، ومن هنا يبدو خطأ النظرة التي تحاول ان تعالج مشاكله منفصلة في مجال الاخلاق عن الدين وعن السياسة وعن التربية •

وفي رأى روم لاندو « ان الايمان العميق بالله في الفكر العربي الاسلامي جنب الثقافية الاسلامية الانقسام الى دينية وعقلية » •

ويتجلى هدف التغريب من اصراره على التجزئة الفكرية كأن يقال أن « كتب الجنس هي ادب معترف به » بينما هي عند علماء الاجتماع والاخلاق خطر على المجتمع « وفي الفكر العربي الاسلامي تترابط نظرة الادب والاخلاق بغير تقييد للادب او اطلاق للاخلاق ، وتتمثل هذه النظرة في أنه يمكن تصوير النفس الانسانية تصويرا فنيا رفيعا دون ان تكون الصورة مدمرة لقيم المجتمع • »

عاشرا : خطأ الانفصال عن الجذور والمنابع ، فالفكر العربي الاسلامي قدم للمعرفة والفن والثقافة الانسانية رصيدا ضخما من الاوليات في مجال العلوم والفلك والفلسفة •

وخطأنا اليوم اننا نتلقى تطورات هذه الاوليات وتوسعاتها فندرسها على انها نتاج الحضارة الغربية دون أن نربطها بتاريخنا ، فلا ريب ان كل الفروع العريقة من المعرفة والعلم والحضارة تتصل بجذور من ماضينا وتمتد الى منابع فكرنا ، ومن رأى الدكتور مصطفى مشرفه ان العيب في نقل المعرفة هو أننا نتركها عائمة لاتمت بصلة الى تاريخنا ولا تتصل بتربتنا ، والواقع ان اوليات هذه المعرفة بدأت من حضارتنا ثم امتدت ، فعلينا ان نطعم شجرة المعرفة على اساس من ماضينا فتتصل اتصالا طبيعيا بمنابع ثقافتنا •



غرائب الخلقة في الحيوان (٥)

جعفر الخياط

لم تزل الخلقة الحكيمة ، منذ ان وجدت الحياة في هذا الكون ، تمد الكائنات الحية على اختلاف أشكالها وأنواعها بكل ما يساعدها على العيش المعتاد في محيطها الخاص والبقاء في معتركها الصاخب • وقد ابتدعت لذلك ما لا يحصى من الوسائل والتدابير حتى بات من الصعب على الباحثين حصرها والاهتداء الى طبيعتها أو كنهها في كثير من الاحيان ، على ان شيئا غير يسير من هذه المبتدعات يمكن ان يلاحظه الانسان بسهولة ويسر ، ولا يسعه في أحيان كثيرة ألا أن يعجب به على سهولة الاهتداء اليه ، ويتبهر بمحكم قواعده وطرافة ما فيه من دقة الصنع واتقان في العمل •

فقد لوحظ مثلا ان بعض الحيوانات محبوة بقدرة فائقة على ابتلاع أضعاف وزنها وحجمها مما تفترسه وتقتات عليه من سائر المخلوقات • فأن السمك البلاع(١) Chiasmodum niger الذي يكثر وجوده في مياه جزر الهند الغربية كثيرا ما يبتلع من الاسماك الصغيرة التي يعيش عليها في العادة مقادير كبيرة تكاد تعادل ثلاثة أضعاف حجمه وجرمه المساوي لحجم سمك « الرنكة » الاعتيادي • ولاشك ان ما يساعده على ذلك هو مرونة معدته وقابليتها في التمدد والانبساط عند الحاجة • وهو يفعل ذلك حينما يتيسر له الصيد الدسم الذي يختزنه حتى تسمح له الظروف بهضمه على مهل بعد ذلك •

وبوسع ضفدع الماء القاتم ، الذي يعيش في كثير من بلاد أمريكا الجنوبية ، ان يصطاد حية من حيات الاشجار يبلغ طولها خمسة أقدام ويزدردها مع أنه لا يكاد يبلغ الليبرة الواحدة في وزنه • فهو يوقعها في فخه ويصطادها بلسانه القوي الخاطف الذي يلتبط في فمه الواسع ويندفع بسرعة البرق فيلتف حول رأس الفريسة بدقة واتقان ، وسرعان ما يسحب الرأس الى الداخل ويبدأ الضفدع بأدخال الحية شيئا فشيئا الى جوفه • ويصادف في كثير من الاحيان ان تبقى الفريسة البائسة حية تتلوى وتتفلفص عدة ساعات قبل ان تختنق وتفارق الحياة نهائيا • غير ان هذا

الضفدع العجيب لا يبتلعها كلها بسرعة وانما يبتلعها بالتدريج ، فيبدأ بقسم منها ثم ينتظر حتى يتسنى للعصارات الهضمية الموجودة في معدته القوية ان تعمل عملها • ولذلك نوحظ ان ضفدعا من هذه الضفادع ، التي كانت موضوعة تحت المراقبة والدرس ، لم يستطع ابتلاع حية طولها خمسة أقدام الا خلال مدة تناهز اليومين •

ولا غرو فان لسان الضفادع يعد من الالات العجيبة المدهشة في الطبيعة • فهو ، بلزوجته الخاصة التي تساعد الحيوان على اصطياد الفريسة ، ينشأ من مقدمة الفم الواسع ليزداد في طوله وقدرته على الامتداد والخطف • غير ان الضفادع لا تنفرد بهذه الصفة والقابلية وحدها، وانما توجد حيوانات أخرى تضاهيها وتتفوق عليها في هذا الشأن • فهناك مثلا الحرباء التي يكون لسانها أطول من جسمها بضعفين ، والوزغ[٢] الذي يزداد طول لسانه عن ذلك بحيث يستعمله في تنظيف عيونه وغسلها • ويقوم الاوكابي[٣] كذلك ، وهو نوع آخر من الزواحف ، باستخدام لسانه الطويل لهذا الغرض •

على أن « ملك الالسن » في هذا الشأن هو في الحقيقة لسان الحيوان المعروف بآكل النمل[٤] ، الذي يكثر وجوده في بلاد امريكا الجنوبية • فان مدار العيش عند هذا الحيوان لسانه الطويل الخارق الذي يولجه في أعماق القرى الراغشة بالنمل وزواياها المكتظة • ولذلك نجد مثل هذا اللسان مكيفا لهذا الطراز من العيش الغريب بحيث لا ينبت من منطقة الفم أو الحنجرة ، كما تفعل الالسن في سائر الحيوانات ، وانما ينبت من فوق عظم الصدر (القص) ويستند عليه • وهو والحالة هذه يشبه المزرف الذي يحتاج الى الاسناد والتدعيم في عمله •

وهناك حيوانات تتطور ألسنتها بحيث تكون مكيفة لانواع أخرى من العمل الذي يساعدها على تنازع البقاء في البيئة التي تعيش فيها • فان طائر البطريق[٥] يتحور لسانه بحيث يقوم مقام الاسنان كذلك ليساعده في القبض على الاسماك التي تكون ملساء الجسم زلقة الممسك في العادة • ويتحور اللسان المسنن في طائر النحام[٦] (البشروس) فيصبح مؤهلا للقيام بأعمال المصفاة ، لان هذا الطائر من الطيور الخواضة التي تعيش عادة في سواحل الانهار والبحيرات والبرك الكبيرة بغرف جرعات (أو لقم) من الماء الطيني المحتوي على الكثير من الحيوانات الصغيرة ، القشرية وغيرها ، التي يعتاش عليها • ولاجل ان يفعل ذلك لابد له من تصفية ما يغرفه في فمه بدفع الماء والطين الى الخارج من بين هذه الاسنان ، وابقاء ما يعلق فيها من حيوانات للازدراد •

على أن أبرع ما يعرف من مثل هذه الالسن المحورة التي تقوم بوظيفتين في وقت واحد هو لسان البزاقة ، أو الحلزون الاعتيادي الذي يكثر وجوده

في البساتين • فان هذا الحيوان حينما يفتح فكيه لقضم البادرات النباتية اليانعة يشرع لسانه بالعمل ، وتأخذ الاسنان الناتئة منه بالتحرك من جنب الى آخر لتؤدي عملها على شاكلة السحنة أو المبرد الخشابي الفعال فتقضم الورقة النباتية وتحيلها الى قطع دقيقة جدا • وهي قادرة على القيام بهذا العمل بكل دقة واتقان لان الاسنان اللسانية الموجودة في فم الحلزون تكون مرتبة بترتيب خاص ، ويكثر عددها حتى يصل الى (١٤١٧٥) سنا من الاسنان • وتنتظم في مئة وخمسة وثلاثين صفا يحتوي كل صف منها على مئة وخمسة اسنان •

وهناك طرق أخرى غير هذه تتكيف خلقة الحيوان بمقتضاها لتكون قادرة على البقاء وتخليد الجنس في هذا الكون الفسيح • فنجد مثلا ان الكائنات البحرية بوجه عام محبوة بقابلية فائقة في وضع البيض بأعداد هائلة جسيمة ، وهي تفعل هذا لمقاومة العوارض والآفات التي تتعرض لها في المحيط في مختلف أدوار حياتها ومراحل معيشتها • ومن أحسن ما يمكن ان يستشهد به في هذا الشأن المحار الامريكي الذي تضع أنثاه حوالي خمسة ملايين بيضة في السنة ، وبالحيوانات التي تضاهيه في هذه القابلية مثل أرانب البحر(٧) أو الحلزونات العارية(٨) • فقد لوحظ ان حيوانا من هذه الحيوانات كان يضع البيض على شاكلة الخرز المنتظمة في خيوط بمقدار (٤١٫٠٠٠) بيضة في الدقيقة ، أو (٤٨٠) مليون بيضة في أربعة أشهر •

وتتكيف حياة بعض الطيور بحيث تكون قادرة على اصطياد فرائسها ، والحصول على اقواتها تحت سطح الماء بسهولة ويسر ، مثل طائر الدنقلة(٩) • فان هذا الطائر لا يكتفي بالغوص الى أعماق الماء بين حين وآخر لاصطياد الفريسة كما تفعل الطيور المائية في العادة ، بل يقوم أيضا بالغوص الى القعر والتجول تحت الماء من دون اكتراث للعثور على الحشرات وسائر ما يقتات به • ولذلك يكون جسمه قابل للتبلل بالماء ، لان الريش الذي يكسوه يكون ثقيلا مزيتا بكثير من الزيت لا يمكن للماء ان يعلق به بأي حال من الاحوال •

ومن غرائب الخلقة في الحيوان ان تكون بعض الطيور قادرة على اجتياز المسافات الشاسعة فوق المحيطات والبحار والتردد ما بين القطبين من دون ان تقذف خطأ من الاخطاء أو تضل الطريق في رحلة من الرحلات الا في النادر • فان المعروف عن خطاطيف البحر(١٠) (الخرشنة) أنها تقطع بجماعات كبيرة في مواسم معتادة من كل سنة المسافة الممتدة ما بين القطبين جميعها ذهابا وايابا ، ويبلغ ذلك حوالي الاثنين والعشرين ألف ميل من الاميال الانكليزية • وبهذه الطريقة تحافظ على تمتعها بمزايا الصيف القطبي في كلتا المنطقتين سنويا • لكن أقصى ما بلغته هذه الغريزة

في التحليق والابحار فوق البحار ، الخالية من كل نوع من أنواع الاشارات والعلائم ، هو ما قام به طير من طيور جلم الماء(١١) في يوم من الايام • فقد أخذ هذا الطير من عشه في جزيرة سوخولم بالقرب من سواحل بريم بروكشاير في بريطانيا ، وهو ما يزال في مقتبل العمر ثم اطلق سراحه عن بوسطن الكائنة على بعد ثلاثة آلاف ميل وخمسين ميلا عن تلك الجزيرة • فاستطاع ان يعود الى وكره خلال اثني عشر يوماً ونصف اليوم ، أي قبل وصول الرسالة المبردة بالبريد التي كانت تحمل الى عالم من علماء الطيور الانكليز خبر اطلاق سراح الطير نفسه بنصف يوم • وقد قام بأعجوبة شبيهة بهذه كذلك طير من سمامات العدود(١٢) الالمانية حينما اخذ من احدى المدن في ألمانيا واطلق سراحه في لیزبون عاصمة البرتغال فعاد الى وكره الاصلي بعد تسع وستين ساعة •

هذا وقد اهتدى الباحثون الى ان الحيوانات اللبونة يمكنها ان تجد طريق العودة الى مواطنها خلال المسافات الطويلة كذلك • فقد لوحظ ذات يوم ان حصانا ألمانيا استطاع الافلات من مربطه في القطار ، الذي شحن فيه من اصطبلات الجيش الالماني في پوتسدام بقصد ايصاله الى هيرشبورغ، وعاد الى اصطبله بعد خمسة أيام بعد ان قطع مسافة تناهز المئة والخمسة والخمسين ميلا •

وقد ظهر بنتيجة الاختبارات المتواصلة أيضاً ان الكلاب لا تقل عن غيرها من الحيوانات الماهرة في هذا الشأن ، ولكن في ضمن المسافات الاقصر في طولها • فقد اطلقت كلبة ألمانية تدعى (تورا) في ناحية من نواحي مونيخ من دون ان تكون لها معرفة سابقة بها • فوجد عند ملاحظتها انها سرعان ما يممت وجهها شطر موطنها ، وشرعت بالتوجه اليه ، بعد ان أبدت شيئا من التردد بادىء الامر وقضت بعض الوقت في اللعب مع بعض الكلاب • فاستغرقت في عودتها حوالي الساعتين ، وقطعت مسافة تناهز خمسة أميال ونصف • وحينما أطلقت في المكان نفسه بعد اربعين يوما لم تستغرق في العودة الى موطنها أكثر من خمسة وثلاثين دقيقة ، لكنها سلكت في هذه المرة طريقا أقصر قطعت فيه مسافة لا تزيد على ثلاثة أميال •

ومن طريف ما يلاحظ عن الحيوانات كذلك ان بعضها يتصف بقدرة غير اعتيادية على القفز الطويل أو النط البعيد • فقد وجد ان حيوان القنغر(١٣) مثلا ، الذي يعيش في أوستراليا غالبا ، كثيرا ما يبلغ طول قفزته ثلاثين قدما ، وان الغزلان تتفوق عليها في هذا المضمار فيبلغ طول قفزاتها حوالي أربعين قدما • غير أننا اذا ما قارنا بين الحيوانات وفاضلنا بينها بعد ان نأخذ أوزانها بنظر الاعتبار نجد ان الجربوع الافريقي الذي لا يتجاوز طوله الخمس بوصات يتفوق على الجميع في القفز الطويل نسبيا •

فهو يستطيع في قفزة واحدة ان يقفز مسافة خمسة عشر قدما بكل سهولة ·

ولقد أنجبت الطبيعة علاوة على هذا وذاك حيوانات عداءة لا يشق لها غبار · فقد اختبر جري الظبي(١٤) متشعب القرون (أو الثيتل) مثلا فوجد ان سرعته تصل الى الستين ميلا في الساعة ، واختبر جري الظبي الهندي أو الاسود فوجد أن سرعته تزيد على ذلك فتبلغ الخمسة والستين ميلا في الساعة · غير أن التجارب والملاحظات قد اثبتت من جهة أخرى ان الفهد(١٥) الرشيق يتفوق على الحيوانين المذكورين في سرعة عدوه فيصل الى السبعين ميلا في الساعة ·

اما في الجو فان أقصى سرعة في الطيران قد حققتها طيور السمامة(١٦) الهندية التي لوحظ أنها ، بحجومها الصغيرة ، يمكن أن تطير بسرعة مئتي ميل في الساعة · وليس من الممكن لاي طائر آخر ان يصل الى هذا الحد من السرعة ، حتى في أثناء انقضاضه السريع على الفريسة من أعالي الجو الشاهقة ، حيث وجد ان سرعة البازي(١٧) في الانقضاض لا تتجاوز المئة والثمانين ميلا في الساعة ·

ومما يلاحظ في الطبيعة من عجائب وطرائف ان الضفادع التي تعيش بين غصون الاشجار وأفنانها تتصف بقابلية « بهلوانية » خاصة ، وتكثر من القفز و « الطيران » بين الفروع أو بينها وبين الارض ، مستعينة من أجل ذلك بالصفاقيات الموجودة بين أصابعها في الأرجل الخلفية على الاخص · ولا شك ان الصفاقيات قد تكيفت لهذا العمل واتسعت عندها لان هذه الحيوانات تضطر الى القفز البعيد أو الطيران الانزلاقي ليسهل لها الهرب من الحيات والثعابين التي تعيش بين فروع الاشجار كذلك · ومن أجل هذا فقد سميت بالضفادع الطيارة(١٨) لكونها أصبحت قادرة على « الطيران » الانزلاقي الى مسافات غير يسيرة نسبيا · ومن أبرز هذه الحيوانات ضفادع جاوه الطيارة التي تملك ما بين أصابع أطرافها الخلفية والامامية معا جهازا فعالا من النسيج الصفاقي الذي تفتحه على شاكلة مظلة الهبوط (الپاراشوت) فتحط بواسطته على الارض بأمن وسلام · وقد لوحظ ان هذه الضفادع يمكنها أن تطير بهذه الوسيلة الى مسافة أربعين قدما عند الحاجة ، ولا يضاهيها في هذه القابلية الخارقة الا بعض الضفادع الهندية الموجودة في مناطق الهند الاستوائية ·

وهناك طيار انزلاقي آخر يعرف من بين الحيوانات الزاحفة كذلك ، وهو نوع من العظايا الآسيوية يدعى Draco volaus فان هذا الحيوان ، الذي يبلغ قدما واحدا في طوله ، يكون له غشاء صفاقي عريض على طول جسمه من كلا الجانبين ، وهو قادر على طيه ونشره عند الحاجة بواسطة أضلاع طويلة دقيقة تختص بهذا العمل · ويعيش دراكو هذا في العادة بين فروع الاشجار وأغصانها في الغابات المكتظة ، فيتجول في محيطه ذلك مطوي

« الجناحين » ساعيا وراء الحشرات التي يقتات بها ويعتاش عليها . وحينما يلمح من بعيد فراشة من الفراشات في أسفله سرعان ما يقفز عليها وينشر جناحيه بحيث يستطيع الانزلاق بسرعة الى الفريسة التي يلاحقها . وكثيرا ما يلاحظه هذا الزاحف الطيار في حياته اليومية وهو يقفز من غصن الى آخر قفزاته المعروفة التي لا يقل طول الواحدة منها عن عشرين قدما .

هذا ونجد من جهة اخرى ان غرائب الخلقة ودقة ما فيها من صناعة واتقان تتجلى في خرطوم الفيل الذي يعد في الحقيقة اعجوبة من الاعاجيب الهندسية الفذة . فهو يعتبر أقوى الأطراف الحيوانية وأمتنها في الطبيعة ، ويحتوي على أربعين ألف عضلة من العضلات التي تختلف في شكلها ونوع عملها . ولذلك نجد ان الفيل يستعمله لكل غرض من أغراضه المعيشية وغيرها ، وهو مع طوله وضخامته يمكن أن يستخدم في قضاء الكثير من الحاجات والاعمال بدقة ورقة متناهية عند الحاجة . ولا غرو فان هذا العدد الهائل من العضلات هو الذي يساعده على القيام بمثل هذه الاعمال .

ومن عجيب ما يلاحظ في الطبيعة بالنسبة للمناقير منقار الطائر المسمى بوقير(١٩) (أو أبو قرن) الذي يكثر وجوده في الهند . فان هذا الطائر الملون بالابيض والاسود في العادة يكون له منقار أصفر ضخم يبلغ قدما واحدا في طوله ، لكنه لا يزن الا اونسات معدودة فقط لانه يتكون من نسيج غير صلب متألف من مئات الخلايا الجوفاء الدقيقة .

ومع جميع ما يدعو الى العجب من بعد النظر وحدته لدى العقاب الذي يكتشف فريسته القابعة بين الحشيش فوق الارض وهو محلق على ارتفاع ألف قدم في الجو ، ومع كل الدهشة التي تثيرها البومة حينما تطير في الظلام الدامس بسهولة ويسر لان عيونها مجهزة بما يؤهلها لتلقي عشرة أضعاف النور الذي تستطيع العيون البشرية أن تتلقاه ، ومع ما في عيون الارنب الجاحظة من قابلية غريبة للنظر الى الخلف ومراقبة ما يجري وراءه ، فان ما يصل بالاستغراب الى أقصى الحدود في هذا المضمار هو قابلية النظر الخارقة التي يتمتع بها نوع من الاسماك الاستوائية يسمى Anableps فان هذا النوع من السمك يستطيع أن يرى بأعينه الغريبة العجيبة ما يجرى في الماء والهواء في وقت واحد . وهذه لعمري قابلية مدهشة ومأثرة فذة لا يدانيها فيها أي حيوان آخر ، لان الرؤيا في الهواء تتطلب عدسة ذات طول بؤري قصير بينما تتطلب الرؤيا في الماء عدسات ذات طول بؤري طويل ومما يساعد هذا السمك على مقدرته الفذة هذه هو ان كل عين من عيونه تكون مجهزة بحدقتين تختص احداهما بالرؤية في الماء والاخرى بالرؤية في الهواء . ولذلك فانه حينما يسبح عائما فيما يقرب من سطح الماء يخرج النصف الاعلى من كل عين الى ما فوق الماء ليقف به على ما يجري في خارجه في الوقت الذي يكون النصف الآخر مغمورا بالماء وقائما بوظيفة الرؤية فيه .

وفي الطبيعة حيوانات صيادة مدهشة ، تشتهر بالبأس والشدة بجانب السرعة والخفة التي تنقض بها على الفريسة فتمزقها كالفهد والنمر وما أشبه . لكننا نجد في الطبيعة من ناحية أخرى حيوانات تستخدم في كفاحها من أجل الحياة شباكا خداعة تصطاد الفريسة بها فتقتات عليهـا ، مثل العناكب . غير ان العناكب نفسها تختلف فيما بينهـا في هذا الشأن ، ويكون بعض أنواعها أشد دهاء ومكرا في القنص من البعض الآخر . فهناك مثلا العناكب الليلية ذات الشباك ، التي تصنع فخاخا خاصة بحجم طابع البريد وشكله فتلقيها على الفريسة حينما تقترب منهـا . والمعروف عن معظم هذه العناكب أنها تأكل الفريسة في مكان اصطيادها وتبتلع الفخ معها . لكن العناكب البرازيلية تصطاد الفريسة فتحملها على كتفها مع الفخ الى أوكارها ومخابئها ، وهناك تتمتع بأكلها على مهل .

وهناك عناكب غريبة غير هذه تعمد في اصطياد الفرائس الى تعليق قطرة صغيرة من عصير لزج مغر في طرف خيط قصير من خيوطها الواهية . وحينما تنجذب احدى الحشرات أو الهوام الى هذا السائل اللزج فتعلق به يجذب العنكبوت الخيط اليه فيقبض عليها . ويلاحظ في هذا الشأن ان الفريسة لا تجد لها مجالا في العادة الى الافلات أو التملص من الفخ الا في النادر ، لان الخيط على جانب من المرونة بحيث يمكن أن يتمدد الى ضعف طوله الاصلي ولا ينقطع وعند ذاك تكل الفريسة وتفتر مقاومتها فيسهل سحبها الى أحضان العنكبوت القانص وتجد طريقها الى جوفه .

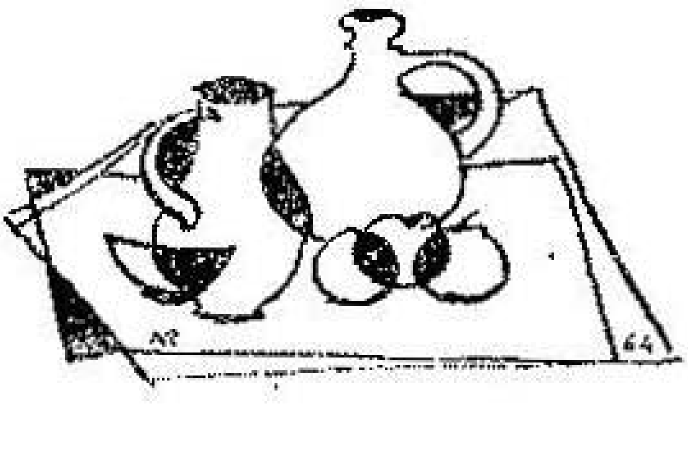
أما حجوم الحيوانات وضخامتها ففيها العجيب الغريب كذلك . فان الحيتان الزرقاء يمكن أن تتقدم في النمو حتى يصبح طول الواحدة منها شيئا يناهز المئة والعشرة أقدام ، ووزنها حوالى المئة والاربعين طنا . والمعروف ان الارض لم تشهد في يوم من أيامها منذ القدم حيوانا مثل هذا في الضخامة والجسامة ، فان الديپلودوكس[٢٠] الضخم الذي كان معروفا في العصور الجيولوجية الاولى من حياة الارض لم يكن يتجاوز التسعين قدما في طوله على ما يبدو من الدلائل المتيسرة عنه . هذا ويكون طول صغار الحيتان هذه عند أول ولادتها بنصف طول الامهات تقريبا .

ومع ان الخنافس توجد بينهـا أنواع من أصغر الكائنات الحية في الطبيعة ، فهناك نوع معروف منها يعتبر من أضخم أنواعها وأغربها في الشكل والمنظر وهو نوع الخنافس الهرقلية[٢١] التي تعيش في بلاد أمريكا الجنوبية فان الخنفساء الواحدة من هذا النوع يبلغ طولها ست بوصات وتكون كثيرة الشبه بمخلب السرطان النامي من أرجله . ويبرز من جسمها قرنان كبيران طول كل منهما أربع بوصات ، فينعقف احداهما من منطقة الصدر الى أعلى بينما ينعقف الآخر من الظهر الى أسفل . ولا شك ان مثل هذه القرون المعقوفة ، التي تكون لها حافات مسننة ، تعتبر سلاحا فتاكا مخيفا تجرده

هذه الخنفسة الجبارة حينما تخرج على عادتها في الليل لتصطاد فرائسها من سائر الحشرات .

(*) ملخصة عن مجلـة ساينس دايجست .

(١) Swallower Fish
(٢) Geckolnzard
(٣) Okapi
(٤) Ant Eater
(٥) Penguin
(٦) Flamingo
(٧) Sea Hairs
(٨) Shell-less Snails
(٩) Dipper
(١٠) Terns
(١١) Shearwater
(١٢) Alpine Swift
(١٣) Kangaroo
(١٤) Pronghoru Antelope
(١٥) Cheeta
(١٦) Indian Swift
(١٧) Goshawf
(١٨) Flying Frogs
(١٩) Hornbill
(٢٠) Diplodocus
(٢١) Hercules Beetles



من الاك ياربي

حافظ جميل

لمن الجــأ يا ربي ... اذا لم تعف عن ذنبي
وهل للمذنب الخاطى ... سوى ملجئك الرحب
فــان فرطت في ديني ... فمــا فرطت في حبي
وهــل يخفى عليــك الصــدق في الحب من الكذب
فكلــل بالتقى سعيي ... ونور بالهــدى دربي
وظللني بألطــافك عنـــد المــوقف الصعب
لئـــن كنت على غيي ... مع الغاوين من صحبي
فما كنت ولا كــان ... عدو الله من حزبي
يقيني فيك مــلء النفس فى صحوى وفى شــربي
ومــن غيرك من يعلم ... بي يا عـــالم الغيب
عبدتك غــير مرتاب ... وهل فى الحق من ريب
عبــدتك في مســراتي ... وفي سقمي وفي كربي
عبدتك مسلما حقــا ... وحسبي شاهــدا قلبي
ومن الاك من أعبــد ... مــن الاك يــا ربي

هنري ديفز

شاعر الطبيعة المعاصر

الدكتور صالح مهدي شريدة

وليم هنري ديفز William Henry Davies ـ ١٩٤٠) هو من شعراء العصر الحاضر ، وقد عاش جوابا في اقطار شتى كانكلترا واميركا حتى ناهز الثلاثين من العمر ، فالف عدة كتب في الشعر منها « محطم النفس » و (اشعار اخرى) (عام ١٩٠٤) و « مجموعة قصائد شعرية » (عامي ١٩١٦ و١٩٢٨) و « قصائد وليم ديفز » (عام ١٩٣٤) • وقد رأى النقاد تشابها بين شعره وشعر « وليم وردزورث » عند وصفه للطبيعة ، ولكن ديفز كان نادرا ما ينظم في طبيعة الاشياء الداخلية كما كان يفعل « وردزورث » ، فهو بالاحرى كان يكتب عما هو مدرك حسيا وظاهر للعيان • ولشعره خاصية الاستقامة والبساطة المتناهية •

ومن قصائده التي اخترنا ترجمتها قصيدة « القمر » وقصيدة « اين هي الان ! » وقصيدة « الربيع في بكرته » لانها تمثل الكثير من خواص شعره •

ويشبه « ديفز » بالشاعر « بيرنز » بعبقريته بنظم الشعر الغنائي بصورة طبيعية غير متكلفة ، ولكن قدرته في هذا المجال اقل عمقا وشدة من قدرة « بيرنز » وتمتاز بعض مقطوعاته الشعرية بنغمها القوي وبانسجامها الرائع • ومن قصائده البارزة « العواصف الرعدية » التي تمتاز بحلاوتها وحسن تعابيرها • و « القمر » التي تمتاز بروعتها ، وهي قديمة في موضوعها ، اصيلة في تعابيرها ، « واحلام البحر الرائعة الجمال » « وامكثي في الدار ايتها المليحة » •

لقد غرد هذا الشاعر باناشيد كاناشيد الطيور بعبقرية فائقة ، وعلى الرغم من انه لاقى صعوبات جمة ، قاسى من حياة شاقة ، وعاش جوابا متنقلا ، فانه لم ينقطع عن الغناء والتغريد •

ان اروع مقطوعاته الشعرية تشتمل على بساطة طاغية ، مؤثرة مقنعة اشبه بتغريد الطيور التي كثيرا ما نظم عنها ووصفها • ان القارىء لشعر « ديفز » لتغمره القناعة بان هذا الشاعر كان يحس احساسا اصيلا وعميقا بكل ما يصفه وينظم فيه ، وانه قد نظم اناشيده مستندا على مثل

هذا الاحساس الاصيل ، فهو لم يكن قط متظاهرا او متصنعا • ولعل الشاعر قد كرس معظم حياته الاولى كشاعر متجول بين ابناء وطنه من اهل « ويلز » وهو يحدثنا بقصة حياته الاولى في مؤلفه « تاريخ حياة متجول «Autobiography of a super-Tramp» عام ١٩٠٧ ، وهو في الواقع يروى لنا حياة الشاعر في مجملها • ومؤلفه هذا يبدو على طرفي نقيض مع الذكريات (١) « لجورج مور «George Moore» المتعالية ، وذلك للبساطة المتناهية لذكريات « ديفز » وصدقها الفطرى ، ولكنها تتشابه مع قصة حياة « جورج بورو «George Borrow» المسماة Lavengro التي هي مزيج من الخيال والحقيقة ، والتي يتحدث الكاتب فيها كذلك عن فترة حياته الاولى •

وعندما كان ينظم « ديفز » عن الطبيعة ، كانت تجرى فيه عروق « ورد زورث » ، ولقد اظهر الاول بعد نظر وادراك ، وجدة وسهولة في التعبير • ان البساطة الطبيعية التي جبل عليها « ديفز » تبدو متطرفة احيانا ، ولكن القارئ يضطر ان يعترف اليه بانها تنسجم مع موضوعه • وعلى اية حال ، فان مثل هذه البساطة البارزة في شعره تقدم احينا اوشاجا من « الميتافيزيقية » الغريبة ، وترتفع بعض الاحيان بنغمها وايقاعها المتينين الى مقاطع ذات موسيقية وانسجام رفيعين •

ولد وليم ديفز في « نيوبورت « New Port » في انكلترا وقد هاجر الى امريكا وهو فتى يافع ، فعاش هناك متنقلا • وفقد احدى قدميه في حادثة ، مما جعله غير قادر على القيام بعمل شاق ، ولذلك فقد كان يكسب عيشه لفترة من الزمن على الغناء في الشوارع ، متخذا مأوى له في بيوت السكنى العامة •

ان اول مجموعته الشعرية المسماة « مدمر النفس The Soul's Destroyer التي الفها عام ١٩٠٦ أنقذته من الفاقة المدقعة • وتعتبر مؤلفاته «المجموعة الشعرية « Collected Poems (التي نشرها عام ١٩١٦) و « اربعون مقطوعة جديدة «Forty New Pieces (التي طبعها عام ١٩١٨) من افضل انتاجه الشعرى وأروعه •

وتمتاز بعض قصائده بموضوعاتها القديمة ، ولكنها اصيلة في تعابيرها امثال « العواصف الرعدية «Thunderstorms» وهي مقطوعة ذات اسلوب تعبيرى رفيع ، وامثال « القمر «The Moon» تلك المقطوعة الرائعة •

ومن قصائده البارزة كذلك قصيدته الظريفة : « امكثي في الدار ايتها المليحة » المليحة «Sweet Stay - at Home» و «الشلال الابيض» The White Cascade وهي مقطوعة قصيرة ذات ابيات ، ولكنها امتازت بالابداع والكمال التام ، ومنظومته « احلام البحر «Dreams of the Sea» الجمال المثير ، والتي هي

من الابداع بحيث لم تكن مجرد تقليد لطريقة الشاعر « مارلـو » Marlow في النظم ، وله منظومات شعرية مدهشة ذات طابع اليزابيثي بحـت ، امثال « عندما اتقدم في العمر »When I am Old التي اسبغ عليها الخلود حلته ·

فقصيدة « القمر »The Moon تبدو فيها الرومنتيكية الحديثة باسلوب سلس ، سهل ، ولكنه موسيقى عذب ، وهي تحتوى على اوصاف وتخيلات رائعة للقمر ، فاعجابه بالقمر وسحره حول الشاعر « طفلا » يهوى اللقاء معه ليضمه الى صدره ، وذلك للهفته وشوقه الى التقرب منه · ولم يرغب الشاعر ان يجعل التمتع بضوء القمر له وحده ، بل عممه الى الكائنـات الاخرى ، فوصف اشعته وهي تسطح « عبر حناجر الطيور » ولكن بالرغم من ان الطيور تغني للطبيعة والقمر ، غير ان اعجابه اشد واقوى ، فهـو يريد ان يجعل صوته اكثر ارتفاعا من اصواتها اعجابا به وفرحـــة ببزوغه ، انه يحبه الى درجة العبادة : ـ

« القمــــر »

ان جمالك قد سحر روحي وقلبي ،
واها ايها القمر الجميل ،
ما اشوقك واقربك الي ،
ان جمالك قد سيرني اشبه بالطفلة :
التي تهتف عاليا لتمتلك سناك ،
كالطفلة الصغيرة وهي ترفع ذراعيها ،
لتضغطك الى صدرها بحرارة

★ ★ ★

بالرغم ان هناك طيورا تغني هذه الليلة ،
واشعتك البيضاء عبرة حناجرها ،
فدع صوتي العميق ينطق عني ،
اكثر ما تنطق عنها نغماتها العذبة ،
ومن يعبدك الى حين ان تعجز الموسيقى ،
لهو اعظم من بلابلك

وفي قصيدة « اين هي الان»''Where She is Now'' ترى حيرة الحبيب، منتهى حيرته انه يتساءل بلهفة وحب استطلاع كبيرين ، اين يا تـرى من يحب ! ثم يعود فيختار لها مكانا جليلا كمكانتها في نفسه ، انها شيء جميل تقسمها الاشياء الجميلة ، فضياء الشمس ، والظلال الخضـر ، والحياة الحالمة كلها من الاماكن المشرقة ، ثم يعبر عن امانيه بان تزيد هذه

الاماكن من بهجتها وسعدتها ٠

ويعود متمنيا مرة اخرى ان يكون بقربها ليتحسس شعـــــرها الجميل ٠ ان صورتها المثلى في خياله تجعلها مثله الاعلى فهو لا يصـدق ، وتخامره الشكوك فيما اذا كانت مخلوقا بشريا او ملاكا خيالا ٠ لقد وصل الشاعر الى القمة بقوة الوصف الحسي واستعمال التشبيهات الرائعة غير المتكلفة باسلوب طبيعي خالي من الزخرفة والتصنع : ـ

« اين هي الان »

اين هي الان لا أستطيع ان اقول
ان العالم يحتوى كثيرا من اماكن الضياء ،
فلعل اجفان الشمس ترقص فوق اجفانها ،
لتهب البهجة والسرور لكليهما ،
او لعلها تجلس في بعض الظلال الخضر ،
وعندها فان الهواء الذي يغمرها عن عل ،
يستطيع بمائة من اعينه الزرقاء !!
ان يتطلع خلال اوراق الشجر فيجد حبيبتي ٠

* * *

أولعها تحلم عن الحياة معي ،
وخدها فوق اطراف اصابعها ،
اواه انى استطيع ان اقدم واثبا ،
من خلفها وكلى شغف ٠
ثم اتحسس بخفة خصلاتها ،
التي هي في الخلف من رقبتها ،
لابرهن فيما اذا كانت هي مادة ملموسة ،
او انها ليست الا ظلالا لشعرها الجميل ،

وفي قصيدة « الربيع في بكرته Early Spring يظهر اعجاب الشاعر في الطبيعة بجلاء ، فيختار لوصفها اجمل صورها واوقاتها ، عندما يهب النسيم في الصباح الباكر وقت الربيع ، ثم تبدو دقة ملاحظة الشاعر في الطبيعة ، عندما يهتم حتى في براعم الاوراق ، فيستعمل لوصفها صورة من صـور البلاغة المألوفـة وهي مـا يسمى « بالتشخيص » Personification عندما يعبر عن ذلك بقوله : « لم تنبت عليها تجعيدة طفولتها بعد » ٠

ويظهر اعجاب الشاعر اكثر جلاء بوصف الطيور ، ولعـل الطبيعة الغنائية الطاغية لديه دفعته في كثير من الاحيان الى ان يصف ما اقترن بالغناء والتغريد وكأنما اراد ان يسمع القارىء في كلماته وعلى لسان موصوفاته ،

فتراه قد اكثر من ذكر الطيور وتعددها فهناك « ألقنبرة » و « الشحرور » و « الدج » و « العصافير » وهي كلها طيور جميلة الشكل والصوت .

ويبلغ غرام الشاعر في الطبيعة اقصاه ، عندما يبدي اعجابه حتى في « المستنقعات المائية » و « والاجمات البرية » وهي التي يدعوها الناس بأماكن الطبيعة النتنة ، ولكنها بالنسبة للشاعر هي من الاماكن التي تجلب النظر فيود التطلع اليها والبقاء بجانبها :

« الربيع في بكرته(٢) »

ما اعذب هذا التسيم في صباح الربيع ،
حيث العشب طري ورطب ،
اني ارى بعض وريقات الشجر ،
لم تنبت عليها « تجعيدة » طفولتها بعد ،
والابقار لم تعد ترجع الى حضائرها مسرعة ،
وما اعذبه من صوت يردد « تعال »

* * *

هنا مع الطبيعة الخضراء والتي تحيط كل مكان ،
بينما القنبرة ، تلك الطير الجميل تغني
ومن يكن الان في احساس كهذا
سيطير به ، وليس باجنحته
وما اكثر طيور الشحرور والدج(٣) والعصافير ،
التي تغني اغنيتها الاكثر عذوبة ،
والتي لعل بامكاني استعادتها .

* * *

وهذه المستنقعات المائية والاجمات(٤) البرية ،
التي تدعى باحياء الطبيعة النتنة ،
هي بالنسبة لي اكثر من اي ساحة :
تمرح فيها الينابيع ،
ورجال مدججون بالسلاح ،
يحرسون كل باب من ابوابها
ولهذا استطيع ان اجلس هنا وحيدا ،
واعد شجر السنديان واحدة بعد الاخرى .

وترى الشاعر في مقطوعته الشعرية « ايام خصبة » Rich Days يبدي ولعه بالطبيعة مرة اخرى ، وبالخريف بالذات ، وهو الفصل الاكثر

قتمة وجفافا من اي فصل اخر ، ولكن يختلف الامر بالنسبة للشاعر فهو يرحب بمقدمه • فبالرغم من انه في هذا الفصل « تعصف الرياح باوراق الشجر » وتتركها عارية جرداء ، ولكن الشاعر يرى في اوراق الشجر المعصوف بها ، اكداسا ذهبية ، تتجمع بشكل متشابك جذاب •

ثم نرى تفاؤل الشاعر الملحوظ ، عندما لا يقف تصوره عند حدود « الخريف » وجفافه المألوف ، وانما يتعدى الى ابعد من ذلك ، اذ انه يتطلع الى ما سيحل بعد مضي الخريف ، وما اقصره من فصل في بلد كانكلترا — نعم انه يتطلع الى ما يتلوه من فصل خصب : اذ تورق الاشجار بعد ان خلفت وراءها ردائها القديم ، وتأتي باكلها واثمارها المتعددة الاصناف والاشكال : انه يعددها لنا واحدة بعد اخرى معطيا لكل منها صفتها البارزة فهناك « ثمر التفاح » ذو العصير اللذيذ ، بلونه الاحمر والازرق ، وهناك « الكمثري الهش » الذي يذوب في الفم ، ويلصق الاسنان ، وهناك « الكرز » ذو اللون الاحمر ، والآجاص ذو اللون السوداني الازرق • وهو يعشق هذه الاثمار جميعها (كما يعشق مظاهر الطبيعة جميعها) فكلها بالنسبة اليه : هشة ، ليس فيها ما يترك ، من نواتها حتى قشرتها •

« ايام خصبة »

مرحبا بمقدمك يا أيام الخريف الخصبة ،
قبيل أن يقبل البرد ،
والرياح التي تعصف بأوراق الشجر ،
والاكداس الذهبية تبدو في الحقل ،
كلها تقف واذرعتها متشابكة مع بعضها ،
« وكالونات »(٥) من العصير اللذيذ ،
تبدو على شجر التفاح ،
الاحمر اللون والازرقة •

* * *

مع الكمثري الناضج الذي يخدع اسناننا :
والذي يذوب لكي يلصق الالسنة داخلا ،
مع الكرز الاحمر اللون ، والاجاص ،
السوداوي الازرق ،
وهي الان لذيذة وهشة ،
من نواتها حتى قشرتها ،
واشجار الجوز الخصبة ،
التي تدفعنا لان نسير :

في اوحش الزقاق
التي نعرفها

وفي قصيدة « وقت الفراغ » Leisure نجد الشاعر يصب لومه ويبدى اسفه على الحياة الحاضرة التي ربطت الانسان بالتزامات جمة ، وجعلته كثير الانشغال والاهتمام بامور شتى جعلته يبتعد عن التطلع والتمتع بمظاهر ومناظر الطبيعة الجميلة ، المتعـددة الجوانب : فالوقوف تحت الغصون و « مشاهدة السواقي » وهي تعكس النجوم ، كلها نعم طبيعية كثيرا ما حرم منها الانسان العصري لكثرة مشاغله ، وقد يمر على بعضها ، ولكن مر الكرام ، لم يعرها اهتمامه ، ولم يجليه سحرها ·

واكثر من ذلك كله فمشاغل الانسان العصري قد تلهيه حتى من التمتع بجمـال نظـرات الجنس اللطيف ، او حركاتهن الظريفـة ، او ابتساماتهن العذبة · وقد يبدو الشاعر مبالغا هنا ·

ولكن ، على اى حال ، ان حياة كهذه ، تملأها المشاغل والاهتمام ، تبدو للشاعر حياة جافة ، قفراء :

« وقت الفراغ »

ما هي هذه الحياة ، انها مليئة بالاهتمام ،
ليس لدينا وقت للوقوف والتطلع ·

* * *

ليس لدينا وقت للوقوف تحت الغصون ،
ونتطلع بقدر ما تفعل الماشية ·

* * *

ليس لدينا وقت لننظر عندما نجتاز الاحراش ،
حيث يخفي السنجاب ثمر جوزه في الاحراش ،
ليس لدينا وقت لنرى في رابعة ضوء النهار ،
السواقي المليء بالنجوم ، اشبه بالسماء مساء ·

* * *

ليس لدينا وقت لنلتفت الى جمال النظرات ،
ونراقب قدميها وهما ترقصان ·

* * *

ليس لدينا وقت لننتظر حتى يستطيع فمها ،
ان يغنينا بتلك الابتسامة التي بدت من عينيها ،

يالها من حياة قفرة ، اذا كانت ملؤها الاهتمام ،
وليس لدينا وقت للوقوف والتطلع ٠

وتبدو رومنسية الشاعر بوضوح في قصيدته (الامنية "The Wish" ويبدى سخطه على المدنية الحاضرة مرة اخرى ، هذه المدنية التي هي ملؤها « الازدحام » والضوضاء والدمدمة ، فهي بالنسبة للشاعر شيء غير مرغوب فيه ، لا ترتضيه نفسه الحساسة المرهفة ، ومسرات حياة كهذه سرعان ما تزول وتمجها النفوس بالرغم من طعمها المغرى ، وهو يبدى شفقته على هؤلاء المنهمكين فيها - لانها ليست بالنسبة اليه الا ما يشبه خلية النحل ملؤها الدمدمة والطنين ٠

ومن جهة اخرى ، فهو يمني نفسه بان يجد الراحة والهدوء بين أحضان الطبيعة بين « ينابيعها الجارية » و « حقولها الظليلة » - لان هذه كلها هي كنوز الطبيعة : بخيراتها وجمالها ، وهدوئها ، وهناك حيث لا حركة سوى حركة الرياح ، ولا اصوات الا صوت الصدى المتردد ٠ ثم شاء الشاعر ان يكون تقليديا بعض الشيء فذكر « الالهة » التي كثيرا ما تتردد على السنة الشعراء القدامى ، واختار لها امكنته المفضلة بين رحاب الطبيعة ٠

ثم اراد الشاعر ان يجاري « الخيام » الذي يبدو متأثرا به فعبر عن سعادته القصوى ، ان يكون مع من يحب في خلوته ، وهي التي تستطيع ان تبدو الوحشة في الصحارى القفار ، لانها بمثابة العالم كله له ، ويتضمن هذا نفس معنى ما ورد في احدى رباعيات الخيام :

برغيف خبز تحت غصن شجرة ،
وزجاجة خمر ، وكتاب شعر ،
وانت بجانبي - محبوبتي ،
تغنين لي ، في القفراء ٠
ستحال القفراء ، الى جنة خضراء(٦) ٠

ثم يبدى الشاعر مخاوفه عندما يدرك الناس سعادته في مكانه المفضل بين احضان الطبيعة ، فيتوافدون متزاحمين عليها ، وعندها يبدأون بتشييد مدينة لهم بينها ، فتزول معالم الطبيعة الخضراء ، وتذهب عنها بهجتها وجمالها :

« الامنيـــة »(٧)

حسنا اذن ! اني اشاهد الان بوضوح :
هذا العالم المزدحم الذي لن ارتضيه قط
ان الشهد نفسه لجميع المسرات الدنيوية ،

سرعان ما تقرفه جميع النفوس ،
التي تفتكر انها تستحق شفقتي ،
ولاجل ذلك فهي تستطيع تحمل لذعاته !
الازدحام ، والدمدمة والطنين ،
لهذه المدينة ، الخلية الكبيرة ٠

★ ★ ★

ايتها الينابيع ! متى ساجد فيك :
الراحة لنفسي من الافكار المضطربة ،
ايتها الحقول ! متى سأشيد
المأوى السعيد من ظلالك ؟
هنا رأس ينبوع فيضان المسرات ،
هنا كنز الطبيعة الخصب ،
حيث ترقد جميع الثروات ،
التي سبكتها وطبعتها بطابع الخير ،
هنا يبدو الغرور والطموح ،
في الاستعارة البعيدة المنال ،
هنا لا توجد الا الرياح التي تستطيع —
ان تبعثر في دمدمة مؤلمة ٠
وليس هناك شيء سوى الصدى المتحلق
ان الالهة حينما تهبط من السماء الى هنا ،
فأنها دائما تختار طريقها ،
وعليه ، فربما نقول بجرأة :
انه هو الطريق الى هناك ايضا ٠
ما اكثرني سعادة ان اكون هنا ،
حيث تعيش تلك المحبوبة ،
التي هي بمثابة العالم باجمعه لي ،
قادرة ان تبدد الوحدة في الصحارى ،
اني لا اخشى اذن الا من شيء واحد :
وهو عندما يروا الناس سعادتي ،
سيتزاحمون الى هنا ،
ليعيشوا مثلي ،
ويشيدوا لهم مدينة هنا ٠

(١) Memories of my Dead Life (١٩٠٦)

(٢) Early Spring

(٣) طائر الدج هو نوع من الطيور المغردة وتسمى Trush

(٤) الاجمات جمع اجمة وهي النابة الصغيرة .

(٥) الكالون Gallon يسع اربع التار ونصف .

(٦) الترجمة عن « فز جيرالد Fitzgerald » ان هناك ، كما هو معـــروف ترجمات متعددة لهذه الرباعية ، ولبقية رباعيات الخيام .

(٧) The Wish

مصادر البحث :

Bibliography

1. Methuen, A.; "An Anthology of Modern Verre" Methuen and Co. Ltd, London, 1946).
2. Sampson, George: "The Concise Cambridge History of English Literature: (Cambridge University Press London, 1944).
3. Entuistle, William, , and Gillett, Eric: "Literature of England:" A.D. 500-1942 (Longmans, Green and Co., London, 1944).
4. Francis, J.H.: "A Course of English Poetry" (Cambridge University Press, Dondon, 1942).
5. Legouis, Emile: "A short History of English Literature," Oxford University Press, London, 1945.
6. Collins, A.S.: "Treasury of English Verze" (London Tutorial Press. Ltd., London, 1946.
7. Collins, A. S: "Treasury of English Prose (London University Tutorial Press Ltd., London 1961.
8. Westland, Peter: "Contemporary Literature 1880-1950" Vol. VI. The English University press, London, 1950).
9. Palgrave, Francis Turner: "The Golden Treasury of the Best Songs and Lyrical Poems in the English Language", (Oxford University Press, London, 1944).
10. Albert, Edward: "A History of English Literature" (George G. Harrap and Company Ltd., London 1944).
11. Smith, J.C. "A Study of Wordsworth," (Oliver and Boyd Ltd., London, 1944.

نكسة الأصوات الأولى

عبد الرحمن طهمازي

يعتاد الناس ان يتذكروا الصوت الاول في كل قضية ، يحاولون ان يستمعوه حين تكثر الاصوات وتختلط • يسمعون الصوت الاول في هذه الزحمة بنقائه وصفائه وتهدجه الاصيل •

وقد يكون ذلك الصوت من الاصوات التي حاربها الناس أو أعتقدوا أنها تريد الارتفاع بالشر •• فانهم لا يزالون يتهمونها ويكيلون لها لعنات التذمر • هكذا • بطبيعة الصوت • وطبيعة الأذان التي تسمعت ذلك الصوت •

والاصوات الاولى التي ارتفعت بالشعر الحديث هي من تلك الاصوات التي تلقفها الآذان مرة بالتنكير — يرتفع من مدخنة القديم مجاهرا متعاجبا — ومرة بالترحيب والتقبل تعلنه صفوف المجددين •

وهذه الفترة من الزمان التي نحن فيها الآن ونحاول فيها ان نكتب عن الاصوات الاولى للشعر الجديد فترة صعبة •• لان هذه الاصوات لازالت تقول باستمرار الامر الذي يجبرنا على أن ندعي اننا انما نكتب عن الاصوات لحد الآن انصافا لهذه الاصوات رغما عن أفكارنا التي سنقولها بعد قليل • فهذه الاصوات ، كانت ولا تزال من ناحية نبرتها ونغمتها ، تواجهنا بوجه واحد يتردد على سمعنا دائما وهو الشكل • أما المضامين فانها تختلف من صوت الى صوت • صوت السياب مثلا قدر على تطوير مضامينه بذات الشكل أما نازك فلم تستطع تبديل حتى المضامين •

وهكذا كانت نكسة الاصوات الاولى التي أعلنا عنها في عنوان هذه المقالة • وهي نكسة طبيعية نكتب عنها وكأنها انتهت ، مع العلم أن القارىء يدري ان معظم هذه الاصوات لا تزال تصوت ولكن بتكرار • ما العمل ؟

من الافضل ان نقفز الى أسباب ما أسميناه بالنكسة وهي طبيعية كما أنها تقريبية اكثر منها اسبابا منتهية •

فالرواد الاوائل لاية حركة يبقون على عهدهم الاول ، والقلة جدا هي التي تتطور أما أولئك الذين يملكون قوة تطويرية متجددة فأنهم يقدرون — لاية درجة — على السيطرة في عصرهم على كل نوافذ التطور وبعد انتهائهم من الحياة يكون بمقدور تلاميذهم الاستمرار بهذه التطويرات • والامثلة

كبيرة جدا فالفقه الاسلامي يتجمد لحدما على يد الفقيه الاول الذي استخرج الاصول ، فهو إنتهى الى فقهه على اعتباره من أصول دينه فالتنازل عن أي أصل معناه التنازل عن الدين وهكذا تبدو الصعوبة · أما في الادب فالمثال قريب نأخذه من جماعة (أحمد زكي أبو شادي) « ابولو » فقد استطاع محمود حسن اسماعيل التطوير في هذه الجماعة بشكل لم يستطعه أبو شادي نفسه ·

وفي بعض الاحيان ينطلق التطور من مكان ما فتبقى استراتيجية الانطلاق تكبل هؤلاء الذين ولدوا في ذلك المناخ ولكن غيرهم ، البعيدين ، يقدرون على التطوير والمثال على ذلك نموء الشعر الحر في العراق وتطويره في لبنان ·

فهؤلاء الرواد الذين تحملوا ضرائب الريادة ودفعوها بتعب مكدودين · هم الذين اتصلوا بالمؤثرات الحقيقية من الشعر الغربي ، قرأوه بلغاته الاصلية وهم الذين تحملوا مهاترات عصرهم مع تحملهم ثقل الريادة مع جدتهم وحداثتهم في الميدان ·

أما غيرهم فلم يتحملوا سوى الاقتناع هذا الذي جرى دون كلفة فقد جاء بتقبل سريع قد يبدو عميقا في مجالات محدودة · الا انه كان تقبلا سريعا دون أي شك · وهذا التقبل هيأه لهم الزمان الذي كان قدم لهم ضمن مساره حاجاتهم الى هذا الشكل الجديد ·

ثم كانت الصدمات التي انكبت فوق ظهور الاوائل فقد كانت تترك على جباههم آثارها والتي تمثلت بالتراجع الحزين بدا في الثبات على الشكل خوفا من أن يهرب من سيطرتهم فبقي هذا الشكل خلال عمليات الدفاع والتثبت · والذين جاءوا بعدهم كانوا أقل منهم تحملا لكل ذلك وهم لم يجيئوا في الوقت المناسب ولكن سحنة أولئك الرواد طبعت وجوه هؤلاء أيضا بشكلها الذي صورناه كانت تجمدا أيضا للسبب ذاته · كل ذلك في العراق الذي احتضن التجديد ودفعه فكان التجمد في العراق اكثر من أي بلد آخر ·

واذا أردنا ان نتحدث عن السلوك التاريخي القادم فسنقول ان الزمن الذي سيأتي يكون كفيلا بمحو هذه الآثار ·

وارى انني في وسط حديثي عن هذه الظاهرة لابد من طرق موضوع الاشكال في الادب حتى نلقي الضوء على هذه القضية :

فالملاحظ في الادب الحديث ان التطور الذي يلحق بالمضمون ـ خاصة اذا كان بفعل حضاري ـ يكون الشكل بدوره قد طور نفسه في عملية من رفض الشكل القديم كما رفض المضمون الجديد المضمون القديم ·

وقد تبدو ظاهرة تغيير الشكل طفرة غريبة حدثت بالتوتر الذي يسهم بتوليد حضارة ، لذلك لا يقدر الكاتب على السيطرة على هذا الشكل ولا يستطيع العودة اليه وكان هذا الشكل كان لحظة خاصة رافقت المضمون كذلك وهذا ما حدث بالضبط لدى اليوت في (الارض الخراب) حيث يصر

بعض النقاد الانكليز لحد الآن على أنها قصيدة هزلية وساخرة مع انهـا أخذت مكانها ـ بصحة أو بخطأ ـ ضمن اضبارة الادب الجدي[1] .

وفي حالة ثانية يكون الشكل مخططا كما حدث عن فوكنر في كتابته الزمنية (الصخب والعنف) التي اضطرت سارتر للحديث عن غرابة شكلها في أول سطر من كتابته عنها[2] .

ويبدو ان هذه الظواهر :ـ تطور الشكل مع المضمون ـ قد دخلت أيضا في الرواية والمسرحية كما يبدو في ثلاثية[3] بيكيت أو في (الليلة نرتجـل التمثيل) لبيراندللو .

وبعض النقاد في الغرب ـ وخاصة كبارالسن ـ يصرون على أن هـذه الاشكال والمضامين لا تبرهن على نجاحها وانمـا تبـرهن بعكسية على أن الاشكال القديمة هي انجح بكثير من هذه الاشكال الجديدة وفي بعض الاحيان ينظرون نفس النظرة الى المضامين[4] . ولكن هذا الادعـاء مردود بفعـل الانتظار . وإذا أردنا الاتزان موقتا مجاراة للجو الذي نحن فيه ـ جو النقاد الكبار الذي رفع لنا يديه بالخيبة ـ أو اشعارنا بالتراجع عن أحكامنا ـ ليس لدينا الا أن نقول لننتظر حيثما لانكون مؤمنين بالبحوث التي تقدر ان تبين ملامح المستقبل .

وهناك نوع آخر من تغييرات الشكل وهو الذي وجد لتـلافي نقص حاصل في الشكل القديم ولعل هذا النوع في بعض حالته يعني التطور وفي بعض الاحوال يكون مخلوقا جديدا مفاجئا كانتفاض بعض الروائيين على (التتابع) ومحاولتهم لزيادة ترقيه الانسان في جعـل الـرواية كالصورة والموسيقي فى توافقهما ولكن الروائيين الذين كتبوا فى هذا النوع لم ينجحوا النجاح الكافي مع توفير طيبة السبب الخفيف !

ونستطيع ان نقول ان رواية سـارتر الطـويلة التي صدر منها ثلاثة أجزاء لحد الآن هي من انجح الروايات التي كتبت بشكل التواقت . وهذا الشكل كذلك يتصدى للمضمون فيطوره معه . خاصة في (وقف التنفيذ)[5] .

ولعلنا نستطيع الاسترسال في الكتابة عن هذه الامور ولكننا حينمـا نأتي الى موضوعنا الرئيسي فاننا نلقى معظم الصـعـوبات تواجهنا . فهذا الشكل (الشعر الحر) ما زال في تطور وهو تطور ضخم اتهم على مستوى الاخلاق اكثر مما اتهم على مستوى الفن ، فحديثنا عن هذا الشكل من التطور يحتاج الى معرفة متكاملة للماضي لاقناع القارىء بالنكسة التي حدثت .

فالسياب الذي بدأ تجربة ذات عمر قصير قضاه فى الرمنتيكية المبتذلة انتقل الى الواقعية بكل قواه وبطاقة حية لم تقدر ايضـا على الخلاص من اسلوب الرومنتيكية وهو قد انفق في الواقعية الرصيد المذخور لديه فأثرى الواقعية العربية بقصائد هي بدايات السـياب الحقيقية التي قـادته الى الانتشار . وهذا الانتقال في الداخل ، داخلية العمل الادبي ، لم يلازمـه التطور نفسه في الشكل كما لاحظنا في اشكال الادب الغـربي مع العلم ان

السياب كان يعتقد انه يملك قدرة تعينه على ملاحظة الاشكال التي يكتبها ويبعد عن تقليد نفسه وخاصة في رسائله الى اصدقائه ولكننا نأسف لعدم تمكننا من رؤية تطورات كثيرة في أدب السياب ·

فهو بعد تحوله من الرمنتيكية الى الواقعية ظل فترة ما يتقمص اسلوب الرومانتيكية في التعبير حتى في مطولاته(٦) الثلاث واعظم نهضة اقتدر عليها السياب هي قصيدته الرائعة جدا (المغرب العربي) ثم (المسيح بعد الصلب) ثم (أغنية في شهر آب) وقد لاحظ بعض النقاد العرب ذلك وخاصة القصيدة الاولى ·

أما الثانية فقد كانت من الروائع التي رفعت السياب حقا في نفوس متفهميه ، والثالثة كانت من القصائد التي أثيرت حولها شبهة ما ـ أثارهـا عبد الوهاب البياتي ـ في أن السياب اخـذها من (اليوت) وهي دعوى مخرفة اكثر من أي شيء ·

أما عن المنحنى الجانبي لحياته فقد كان السياب مجموعة من التطورات والانقلابات في مواقفه بل حتى واعادة النظر باخـلاص في حياته · فهو في بداية حياته كان من جماعة (الاخوان المسلمين) ثم تلقى البصر بعد ذلك الى ننه فاذا هو في الرمنتيكية كفنان مسرف وهنا يمثل السياب دور المتطهر وقد تحول فنانا وبعد الرمنتيكية يكون السياب قد انتقل الى الواقعية بحكم انتمائه الى (الحزب الشيوعي العراقي) وهي فترة ليست طويلة الا أنها ناضجة ومهمة في حياة السياب كانسان وكفنان · بعدها تراجع السياب الى القومية حيث اعتقد انه يمكنه ان يكون قوميا كذلك · ولكنه في هـذه المرة الاخيرة يحس تناقضا صريحا فهو يكتب مرة لاحد مراسليه بايمانه (بالوحدة والحرية والاشتراكية) بهذا الترتيب في نفس الوقت الذي تضمه مجموعة (شعر) ضمن التموزيين وفي مؤتمر روما · وبعـد مؤتمر رومـا يكون السياب قد تخلى عن قوميته كما يرى بعض النقاد ـ ولـكننا نراه يعـاود التمسك بها ـ وفي الاخير يرفض حتى الامساك بنفسه ·

ومع ان فترة انقطاعه عن (الحزب الشيوعي) كانت فترة عقم بالنسبة لادبه الواقعي الاشتراكي الا انه اكثر في هذه المرة من مراثيه الذاتية المحزنه والسبب في هذا انه بعد انقلابه على الحزب الشيوعي سيطر عليه المرض لهذا لم يستطع فكره ان يسيطر عليه قدر سيطرة حاله المرضى ·

هكذا كانت حياة السياب والتي لم تتوفر فيها طردية الشكل !

أما عبد الوهاب البياتي فهو على كل حال كان له صوت واحد لم يتغير الا في بعض قصائده الهزيلة التي انحرف فيها عن خطه المتفرد ·

ثم نأتي الى نازك الملائكة ذات الاسم الخاص في هذه الكوكبة · فهي من أشد المتجمدين في رأي معظم المعاصرين للحركة الجديدة · ترى لماذا كان هذا التجمد عند نازك ثم لماذا افتقدت نازك انظار المعجبين ـ على الاقل ـ ؟

قد يضاف الى تجمد الشكل لدى نازك تجمد المضمون كذلك وهذا مما

لون المسألة تلوينا واضحا • فقد كانت قصائدها النسائية الباكية برومانسية معاندة وانتاجها القليل قد ساعدا دون تطوير شعرها ثم جاء فكرها فأفسد الجو بينها وبين زملائها وقرائها بل ان بعض انوف المتجددين تشم تراجعا من جانب نازك •

وهذا السبب الاخير لم يحدث عند بدر السياب او حتى عند عبدالوهاب البياتي فالسياب بعد انطلاقته من الرومانتيكية الى منهجه الجديد نستطيع ان نشد انتاجه النظامي شدا دون أي تشكيك بقيمة أفكاره ، والامر مع البياتي واحد مع ان البياتي كان يشكك بشعر السياب والسياب كان يشكك بشعر البياتي على مستوى أخلاقي رديء جدا الا انه لم يتهم احدهما الآخر بما يفهم منه التحول عن الفكر الجديد الذي كان بمثابة الخيط الوحيد الذي يلتفون حوله •

ويحاول بعض النقاد ان يؤكدوا على ان نازك اصيبت بردة في فكرها الاخير ، الا انني أرى ان نازك هي نفسها لم تتغير في فكرها وشعرها وكل شيء يتعلق بها ، والسبب الوحيد هو انها لم يسبق لها ان اعلنت عن افكارها الاجتماعية فظن بعض النقاد بانها مجددة قياسا على محاولتها التجديدية في الشعر ، ولذا قالوا بأنها اصيبت بردة في فكرها عندما اعلنت عنه •

أما تجمدها على شكلها فله مبرر قد يطرح وهو محاولة تقليد الانسان لنفسه أو الفنان لفنه وأول من طرح هذا التبرير بعمق هو بول فاليري الشاعر الفرنسي المجتهد في بعض محاضراته في الجمعية الفرنسية للفلسفة(٧) •

ولكن يجب التفريق بين ان يقلد الفنان نفسه ويصنع ما هو تلقائي وبين تجميد الشكل في الحركة التي توفرنا لها بالحديث فنحن انما نتكلم عن حركة حديثة أهم خصائصها الانقضاض على الحرج امام الاشكال القديمة لذلك لا ينطبق رأي فاليري – مع الاقرار بقيمته الفلسفية الخالصة – على هذه الحالة • والمنتظر من القارىء هو تصنيف رأى فاليرى والحالة هذه لينتهي التناقض الذي قد يبدو في أول الامر •

فالشكل ليس تبرعا خيريا أو حتى درسا في صفوف الاكاديميين والمدرسين لكنه عملية تطويرية علمية ايضا اكثر منه شكلا تنظيريا متموضعا بمسامير تاريخية جمالية • وهذا الرأي هو الذي دفع – في بعض الاحيان – بعض الرواد الاوائل الى الكتابة عن اشكال بعضهم ولو بالاعتداء احيانا فقد نظروا الى انفسهم بالتقابل فكان البياتي يشير الى السياب والسياب الى البياتي ويكتبان عن نازك ، وكاظم جواد يساهم في الكتابة المهمة عن هؤلاء وقد كانت كتاباتهم تتميز – آخر كل شيء ! – بالموضوعية والاخلاص والدافع اليها أولا (وحدة الشغلة) وأوضاع الشاعر السياسية والاخلاقية وانتشاره •

واحسن الكتابات الموضوعية هي كتابات كاظم جواد الاستاذ الشاعر المثقف عن عبدالوهاب البياتي(٨) واخذه عن الشعر الغربي •

وقد أشار أيضا الى نازك وتجمد مضامينها الرومنتيكية وكتب كذلك عن الذي أسماه بالنثرية في شعر السياب واعتماده على بحر الكامل فقط(٩) .

اما البياتي فقد كان يكتب كثيرا في مجلات بغداد وبيروت عن هذه المسائل وكان في حديث لكتاب يقول ان السياب قد انحدر الى السطحية والنثرية ويستشهد بقصيدة السياب (رؤيا فوكاي) ويصفها (بالسخف والهذر) ثم يهاجم الصبيان والمراهقين والسياب الذى أرانا الادب الواقعي(١٠) .

والسياب من جانبه كانت له آراء كذلك فهو يرى ان الشعر الجديد من أهم اغراضه الوحدة ولكنه لا يجد الوحدة في شعر البياتي ويستشهد بقصيدة البياتي (سوق القرية) ولكنه لم ينزل الى مستوى البياتي يقول ان البياتي شاعر مبدع حين يكتب عن تجربة صادقة . !

ثم ينظر الى نازك ويتأسف للنكسة التي حلت بشعرها . منذ عام ١٩٥٥(١١) !

★ ★ ★

لقد احس الرواد بالنكسة احساسا رائعا متيقظا .

واظن ان لدي الشيء الكثير الذي اقوله حول هؤلاء جميعا ولكن لمادة هذه الشخصيات وما ترمز اليه اترك الحديث عنها .

(١) ت. س. اليوت ـ او نهاية مدرسة أدبية ـ للشاعر الامريكي كارل شابيرو ـ مجلة المجلة ـ العدد ٥٦ ـ ١٩٦١ . ص ٤٤ .

(٢) ادباء معاصرون ـ سارتر فصل (بصدد الصخب والعنف الزمنية لدى فوكنر) ص ٤٤ .

(٣) جواب آفاق . مالون يموت . ألذين لا يسمون .

(٤) حديث اندريه مارسيل عن اللاروايه ـ الاهرام ـ ١١ـ٦ـ١٩٦٥ ص ١٢ .

(٥) وقف التنفيذ ـ ص ٥٩ .

(٦) المومس العمياء ـ الاسلحة والاطفال ـ بورسعيد (الشودة المطر) .

(٧) تأملات في الفن ـ الخلق الفني ـ بول فاليري ترجمة بديع الكسم ص ٦٦ .

(٨) مجلة الآداب سنة ١٩٥٦ .

(٩) آراء في الشعر والقصة ـ خضر الولي سنة ١٩٥٥ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(١٠) آراء في الشعر والقصة ـ خضر الولي سنة ١٩٥٥ ص ٣٦ ـ ٣٩ ـ ٤٠ .

(١١) آراء في الشعر والقصة ـ خضر ألولي سنة ١٩٥٥ الصفحات ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ .

صفاء

عبد الصاحب ياسين

بساطي ممدود وكأسي تطفح … وفي مقلتي الحلم هيمان يمرح
ودنياي ملأى بالجمال وبالهوى … وروحي في فيض من النور تسبح
تقرب مني الحسن ان غاب لمحه … رؤى لسوى مستلهم ليس تسنح
وأطمس أوجاع الحياة بنشوة … الهية تنفي الغموم وتمسح
وقلبي موصول الحنين بجنة … بها الظل يغفو والازاهر تسرح
خمائلها النشوى ترف نضارة … وأنسامها سكرى الشذى تترنح
فقل لأحباي الذين هووا أسى : … هنا الجذل المحض المروق فاجنحوا
هنا دن خمر ليس ينضب ، انه … يفيض على مر الفصول ويتضح !
تعالوا الى واد وريف يظلني … فقد حرقتكم ريح صحراء تلفح
خذوا من عيوني في الأماسي لمحة … تنير لكم وجه الدجى حين يكلح
ومن بسماتي في الصباح سماحة … لأفئدة غلق لكم ليس تصفح
تعالوا فهذا النبع ليس بغائض … وهذا الربيع الغض لا يتصوح !
تعالوا تروا لي في الفراديس وقفة … تطالعني فيها تهاويل تجمح
عرائش تعلوهن بيض زنابق … تنوء بها أعطافهن فترزح
وتؤنس فيهن الظلال عميقة … كوى خافقات الضوء ، زهراء ، لمح
ويطربهن الشدو تسمو به الرؤى … من الغيب يسعى ، لا من الطير تصدح !
وتحنو عليهن الفراشات صبوة … محومة أيان تمسي وتصبح
هنالك اذ تغفو العيون قريرة … فما شئت من سكر به الله يسمح !
غزرت اله الكون لطفا تنيله … حنانا حياة المتعبين وتمنح
أعرني هذا الحلم أزهر كلما … دجا الكرب حتى خلت أن ليس يبرح
دقائقه الأدهار تطوى كأنها … من السعد في قلب السنى تتأرجح !
يلطف مما يصهر العمر من أسى … ويملأ صدري بالصفاء ويشرح

بحث في التقاويم

محمد صديق الجليلي

(١)

التقويم اليولياني والغريغوري

طالما سألني بعض الاخوان عن الفرق بين التقويم اليولياني والذي يسمى بالحساب الشرقي أو القديم والتقويم الغريغوري والذي يسمى أيضا بالحساب الغربي أو الجديد ذلك الفرق الذي يبلغ في الوقت الحاضر ١٣ يوما وكيف تكون وللاجابة عن ذلك نقول :ـ

بناء على حصول الارتباكات الكثيرة في التقويم الروماني القديم واقتراح علماء الفلك باصلاحه وضع يوليوس قيصر عام ٤٥ قبل الميلاد التقويم المسمى باسمه (التقويم اليولياني او اليوليوسي) وقد تقرر اعتبار السنة الشمسية (من اعتدال ربيعي الى اعتدال ربيعي) تساوي ٣٦٥ يوما وربع اليوم أي ٦ ساعات كاملة ولعدم امكان احتواء السنة التقويمية على كسور اليوم الواحد تقرر اعتبار السنين كل ثلاثة منها بسيطة ويحتوي كل منها على ٣٦٥ يوما كاملا والسنة الرابعة تكون كبيسة وتحتوي على ٣٦٦ يوما كاملا وذلك باضافة هذا اليوم الزائد المتجمع من أرباع الايام الى شهر شباط فيكون شهر شباط في تلك السنة الكبيسة ٢٩ يوما بدلا من ٢٨ يوما كما هو الحال في السنين البسيطة . ومن هنا جاءت القاعدة في كبس السنين التي يقبل عددها القسمة على عدد ٤ بدون باقي .

هذا ولاعتبارات خاصة تتعلق بأعياد الامبراطورية الرومانية حول يوليوس قيصر رأس السنة وجعله من أول يناير (كانون الثاني) بدلا من أول مارت (آذار) كما كان في التقويم الروماني القديم وكان الاعتدال الربيعي في ذلك العصر يقع يوم ٢٥ مارت (آذار) وقد سمي شهر تموز باسم يوليوس قيصر ذكرى هذا الاصلاح .

هذا ولما كان طول السنة الشمسية الحقيقي هو : ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية تكون السنة اليوليانية والحالة هذه أطول من السنة الشمسية الحقيقية بمقدار ١١ دقيقة و١٤ ثانية . وتتجمع هذه

الزيادة البسيطة فتصير ٤٥ دقيقة في مدة أربع سنوات فعندما نكبس يوما كاملا في آخر شهر شباط كل أربع سنوات يكون قد كبسنا ٤٥ دقيقة زائدا عن المطلوب • هذا وتتراكم هذه الزيادة نتيجة الكبس المتواصل فتبلغ يوما كاملا في كل ١٢٨ سنة فلو كان قد تقرر اسقاط يوم واحد في كل ١٢٨ سنة وذلك بعدم كبس تلك السنة واعتبارها من السنين البسيطة لبقيت اشهر التقويم ثابتة بالنسبة لفصول السنة ولما احتاج التقويم اليولياني الى اصلاح • الا أن استمرار الكبس الزائد ادى الى تزحزح يوم الاعتدال الربيعي فأخذ يتقدم نحو أوائل شهر آذار ، فعند وضع هذا التقويم كان الاعتدال الربيعي يقع يوم ٢٥ آذار • وفي القرن السادس عشر الميلادي أصبح الاعتدال الربيعي يحدث يوم ١١ آذار ولما كان استمرار ذلك يؤدي في المستقبل البعيد الى تزحزح الاشهر الشمسية عن مواقعها بالنسبة لفصول السنة فيأتي مثلا كانون الثاني في فصل الصيف وتموز في فصل الشتاء اقترح علماء الفلك عام ١٥٨٢ على البابا غريغوريوس الثالث عشر بلزوم اصلاح التقويم اليولياني فأمر البابا بذلك وجرى الاصلاح كما يلي :ـ

١ ـ تقرر ارجاع يوم الاعتدال الربيعي من يوم ١١ آذار الى يوم ٢١ منه وذلك باسقاط عشرة أيام من التقويم اليولياني على أن يعتبر يوم ٥ تشرين الاول سنة ١٥٨٢ الذي عقد فيه الاجتماع يوم ١٥ منه أي ١٥ تشرين الاول سنة ١٥٨٢ • واما السبب في عدم ارجاع يوم الاعتدال الربيعي الى يوم ٢٥ آذار كما كان يقع ايام يوليوس قيصر وذلك باسقاط ١٤ يوما عوض عشرة أيام فهو عند انعقاد المجمع المسيحي الشهير في مدينة نيقيا (ازنيق) عام ٣٢٥ ميلادية كان الاعتدال الربيعي في ذلك العصر يقع يوم ٢١ آذار وكان المجمع المذكور قد ثبت المواسم والاعياد المسيحية بالنسبة للتقويم ووضع قواعد لحساب ذلك منها قاعدة لتعيين يوم عيد الفصح وهي أن يكون عيد الفصح في يوم الاحد الذي يلي البدر الواقع بعد الاعتدال الربيعي أي أن يكون عيد الفصح دائما في أول يوم أحد يأتي بعد منتصف الشهر القمري الذي يقع بعد ٢١ آذار لذلك قرر ارجاع الاعتدال الربيعي الى يوم ٢١ آذار حفظا لتلك القواعد الحسابية من الاختلال •

٢ ـ تقرر اسقاط ثلاثة أيام في كل اربعمائة سنة وذلك بعدم كبس ثلاث سنوات من السنين الكبيسة واعتبارها سنين بسيطة في كل أربعة قرون ووضعوا قاعدة لذلك وهي أن تكون السنين الواقعة في نهايات القرون سنين بسيطة الا اذا كان عدد السنين يقبل القسمة على عدد ٤٠٠ فتكون عندئذ تلك السنة كبيسة وعليه فسنة ١٦٠٠ ميلادية كانت كبيسة لانها تقبل القسمة على ٤٠٠ اما سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠ فكانت سنين بسيطة بالنسبة للتقويم الغريغوري لانها لا تقبل القسمة على عدد ٤٠٠ في حين كانت جميع هذه السنين كبيسة بالنسبة للتقويم اليولياني

لانها تقبل القسمة على ٤ ٠

فالفرق اذا بين التقويمين هو ان التقويم اليولياني يعتبر جميع السنين التي تقبل القسمة على ٤ هي كبيسة اطلاقا اما التقويم الغريغوري فيعتبر هذه السنين كبيسة ايضا الا السنين الواقعة في أواخر القرون فيعتبرها بسيطة ما عدا التي تقبل القسمة على ٤٠٠ فتكون كبيسة ٠

والان نعود الى اصل السؤال وهو كيف تكون الفرق بين التقويمين والذي يبلغ في الوقت الحاضر ١٣ يوما فنقول :ـ

عندما وضع التقويم الجديد الذي سمي بالغريغوري عام ١٥٨٢ ميلادية وقرر اسقاط عشرة ايام من التقويم اليولياني كما سبق بيانه صار الفرق بين التقويمين في تلك السنة عشرة ايام وفي سنة ١٦٠٠ وقع الكبس في التقويمين لان ١٦٠٠ تقبل القسمة على ٤ وبعين الوقت على ٤٠٠ وعليه استمر الفرق بين التقويمين عشرة ايام فقط ٠ وفي عام ١٧٠٠ كبس اليولياني لان ١٧٠٠ تقبل القسمة على ٤ فكان شهر شباط في التقويم اليولياني في تلك السنة ٢٩ يوما اما التقويم الغريغوري فلم يكبس لان ١٧٠٠ ليست من مضاعفات عدد ٤٠٠ وعليه بقي عدد ايام شهر شباط في تلك السنة في التقويم المذكور ٢٨ يوما فقط وعليه صار الفرق بين التقويمين في تلك السنة ١١ يوما ٠

ثم في سنة ١٨٠٠ ايضا كبس اليولياني ولم يكبس الغريغوري فصار الفرق ١٢ يوما ٠ ثم في سنة ١٩٠٠ كبس اليولياني ايضا ولم يكبس الغريغوري لنفس الاسباب فصار الفرق بين التقويمين ١٣ يوما كما هو عليه الان ٠

أما في سنة ٢٠٠٠ ميلادية فسوف يقع الكبس في التقويمين وعليه سوف يستمر الفرق بينهما ١٣ يوما اما في سنة ٢١٠٠ فسوف يكون الفرق بينهما ١٤ يوما وفي سنة ٢٢٠٠ فسوف يكون الفرق ١٥ يوما وهكذا سوف يكون الفرق بين التقويمين عام ٣٠٠٠ ميلادية ٢١ يوما وسوف يقع الاعتدال الربيعي بالنسبة للتقويم اليولياني في تلك السنة يوم ٢٨ شباط في حين يستمر يوم الاعتدال الربيعي ثابتا بالنسبة للتقويم الغريغوري أي في ٢١ آذار ٠ وهنا يتضح لنا كيف ان شهر شباط أخذ يتزحزح ليأخذ مكان شهر آذار بالنسبة لفصول السنة بنتيجة الكبس الزائد بالنسبة للتقويم اليولياني ٠

بعد وضع التقويم الجديد أخذ استعماله يعم الدول الاوربية بالتدريج وآخر من اخذ به روسيا والدول البلقانية أما في العراق فبقي التقويم القديم مستعملا الى حين الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار سنة ١٩١٧ حيث استبدل بالغريغوري مع اخذ السنين الميلادية اما في الموصل فجرى ذلك بعد احتلالها في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ٠

كان التقويم المستعمل في العراق منذ الفتح الاسلامي هو التقويم الهجري القمري وكان المؤرخون يسردون الحوادث التاريخية بالسنين الهجرية والاشهر القمرية الا أنهم احيانا كانوا يضطرون لذكر الاشهر الشمسية وذلك في الحالات التي تستوجب ذلك كحوادث المناخ والجو المختلفة مثل سقوط الامطار والثلوج وغيرها الا ان سردهم لتلك الحوادث كان ضمن السنين الهجرية اما النظام فكان النظام اليولياني باسماء الاشهر الكلدانية ٠

فمثلا نرى المؤرخ الموصلي الشيخ ياسين بن خيرالله الخطيب العمري يؤرخ سقوط الثلج في الموصل في غير اوانه عام ١١٦٣ الهجري فيقول في كتابه (الآثار الجلية في الحوادث الارضية) وفيها (أي في سنة ١١٦٣ هـ) وقع الثلج في الموصل يوم السادس والعشرين من آذار (٦ نيسان ١٧٥٠) وارتفع على الارض قدر شبر وقتل بعض الزروع مثل الخيار والترعوز ٠

ويؤرخ أحد الادباء سقوط الثلج في الموصل عام ١١٨٤هـ في شهر شباط فيقول :

حوادث الدهر احاطت بنا ... وهمها كم من فؤاد صدع
وجلل الثلج فارخته ... ثلج علينا بشباط وقع
١١٨٤ هـ

ويؤرخ أحد الادباء فيضان دجلة وغرق جانب الرصافة من بغداد عام ١٣٣٣ هـ حيث كان الفيضان المذكور في تشرين وهو من الاحوال النادرة فيقول :ـ

عوذت داري ومن قد حل ساحتها ... بقل اعوذ برب الناس والفلق
عام به الماء في تشرين حين طغى ... على الرصافة قد ارخت بالغرق
سنة ١٣٣٣ هـ

وكان الفيضان المذكور في اواخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ واوائل المحرم ١٣٣٣ هجرية (تشرين الثاني ١٩١٤) ٠

وهكذا نرى بانهم كانوا يؤرخون بالاشهر الشمسية مع السنين الهجرية القمرية وبدون سنين شمسية ٠

أما عند المسيحيين وخاصة في الموصل فكان المستعمل هو التقويم اليولياني باسماء الاشهر الكلدانية والسنين اليونانية والتي تسمى أيضا بالسنين السلوقية ومبدأ هذه السنين هو ٣١١ قبل الميلاد وذلك بعد وفاة الاسكندر وتأسيس الدولة السلوقية في العراق من قبل احد قواده سلوقيوس نيكاتور وتحويل مثل هذه السنين الى سنين ميلادية يكون بطرح ٣١١ منها فقط ٠

(٢)

التقويم الشمسي العثماني المسمى بالسنين المالية الرومية

ان التقويم الذي كان مستعملا في العهد العثماني عادة هـو التقويم الهجري القمري الا ان الدولة اتخذت في العصور الاخيرة نوعـا من التقويم الشمسي سمي بالسنين المالية الرومية وذلك لاسباب مالية وهي :ـ

١ ـ لما كانت السنة القمرية أقصر من السنة الشمسية بمقدار ١١ يوما لذلك كانت الاشهر القمرية غير ثابتة بالنسبة لفصول السنة فهـي دائما تتنقل بين الفصول فيأتي شهر محرم احيانا في فصل الصيف وأحيانا في فصل الشتاء ، وحيث ان المواسم الزراعية والحاصلات تتوقف على سير الشمس والفصول كانت الاشهر القمرية والحالة هذه غير صالحة لذلك .

٢ ـ لما كان كل ٣٣ سنة شمسية تساوي ٣٤ سـنة قمرية كانت الدولة العثمانية والحالة هذه تدفع لموظفيها رواتب ٣٤ سنة كاملة في حين كانت هي تستوفي واردات ٣٣ سنة فقط وكان في ذلك كما لا يخفى ضرر فاحش لبيت المال . وعليه قررت الدولة العثمانية في العصور الاخيرة اتخاذ نوع من التقويم الشمسي سمي بالسنين المالية الرومية كما يلي :ـ

١ ـ أخذت عدد ايام الاشهر ونظام الكبس من التقويم اليولياني .

٢ ـ اخذت اسماء الاشهر الكلدانية التي كانت مستعملة في هذه البـلاد بعد استبدال اسماء ثلاثة اشهر منها فقط وهي مارت عوض آذار ومايس عوض ايار واغستوس عوض آب .

٣ ـ جعلت رأس السنة أول مارت وذلك لقربه من موسم الحاصلات .

٤ ـ اخذت السنين الهجرية القمرية لهذا التقويم وكان ذلك خطأ كبـيرا اذ خلطت سنين قمرية بسنين شمسية حيث كان بالامكان استعمال سنين هجرية شمسية منذ السنة الاولى التي حدثت فيها الهجـرة الشريفة .

٥ ـ تقرر اجراء الزحف او ما سمي بالتركية (سويش) كلما بلغ الفرق بين السنين الشمسية المالية والسنين الهجرية القمرية سنة كاملة وذلك بالرجوع للسنين الهجرية كي لا يكون هناك فرق بين التقويمين في عدد السنين ولتفصيل ذلك نقول :ـ

لما كان كل ٣٣ سنة شمسية ٣٤ سنة قمرية كان عدد السنين الهجرية القمرية والحالة هذه دائما يسبق عدد السنين المالية الشمسية للامور المالية وعدم الاهتمام بالسنين تقرر اجراء الزحف (سويش) كلما سبق التقـويم الهجري للتقويم المالي سنة كاملة وذلك بأخذ السنين الهجرية وعدم مواصلة السنين المالية . ومثالا لذلك نفرض انا اتخذنا عام ١٣٥٦ هجرية مبـدأ للسنين المالية فيكون :ـ

١ محرم سنة ١٣٥٦هـ يوافق ١ مارت سنة ١٣٥٦ مالية وبعد ذلك بسنين سوف يكون :ـ

١ محرم سنة ١٣٨٨ هـ يوافق ١٧ مارت سنة ١٣٨٧ مالية .

وهنا نجد ان السنين الهجرية قد سبقت السنين المالية سنة كاملة وعندئذ تجري عملية الزحف (السويش) وذلك باسقاط سنة ١٣٨٧ المالية وأخذ سنة ١٣٨٨ الهجرية فيصبح بعد هذه العملية :ـ

١ محرم سنة ١٣٨٨ هـ يوافق ١٧ مارت سنة ١٣٨٨ مالية .

هذا وكانت عملية السويش هذه تجري بموجب اوامر تصدر من استانبول الا انه في العصر الاخير من العهد العثماني اهملت عملية السويش هذه فتكون الفرق بين السنين الهجرية والسنين المالية وأخذ يزداد ذلك الفرق بالتدريج حيث صار في الوقت الحاضر ٤ سنوات حيث نحن الآن في سنة ١٣٨١ مالية رومية وسنة ١٣٨٥ هـ .

يتضح للقارىء مما تقدم مقدار الخطأ الذي وقعت به الحكومة العثمانية في استعمالها هذا التقويم المرتبك المشوش ولو كان قد اقتصر على استعماله في الامور المالية فقط لهان الامر الا انه مع الاسف استعمل في كثير من الشؤون وخاصة في الاجيال الاخيرة من العهد العثماني حيث سجل بموجبه الكثير من التواريخ والوثائق الامر الذي احدث الكثير من الارتباكات التاريخية التي يصعب تصحيحها . ومن الامثلة على ذلك السالنامات (حوليات) التي صدرت في العهد العثماني الاخير لكل من ولاية بغداد وولاية الموصل فقد صدر لولاية بغداد عدد كبير منها اما للموصل فقد صدر لها خمس سالنامات فقط . الاولى كانت لسنة ١٣٠٨هـ ـ ١٣٠٦ مالية ، والثانية كانت لسنة ١٣١٠هـ ـ ١٣٠٨ مالية ، والثالثة كانت لسنة ١٣١٢هـ ـ ١٣١٠ مالية ، والرابعة كانت لسنة ١٣٢٥هـ ـ ١٣٢٣ مالية ، والخامسة كانت لسنة ١٣٣٠هـ ـ ١٣٢٨ مالية ، وهذه السالنامات كما لا يخفى تحتوي على كثير من المعلومات المهمة عن الولايتين المذكورتين بغداد والموصل من تاريخية وثقافية واقتصادية وغيرها من المعلومات المفيدة كما يحتوي كل منها أيضا على جدول باسماء الولاة الذين حكموا في الولايتين المذكورتين في العهد العثماني مع تواريخ توليهم الحكم بالسنين الهجرية القمرية الا انه في الجيلين الاخيرين سجلت تلك التواريخ بالسنين الشمسية المالية فوقعت الاخطاء في الجداول المذكورة .

اما فيما يتعلق ببغداد فقد صلح تلك التواريخ الاستاذ المؤرخ السيد عباس العزاوي المحامي في كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) وذلك لكثرة المصادر التي لديه عن تلك الفترة لاسيما مجموعة جريدة الزوراء ، اما في الموصل فالمصادر عن هذه الفترة نادرة جدا بل مفقودة فقد صدرت أول جريدة في الموصل عام ١٣٠٢ هجرية (١٨٨٤م) وكان اسمها الموصل وكانت

تصدر اسبوعيا صباح كل يوم خميس وباللغة التركية ، واعداد هـذه الجريدة مفقودة الا ما ندر فقد احرقت مجموعاتها مع كثـير من سجلات واوراق الولاية في الايام الاخيرة من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ من قبل الجيش العثماني عند انسحابه من الموصل واحتلال الانكليز لها • هذا ولدى كاتب هذه السطور مجموعة لاعداد أربع سنوات منها فقط وذلك من عدد ٦٦٢ الصادر في ١٣ ربيع الاول عام ١٣٢٠هـ الى عدد ٨١١ الصادر في ١٣ محرم عام ١٣٢٤هـ • ومع كل ذلك فقد صلح كاتب هـذه السطور معظم تلك التواريخ المغلوطة الواردة في سالنامات الموصل ولكن بصعوبة كبيرة •

والآن نعود الى بحثنا عن التقويم المذكور فنقول وفي سنة ١٩١٧ أراد الاتراك اصلاح تقويمهم الشمسي هذا فقرر مجلس المبعوثان (مجلس النواب) في كانون الثاني عام ١٩١٧ اصلاح التقويم باخذ النظام الغريغوري وتـرك الحساب اليولياني وذلك باسقاط ١٣ يوما وهو الفرق بين التقويمين فتقرر أن يشطب تاريخ يوم الخميس ١٦ شباط سنة ١٣٣٢ مالية رومية ويعتبر ذلك اليوم يوم الخميس ١ مارت سنة ١٣٣٣ مالية رومية •

هذا وقد وردت الى بغداد بوقتها برقية بهذا الخصوص جاء بترجمتها العربية المنشورة في الجزء الثامن من تاريخ العراق بين احتلالين ما يلي :ـ

لما كان التاريخ المستعمل في البلاد العثمانية لا قيمة فنية لـه ودوام استعماله نقيصة عزمت الدولة عزما اكيدا ان تتبوأ مكانا خاصا في ذروة المدنية العصرية اقترحت الحكومة على مجلس النواب العثماني اهمال التقويم المذكور واستعمال التقويم المستعمل في جميع العالم المتمدن فقبل المجلس اللائحة المذكورة • وبناء على ذلك فسيصير اليوم السادس عشر من شباط سنة ١٣٣٢ اليوم الاول من مارت سنة ١٣٣٣ •

هذا ولا تزال مفكرات الجيب التي تصدر سنويا في بغداد تذكر هـذا التقويم حيث ان كثيرا من المواطنين يحتاجونه لما لديهم من التواريخ التـي تهمهم والمسجلة بموجبه •

واتماما للفائدة سوف نختار احد ايام الشهر الحالي ونسجله هنـا بمختلف التقاويم لكي يقارن فيما بينها كما يلي :ـ

(الاربعاء ١٢ جمادي الاولى سنة ١٣٨٥هـ) يوافق (٨ ايلول سنة ١٩٦٥ ميلادية غريغورية) ويوافق (٢٦ آب سنة ١٩٦٥ ميلادية يوليانية) ويوافق (٢٦ اغستوس سنة ١٣٨١ مالية رومية) ويوافق (٢٦ آب سنة ٢٢٧٦ يونانية سلوقية) ويوافق (٨ ايلول سنة ١٣٤٤ هجرية شمسية) •

الى هنا نكتفي وفي مقال قادم ان شاء الله سوف نتكلم عن التقاويم القمرية المختلفة ودورة ميتون للقمر ونظام الكبس والنسيء وابسط الطرق في تحويل التواريخ القمرية الى شمسية وبالعكس والله الموفق •

نبضات قلب

محمد حسين آل ياسين

منى الروح لا يقوى على محوها الدهر
وأنى وقلبي ملؤه الحلم والصبر

أعلل نفسي أن للصبح أوبة
ومهما دجى ليل سيعقبه فجر

وإما طمى موج فلابد ساحل
ولابد من غيث اذا ظمىء الزهر

ولولا تعاليل لمت من الاسى
فما أروع التعليل ان مسني الضر

وما أروح الشكوى لذي علة له
شجون وآلام يضيق بها الصدر

وما أثقل الدهر الخؤون على فتى
أطاحت به البلوى وطلقه البشر

غنائمه نهب بأيد سقيمة
وأيديه من فيء ومن مغنم صفر

* * *

تخضب خدي أدمع طال قطرها
ولم ار ارضا زاد في جدبها القطر

يحتم كبري أن أكفكف دمعتي
فاني ذو نفس يظللها الكبر

وأن أكتم السر الذي عاش في دمي
فحرب على الايام أن يكتم السر

فقد عشت والاحزان ما بين أضلعي
لهيب ، كما يذكو بيابسة جمر

وقد عشت والاحزان تأكل مهجتي
كما انقض فوق الطير يأكله الصقر

وسرت ولا أدري الى أي مقصد
ولكنني أدري : سيرهقني السير

فان دروب الصبر والحلم صعبة
وأصعب من هذين أني مضطر

وأصعب من هذا وذاك كليهما
حياة وأيام عمادهما الغدر

* * *

وعلة نفسي أنني لم أكن أرى
بدنياي ما يرتاح في فيئه حر

ولا شمت شبرا واحدا أحتمي به
فقد ضاقت الدنيا وعز بها الشبر

وأرخى دجى البلوى على سدوله
وغاب بخدر الليل والعتمة البدر

وعبست الآمال وانطفأ السنا
وكدر لي كأس الهنا علقم مر

ولكن في لوح الخلود رواية
تسجلها الايام كللها النصر

صبور أغاض الهم والحزن صبره
حليم أحاطته الفضيلة والفخر

تجلد حتى ذلل الضيم والقذى
تمرح في عينيه أطيافه الغر

* * *

أعابوا على الشعر فنا وصنعة
وما علموا لولاي ما أزهر الشعر

ولولاي لم يبعث طروب بلحنه
ولا صدحت من فوق أغصانها الطير

وقالوا اكتنز مالا تكن من سراتنا
ولا بد لي من قبله البخل والمكر

وبيني وبين البخل والمكر عزة
يطيب بها عمري ويحلو بها الفقر

وان كان ما يعلي الفتى وفر ماله
وليس سجاياه ، فلا كان لي وفر

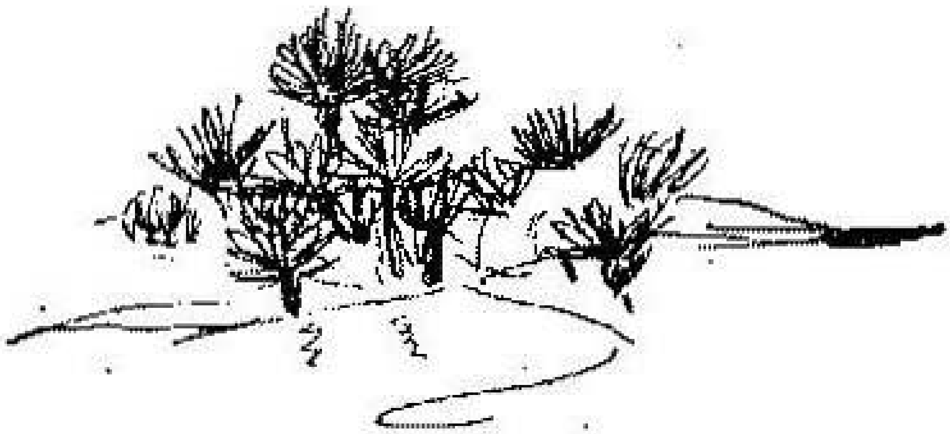
وأول عهدي بالأبا كساره له
متى لحن لي أطيافه لفني الذعر

ولكنني أصبحت ندمان كأسه
ومخمورها ، اذ طاب منه لي الخمر

وأصبحت لا أرضى سوى المجد مذهبا
ففي أذني عن كل ما دونه وقر

عليك العفا يا أيها الدهر ولتكن
رحيما بتطهر هذه الذنب والوزر

وما زلت أدعو الله عفوا ورحمة
ففي رحمة الرحمن ينشرح الصدر



دفاع عن الشعر الحديث

احمد حازم يحيى

اذا كان الشعر الحديث (المسمى بالشعر الحر) قد قصد به ـ كما يدعي انصار القديم[١] ـ الاساءة الى اللغة العربية والتراث العربي بشكل عام ، فأنا ، دون تحفظ ، من اعداء الجديد وانصار القديم ٠

الا انني اريد ان اصحح هنا مفهوما ارى فيه السبب الرئيس في هذه المعركة اللامجدية ٠

لا انكر ان هناك محاولات عامدة في هذا الباب ، ومحاولات اخرى اساسها العجز عن استكمال شروط العربية ، ثم محاولات ثالثة مبعثها الغربة والبعد عن هذه اللغة وتراثها الاصيل ٠

هذه المحاولات الثلاث : التعمد المغرض والعجز والغربة موجودة فعلا ، بيد ان انصار القديم جعلوا من ذلك قاعدة يطبقونها على الشعر الحديث عامة ، دون تمييز بين هذا المحتوى او ذاك ، فكأنما الشكل نفسه ما يخافون ٠

نحن هنا ، في معركتنا الادبية ، بحاجة الى اسس سليمة نعتمد عليها ، فلا يجوز لانصار القديم ان يهملوا كل ماهو على الطريقة الحديثة وينهموه ٠

الاساس الاول الذي نعتمد عليه ، ليس في حالة الشعر الجديد فقط ، بل وفي الفن التعبيري[٢] قاطبة ، هو الاخلاص في هذا الفن ـ اي الاخلاص في التعبير عن حالة شعورية أعانيها ٠ الاساس الثاني هو التمكن من اللغة (والا جاء التعبير ركيكا هزيلا) ٠ والاساس الثالث تمثل التراث ليكون للجديد جذوره العميقة ، فلا ينشأ في غربة مطلقة ٠

هذه الاسس الثلاثة : الاخلاص ـ مقابل القصد المغرض ، والتمكن من اللغة ـ مقابل العجز ، وتمثل التراث ـ مقابل الغربة ، هي في عقيدتي ما يجب ان ننظر اليه في الشعر الجديد (الحر) وفي كل لون من الوان الفن التعبيري ٠

---

(١) كتبت هذا المقال على اثر الندوة التلفزيونية حول الشعر القديم والشعر الجديد ـ الندوة الثقافية التي يديرها الاستاذ سالم الآلوسي ـ وكان قد شارك فيها كل من الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني والدكتور صفاء خلوصي والدكتور عناد غزوان ومؤلف هذا المقال ٠

(ا ٠ ح ٠ ي)

(٢) اقصد بالتعبير هنا اللغة ٠

ان الذى يحاول حبس التطور كمن يحاول حبس ماء جار ـ النتيجة ، ان أفلح ، ماء آسن ولا ريب • ولكن الاندفاع الاهوج ، الاندفاع الفج ، الاندفاع الدخيل يمكن التصدى له بفتح باب سليم للرغبة المشروعة ، الرغبة الطبيعية في التطور ، في ابداع الجديد ؛ كأن تفتح مجرى آخر لهذا الماء ، لا ان تصده وتحبسه •

فالشعر الحديث اذن ، كأى لون من الوان التطور الطبيعي ، وككل نتاج فكرى او فني من نتاج الانسان ، قد يكون جيدا وقد يكون رديئا ،مثله في ذلك مثل الشعر القديم •

المهم ان نتجه اليه بروح النقد البناء لا روح التهجم والاعراض ، على ان تكون اسسنا في تقييمه الاسس الثلاثة العامة التي نقيم بها كل لون من الوان الفن التعبيرى (اى الذى يقوم على اللغة) وهي الاسس التي ذكرتها آنفا : الاخلاص ، والتمكن من اللغة وتمثل التراث (في حالتنا تمثل التراث العربي الاصيل) •

أما الاخلاص فهو انتفاء القصد المغرض ، كما أسلفنا ، وشرط في كل عمل انساني نريد تقييمه • واما التمكن من اللغة فشرط اولي كذلك •

ولا يعني تمثل تراثنا العربي ان يغفل الفنان مشاعره الشخصية او يطمس نظرته الابداعية الحديثة الى الحياة ، بل المقصود ان يبدع شخصية أمته او يضيف اليها عن طريق ابداع شخصيته هو ، فالشاعر العبقري يستطيع ان يجعل امته تحلم احلامه اذا كان نتاجه مبنيا على تراثها ـ على الجذور التي يقوم عليها كيانها ـ يستطيع ان يرفع أمته الى مستوى هذه الاحلام اذا كان للاثنين أساس مشترك من الوعي ـ من التراث •

الاركان الثلاثة التي وضعناها هي المقومات الاولى للنتاج الفني ، وغياب ركن منها يجعلنا نهمل النتاج او نعرض عنه • أما الاجادة (أي الابداع في ذلك النتاج) فواضح انها موضوع النقد الادبى عامة وتعتمد على الموهبة ، فلا مجال لها في هذا المقال •

ولا ريب ان الركن الثاني (التمكن من اللغة) معناه العميق تمثل التراث ، فهو والركن الثالث شيء واحد او يكاد • وانما أكدت على ذلك ليكون واضحا انني هنا بصدد البحث في الفن على مستوى الامة ـ ما يسمى بالادب القومي او الفن القومي عموما •

وأرجو الا ينصرف الذهن الى ان ما أعنيه هنا هو ، بالضرورة ، الواقع السياسى او الاجتماعى بمعناه المحدود ؛ بل الوعي المستمد ، في جوهره ، من الامة (من احلامها وآمالها واحزانها وافراحها وأساطيرها •• الخ) • والاضافة اليه • وفي حالة العبقرية الضخمة ، خلق الوعي القومي (عند افتقار القوم الى حلم يجمعهم أو امل أو ألم يربط بينهم) •

هذه هي مكانة « اندرسن » في الدانمارك و « جيمس جويس » عند الارلنديين ، على سبيل المثال • فالعنصر الانساني العام جزء لا يتجزأ من

الضمير القومي عند هذين الكاتبين •

كان جواب جويس ، حين سئل عما اراد بكتابه « يوليسيس » أن قال: « لقد خلقت به ضمير أمتي » •

وعلى النطاق العربي ، في هذا العصر ، يحضرني اسم علي محمود طه ، فقد اضاف كثيرا الى الضمير العربي ـ كان شاعرا قوميا كبيرا بالمعنى الذى أوضحته • لقد خلق النبض الرومانتيكي في هذا الضمير • كانت اغـاني « الملاح التائه » ـ وهو الرمز الذى يجمع دواوينه ـ اغاني الضمير العربي الحديث وهو يبحث عن حلم يجمعه وامل يشده • ومع ذلك ، فهذه الاغاني، ككل اثر كبير ، تجمع العنصر الانساني والعنصر الشخصي بجانب هـذا الرمز • وحتى لو كان هذا الرمز غير مقصود فلن تنقص من قيمته هـذه الحقيقة ، فسوف يظل الضمير العربي يجد فيه صورته لان مبدعه شاعر وعى هذا الضمير ووعى تراثه ، فبين الاثنين جذور عميقة •

والشعر الحديث ينتظر من يرفعه الى هذا المستوى •

نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، على سبيل المثال ايضا ، قطبان من اقطاب هذا اللون الاخير من الشعر ، الا انهما لم يبلغا مستوى الرمز الجامع ـ الرمز الذى يجمع العناصر الثلاثة : الشخصي والقومي والانساني (وهي ، في الواقع ، عناصر لاتقبل التجزئة في الادب القومي الذى عنيناه) •

اما نازك فلم تستطع ان تتعدى حدود حياتها الى مستوى هذا الرمز • وأما السياب فقد تورط في اساطير وطقوس غريبة عنا وبعيدة عن ضميرنا •

ولا يعنى هذا انكار ما لهذين الموهوبين من أثر كبير في التجـديد والابتكار • لقد استطاعا ان يقنعا الكثيرين بمستقبل هذا الشعر الجديد •

نعود الان الى المآخذ الفنية التي يأخذها انصار القديم على الشـعر الجديد ، وبالامكان حصرها في مأخذين أساسيين ، الاول : بعد هذا الشعر عن الاوزان العربية القديمة أو على الاقل (طريقة التقسيم الجديد للتفعيلة) تجعله نابيا بالقياس الى ما ألفته الاذن العربية •

والواقع ان هذا طبيعي جدا في كل تطور ، ولابد من النظرة المتعاطفة ـ ومحاولة التفهم أمام الجديد لكي نألفه ونتبين محاسنه • الجيل الجديد ،على هذا ، اكثر قدرة على الحكم ، فقد نشأ بين القديم والحديث ، وله الخيـار • المهم ان نربي هذا الجيل على الاسس العربية الفصيحة ليبني شعره الحديث على أساسها • ولا ضير بعد ذلك ، في أن يأتي هذا الشعر بتفعيلة واحدة وان تتعدد قوافيه وان ينحو المنحى الذى تريده له المشاعر المبدعة •

المأخذ الثاني يكاد يكون منبثقا عن المأخذ الاول ، وهو ان اندفاعنـا في هذا اللون من الشعر سيبعدنا عن تذوق الشعر العربي القـديم ـ اى يبعدنا عن تراثنا • وهو ادعاء أبعد ما يكون عن الواقع • أنا ، نفسي ، ممن يرون في الشعر الحديث امكانيات واسعة في اللغة العربية ، ويلذ لي ان اقرأ الجيد منه ، واعجب ببعضه اعجابا كبيرا ، ومع ذلك فالكثير من الشـعر

العربي القديم يهزني بعنف ـ الى حد الدموع • ولا ارى في ذلك تعارضا مطلقا ، فالتاريخ جزء لايتجزأ من موقفنا الشعوري تجاه الاثر الفني •

على سبيل المثال ، ان اعجابي شديد بهذا البيت من الشعر العربي القديم وبمحتواه الشعوري :

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية   سقى زمانك هطال من الديم !

فظروف الشاعر في ذلك الزمن وانسجام مشاعره مع المطر والسقي والحياة جزء لايتجزأ من مشاعر الاعجاب عندى • فلو ان شاعرا في القرن العشرين قال هذا البيت لما هزني على الاطلاق ولوجدت فيه تصنعا وتقليدا •

وكذلك الحال مع الوقوف على الاطلال ـ هذا الموقف الذى أرى فيه اروع ما وصله الفن القومي من التعبير واضع القصائد العربية القديمة في هذا الباب في صف اروع ما قيل في الاداب العالمية ، دون تحفظ ـ ولكن البكاء على الاطلال في هذا العصر لايصادف هوى في نفسي •

فمشاعر التاريخ عندي ، ان صح التعبير ، تقربني من الطريقة القديمة والمشاعر القديمة والاداء القديم ، رغم طريقتي الحديثة •

ولو صح ما يقوله اعداء الجديد في هذا الباب لكانت آثار انجلو ودافنشي ورفائيل ، وغيرهم من عمالقة عصر النهضة في الرسم ، قد قضت دورها منذ أمد طويل وأصبحت في عداد المهمل ، بعد ان طغت عليها المدارس الحديثة • وهو قول واضح الخطل ؛ فاعجابنا بهذه اللوحات ومحتواها الشعورى لم ينقص مطلقا بعد نشأة المدارس الاخرى ، على الرغم من اننا لم نعد نستسيغ الطريقة نفسها في الرسم الحديث •

بقي علينا ان نحدد مفهوم هذا الشعر الجديد ـ الشعر الذى يسمى بالحر ـ فهو غامض عند الكثيرين • ومفهومي الشخصي في هذا الباب (المفهوم العام لم يتحدد بعد) قد كونته من قراءاتي لهذا الشعر ، وفي عقيدتي انه المفهوم الذى يجب ان نتبناه ، فشخصيته واضحة والاقبال عليه كبير •

هذا المفهوم هو حرية التفعيلة والقافية ، ومعنى ذلك ان لابد من الوزن اولا (والا انقلب التعبير نثرا) والقافية ثانيا (والا اصبح التعبير ، في حالة الوزن ، نشازا) • الا ان الوزن الجديد لايتبع اوزان الخليل (وان كان مشتقا منها) بل يكون له الحرية في التفعيلة ، فقد يأتي احد الابيات في خمس تفعيلات مثلا ويأتي البيت الذى يليه في تفعيلة او تفعيلتين •

وبالطبع ، يمكن ان تكون هذه الحرية مصدرا للابداع عند من هو مبدع او مبعثا للسخف عند من تنقصه الموهبة وينقصه التمكن من اللغة •

وفي الواقع ، ان شذوذ هذه الطريقة عن اوزان الخليل ليس شذوذا جوهريا وان كان الناتج يختلف كل الاختلاف في ايحائه وموسيقاه •

ثم ان هناك محاولات مشابهة في القديم اولها واهمها ما يسمى بالبند

(وقد افردت له السيدة نازك الملائكة مكانا مرموقا من كتابها : قضايا الشعر المعاصر) ٠

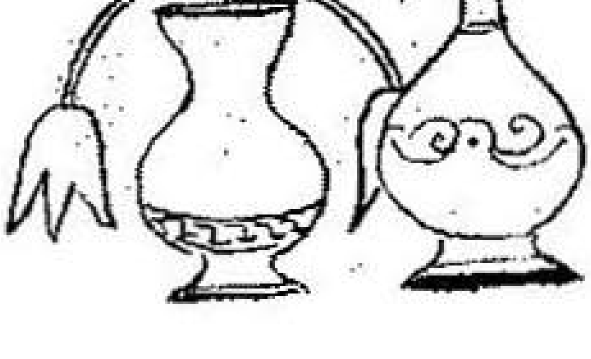
واذا نظرنا الى هذا التطور من ناحية كونه محاولة للبحث عن اسلوب جديد ، فأمامنا المحاولة الاندلسية الناجحة ، والتي شذت هي الاخرى شذوذا كبيرا عما كانت تألفه الاذن العربية ٠

ولابد من الاشارة هنا الى ان هذا الشذوذ عن الطريقة القديمة ليس مجرد أثر من آثار الغرب او تقليد سطحي له ، كما يفهمه انصار القديم ، نعم : ان هذا الاثر واضح جدا ، ولكنني لا أعزو وجوده الى التقليد (عند الشعراء العرب الموهوبين) بل الى مصدر مشترك : تيار الحضارة المعاصرة أو روح العصر ٠ فنحن نلمس الصدق في هذا التجاوب ، والصدق كذلك في الصور ، رغم تشابهها ٠

كان من الطبيعي جدا ان يتجه الجيل العربي الجديد الى آفاق جديدة بعد ما اصاب الادب العربي من نكبات ، فضاع بين الحذلقة والتقليد ، فكان ان اطلع على ثروة جديدة وآفاق جديدة في الادب الغربي الذى نقل اليه ٠

ومن المؤسف ان تأثر الكثيرين بالنتاج الجديد ، جاء عن طريق الترجمة ٠ وليست ترجمة الشعر بالشيء الهين ٠ كما ان الكثير من هذه الترجمة لم يكن من صلب العربية الفصيحة ، فكان ان نشأ التقليد على اساس من هذه الترجمة ٠ والى هذا الباب يعزى الكثير من الغث التافه في الشعر الحديث ٠ على ان هناك ، بين شعرائنا المجددين ، من عرف هذا الادب الجديد واستقاه من منبعه وكان ، بجانب ذلك ، ممن نشأ على العربية الفصيحة ووعاها ؛ فالى هؤلاء تعزى تجربة الشعر العربي الحديث ونجاحها ٠

فاذا كان بامكان هذا الشعر ان ينمو ، بل ويصل مرتبة عالية من مراتب الابداع عند هؤلاء ، في جو غير الجو الذى يريده له اعداؤه ، فهو اذن، في جوهره ، بعيد عن الاتهام ٠ واذا كان قد صاحبته دعوات مريبة ، فذلك من باب الظروف التاريخية التي مر بها ولا يمكن ان يكون من جوهره ٠ وفي عقيدتي انه تطور سليم ورد بليغ على من يتهم العربية بالجمود والقصور ٠



حين يستولي الخوف

الدكتور حسين كبه

كان سعدي ، وهو غارق في تخيلاته ، قد أمر يده على ساقه من غير قصد ولا عمد ، فما لبثت يده ان لمست قشرة الجرح الذي حدث له في ركبته ، وهي القشرة التي تتقلص عادة ، ويستدير شكلها ، بعد ان يتماثل الجرح للشفاء • وحين لمست يده هذه القشرة المستديرة ، انحنى عليها يتفحصها ، فبدا له انها شيء يمكن ان تمسه يده ، وتمكنت منه رغبة امرار يده على قشرة هذا الجرح ، فاندفع برغبة عارمة يتلمسها • وبدا له ان يحكها بظفره ، حتى ولو لم يبرأ الجرح بعد ، بل وحتى لو كانت القشرة لم تزل بعد ملتصقة ، بل وحتى لو آلمه حكها •

ومد يده يتلمس حافتها باظفره بكل حذر وتؤدة ، وحين لم يتحسس بألم دفع الاظفر من تحتها ، ولم تلبث ان اندفعت من على الجرح بلمح البصر فما كان من امر هذه القشرة المستديرة الصلبة الا ان انفصلت عن الجرح ، وتركت مكانها بقعة حمراء مستديرة رقيقة •

وحين رأى نفسه انه قد نجح في قلعها ، مد يده يحك حافاتها ،وسره ان لم يتحسس بألم ، بعد هذه العملية التي أجراها بكل حذر • ثم انحنى وقد أمسك القشرة باصبعه ووضعها على ساقه ، وصوب عليها باصبعه ، فطارت في الفضاء برعة ، حتى رست على سجادة البهو ، وهي سجادة سحرية واسعة ، ذات الألوان الثلاثة البارزة ، الاسود والاحمر والاصفر •

انها لسجادة عظيمة ، وسعتها ساحة البهو من بابه حتى السلم الذى في آخره • فكانت ان استهوت سعدى ، واجتذبته اليها ، وبهره منها سعتها وفخامتها وألوانها البارزة الثلاث ، انبرى اليها ، واتسعت لها اخيلته وتصوراته ، انها ، والحق ، لسجادة عظيمة براقة ، يتقد فيهاصفاء الوانها ، وهي الى ذلك كبيرة ، انها لاكبر من ساحة التنس •

وتسمرت حدقتا عينيه في تحديقها ، تحدوها رغبة عارمة في تفحصها ، اذ قد تراءت له سجادة نادرة حقا • وفجأة بدت له الان تتلامع الوانها • وخيل له ان فيها اسرارا خفية ، وسرعان ما صورتها له مخيلته ، فعاد لنفسه يحاورها ، اتراني قد عرفت خفايا هذه السجادة السحرية ، ومن

يدري فلعلها تحمل بين ثناياها أخطارا ليست بالحسبان وما علي الا أن أكون حذرا ، لاتخلص من هذا المأزق الذي وقعت فيه ٠

فها هي اجزاؤها الحمراء ، ترى وكأنها قطع من الجمر المتوقد ولابد لي ان اسارع في قطع الطريق ، فاصل الى باب البهو ، من غير ان تمس قدمي تلك الاجزاء الحمراء من هذه السجادة السحرية ، ولو مست قدماى جزءا قليلا من هذا الجمر الاحمر المتقد ، لاحترقتا ، بل ولاحترق جسمي بكليته ٠ اما هذه الاجزاء السوداء فتبين لي فيها الحيات السامة نفسها ٠ انها لتبدو لي حيات وافاعي مختلفة السمك والطول ، قد يعدل بعضها سمك جذع شجرة ضخمة ٠ ويبدو لي ، ان وطئت قدمي واحدة منها ، فستتلقفني انيابها ، وتنهشني نهشة تؤدي بي الى الموت ٠ ولو قدر لي ان احيا سليما من غير ان تنهشني حياتها السوداء ومن غير ان احترق بجمراتها الحمراء ، لشعرت ، وكأني قد ولدت صباح غدي ٠

ولم يتمالك سعدي نفسه حتى نهض من مكانه وصعد بضع درجات من السلم ، وهو يحاول بذلك ان يتفحص ويمحص هذه السجادة السحرية التي قد حوت الالوان البراقة والموت الزؤام معا ٠ فقال يحاور نفسه ترى أيكون بالامكان ان اجد لي مخرجا ؟ وهل اللون الاصفر بالقدر الكافي لخلاصي من هذين اللونين الخطرين الاسود والاحمر ؟ انه لاشك ، اللون الوحيد الذى استطيع ان اجعله موطئ ! ولكن ترى هل يجرأ الانسان ان يجتاز هذه المسافة عن طريق اللون الاصفر وحده ، بحيث يتحاشى تلكوء اللونين الخطرين ؟

انها لتبدو لي ، على اية حال ، سفرة شاقة خطرة ، فلابد لي ان امعن النظر ، واتروى في الامر ، فهي بالاضافة الى خطورتها ، تحمل وراءهاخفايا اخطار كثيرة ٠

وامتقع وجه سعدي ، وبدت عيناه الزرقاوان تحملقان في الفضاء ، ووضحت امارات الفزع والارتباك على محياه ، وتمثل له اللون الاصفريضيق في بعض تفاريج السجادة ومنحنياتها ، وتراءت له ثغرات واسعة هنا وهناك٠ ولكنه عاد فاستجمع قواه ، وقال في نفسه ، ان اللون الاصفر مهما ضاق مداه وامحى اثره فان فيه بصيصا يوصلني الى الطرف الثاني من السجادة ٠

ولم يعد يصعب عليه ، وهو الذى كان قد اجتاز هذا الطريق البارحة من غير ان تزل به قدماه ، فتسقطاه في احدى تلك الفجوات التي تمثلت له بين الالوان الثلاثة ٠ فقال متحسرا آه ! ليتها لم توجد الحيات ! وتجسمت لمخيلته بشاعة الحيات واخطارها حتى غدا تصوره لشكل الحية يرجه رجات كهربائية ، يتحسس وخزها من بين ركبتيه حتى اخمص قدميه ٠

وتقرب شيئا فشيئا نحو طرف السجادة السحرية ، فرفع قدمه المغطاة بالخف ، ووضعها بكل حذر على احدى البقع الصفراء ، ثم اتبعها بقدمه الاخرى يجرها ، بعد ان وجد لها مكانا على بقعة صفراء ايضا ، وهكذا كان

البدء بالحركة لقطع الطريق ·

وبدت تقاطيع وجهه في هذه الحركة الاولى تعبر عن ذهوله وارتباكه، وبدا عليه الشحوب والانهيار ، حتى لكادت تخور عزائمه ويستولي عليه الفزع واليأس ، فكان آخر الامر ، ان بسط ذراعيه ليحافظ بهما على توازنه ·

وكانت المرحلة الثانية لحركته أن رفع قدمه عاليا ليتحاشى البقعة السوداء التي اعترضت طريقه ، وليلقي بها على احدى البقع الصفراء التي بدت له ، وقد ضاق مداها وكاد يمحي اثرها · وحين اتبعها بقدمه الاخرى، بقي جامدا برهة من الزمن ، وكأنه تمثال لاحراك فيه · ثم تراءى له ، ان الخطوط الصفراء مهما ضاق اثرها ، فان فيها بصيصا تبين فيه مسافة خمسة امتار تقريبا ، من غير ان تعترضه هوة تقطع عليه سيره · فجد جده، وسار حثيثا خطوة بعد اخرى ، مثله كمثل بهلوان يمشي على حبل قد شد من طرفيه ، يحدوه الحذر والتوئدة ، لئلا يؤدي بحياته اذا ما زلقت قدمه فوطئت البقع السوداء ·

وحين مالت الخطوط الصفراء الى الظهور في منحنياتها وتعرجاتها رأى ان عليه ان يوسع الخطى ، ولكن خطواته في هذه المرة كانت مشوشة ومبعثرة ، حتى ان قدميه كانتا تطآن خليطا من الالوان الثلاثة الاسود والاحمر والاصفر ، من غير تمييز · وسرعان ما فقد توازنه وبدأ يهتز ويتمايل ، ولم يلبث ان اطلق لذراعيه العنان ، فراحتا تدوران كما تدور ريش المراوح السقفية ، وهو بذلك كان يحاول جهده ان يتجنب مزالق قدميه على الجمر الاحمر المتوقد ، والحيات السوداء السامة · فكان ان حالفه الحظ في هذه المرة ، اذ استطاع ان يقطع هذه المسافة من غير ان يصاب بأذى ، ولكن بعد ان خارت قواه وضاقت به انفاسه · اذ كان طوال هذه المسيرة الشاقة يقف على اطراف اصابعه ، فاتحا ذراعيه فاغرا فاه ، حتى رأى نفسه وقد حطت قدماه على ساحة واسعة من اللون الاصفر · فكان محلا امينا يقيه الانزلاق في مهاوى اللونين الاسود والاحمر ، واستطاع لاول مرة أن يتنفس الصعداء · فأطال مكثه على هذه الجزرة الصفراء الامنة ، وتوقع ان تكون مسيرته على مثل هذه الفسحة من الخطوط الصفراء الامينة، وتمنى لو ان يواتيه الحظ طيلة هذه السفرة الشاقة ان يبقى المكان الاصفر فسيحا ليأمن شر اللونين الاحمر والاسود ·

وكان ان شجعه هذا الاسلوب من التفكير ان يتابع سيره الى الامام ، وغدا يتوقف كلما تقدم خطوة الى الامام ، فيتريث احيانا ، ويمعن النظر في كل خطوة يخطوها ، ان قد وضع قدمه على المنعرجات الصفراء · وفي هذه المرة كان قد بدا عليه التردد ، ايكون اتجاهه نحو اليمين او الشمال ، وبعد لأى قر قراره ان يكون اتجاهه نحو اليمين · وبان له ان الطريق لم يعد سهلا ، وان هناك صعوبات يجب عليه ان يذللها · ولكن بدا له ان وجهته

نحو اليمين يقل فيها اللون الاسود وهو اللون الذي يثير فيه هواجسه ، ويؤثر في اعصابه ، ويزيد من تهيجاته • وحين وسعت مخيلته ما يحتويه اللون الاسود من الموت الزؤام ، التفت الى ما وراءه ، ليرى كم هي المسافة التي استطاع ان يقطعها ، فبدا له انها نصف الطريق ، وعلى ذلك لم يعد بامكانه بعد الان الرجوع بعد ان اجتاز نصف الطريق •

انه الان في منتصف الطريق ، وسط هذه السجادة السحرية فلا هو يستطيع الرجوع ، ولا يتاح له ان يقفز الى احدى حاشيتيها الجانبيتين ، لبعدهما عنه • وحين مثلت له الخطوط السوداء والحمراء وتراءت له كثرة منعرجاتها ومنحنياتها ، انتابته رعدة الخوف • وعلت وجهه صفرة الموت وحملقت عيناه ، فجمد في مكانه ، ولم يستطع ان يستعيد صوابه حتى تراءت له الخطوط الصفراء ، فرأى ان يسير خطوة الى الامام ، فوضع قدمه بكل حذر وتحفظ على البقعة الصفراء التي بلها بعد الجهد • وفي هذه الخطوة مرت قدماه من على بقعة سوداء كثيفة كادتا تلامسانها ، ولكنهما اجتازتاها بسلام ، فتنفس الصعداء •

انه كان متأكدا من أن قدميه لم تمسا تلك البقعة السوداء الملعونة ، اذ قد رأى الخطوط الصفراء التي حالت بين رأس نعليه وبين المنطقة السوداء ، ولكن الحية تحركت من على المنطقة السوداء ، وتهيجت حينما تحسست بقربها منه ، فرفعت رأسها ، وهي مختبئة ، وحملقت بعينيها المدورتين وهي ، لاشك ، تستهدف نهش قدميه •

أواه ، انني لم امسسك ، فليس لك ان تلسعي قدمي بأنيابك السامة وانت تعلمين انني لم امسسك قط !

ولم يلبث ان رأى حية اخرى ، بدأت تزحف من غير جلبة ولاضوضاء، متجهة نحو الاولى ، وقد رفعت رأسها هي الاخرى ، ومثل له الان رأسان في كل منهما عينان مدورتان ، قد صوبا نظراتهما نحو قدميه ، تحملقان فيهما، لتلسعا ذلك الجزء العاري الذي لاح لهما من بين رباط النعل ، ولم يجسد سعدي حلا غير ان يقف على اطراف اصابعه • وكأنه قد تسمر في مكانه ، متصلب الاعصاب ، ولم يفكر بالخطوة المتأتية الا بعد ان تقضت برهة من الزمن •

ومن يدري ، فلعل هذه الخطوة الثانية تكتنفها صعوبات جمة اخرى، فها هي خطوط متعرجة من المنطقة السوداء تلف وتدور في منحنياتها ومتعرجاتها على هذه السجادة السحرية بغير هدى ولا انتظام • وفجأة وقف سعدي وكأنه اراد ان يحسب للامر حسابه فرأى ان يقطعها من اعرض مكان فيها ، وتساءل مع نفسه ، ترى ايستطيع ان يقفز من هذا المكان العريض ؟ وبدا له ان مثل هذه القفزة ستكون محفوفة بأخطار جسيمة ، وهو لا يدري ، ايكون ممكنا ان يضع قدميه على الخطوط الصفراء التي بدت تضيق شيئا فشيئا • وبعد لأى تنفس عميقا ، وحرك قدمه الاولى

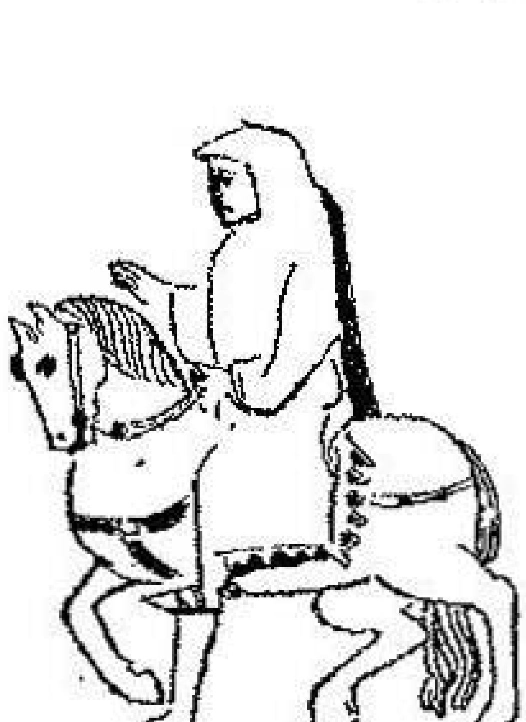
ودفع بهـــا الى الامام ، فانحدرت بعيدا ، حيث اطمأن ان قد لامس طرف نعليه المنطقة الصفراء ، فانحنى عند ذلك الى الامام ، وركز ثقله على قدمه التي بدأت الخطو ، وهو يحاول ان يلحق بها الثانية ٠

حاول سعدي ان يبذل كل ما في وسعه من جهد فاندفع يسحب نفسه الى الامام ، غير ان رجليه بقيتا متباعدتين ، لاتجدي معهما اية مســـاعدة وبدا له ان ليس له غير الرجوع من حيث اتى ٠ ولكن انى له ذلك ٠ فقد ترك وراءه ملتويات من الخطوط السوداء ، بعيدة الغور في منعرجاتهــــا ومنحنياتها ٠

وقف سعدي في مكانه متباعد الساقين ، لا حراك فيه ، فقـــد رأى وراءه الملتويات من الرقش التي قد نقع السم في انيابها ، قد تحرك بعضها وتهيج بعضها الاخر ، وراحت تزحف هنا وهناك ، تتلامح في هيئة تتقزز منها النفوس ، ان في زحفها او في تطويها ، فراح يتمايل يمنة ويســرة ، مادا ذراعيه ليحافظ على نفسه من السقوط ، غير ان ذلك لم يجده نفعـــا ، بل قد ساء وضعه وتحرج موقفه ، وفقد توازنه ، لشدة اضطرابه ،ومال الى اليمين ببطء في اول الامر ، ثم ازداد ميلانه ، فمد ذراعيه في اللحظات الاخيرة ، وهو مندفع بغريزة الدفاع عن النفس ، ليهون من شدة سقوطه ، ويتقي صدماته ٠

فكان هذا الذي تراءى له ، آخر الامر ، قد جعله يصرخ باصـــوات متقطعة لشدة ما استولى عليه الخوف ، ولم يشعر الا وقد اصطدمت يده بحزمة من الرقش المتلامعة فضاع فيما بين طياتها ، واغمي عليه ٠

وفي الساحة الخلفية ، وراء البيت ، حيث ترسل الشمس اشعتهـــا كانت ام سعدي تبحث عن ابنها ٠



موكب الشمس

قحطان الطويل

أتشكو وفي مقلتيك الضياء ! … وفي راحتيك نجوم السماء !؟
وفيك فؤاد النبيين فاض … بآياته محكمات البناء !
من الشعر ذي النغمات العذاب ، … من العبق المنتقى والرواء
من العارمات اذا شئتهن : … هدرن ، ومن ماضيات القضاء !
أتشكو وجبهتك المزدهاة : … ذرى سمقت وحدها في الجواء !
أفي السفح يبني دناه العقاب ؟ … أيحنو لدى الليل ثر الضياء ؟
أتشكو ولو شئت غاض الربيع … ولم يستخف الوجود الغناء ؟
أتشكو ولو شئت فاض الزلال … من الصم روضا تحدى الغناء ؟
ولو شئت غنت قلوب الاسى … يضاحكها الأمل المستضاء
وتدعوك ناعسة (عابثاً) … أغار على ذات طهر براء
أتشكو اذا أنت ألفيتها … تود لما قد زرعت السذاء ؟
فتسقيك من مرجك الغاضبين … « ليشفى ! » به جرحها والعناء ؟
وتدعوك انك جرعتها … مرارات من لم يغثه الدواء
فذقها معتقة في الجحيم … من الطافحات لهيبا وداء
تهيج لك الجرح مستنزفا ، … فتنثال من شاطئيه الدماء
أضعها ولو أن من مقلتيها … يعب الربيع ندي السناء !
أضعها ولو أن من راحتيها … على مجدبين يفيض النماء !
ورعها بأنك من لم ترعه ، … ولم تستطع للشموس انطفاء

ورعها بأن دناك السهى ، تذل لخطوك حتف العلاء !
أتشقى اذا أنت من صاحب تلقيت ما لم يجز ذو عداء ؟
وتأسى اذا منه قد أسفرت نيوب الفنا والخنا والرياء
وتعجب اذ أنت ألفيته : يفسح من الغدر رغم الوفاء
فيدمي فؤادك من فقده ، على خزيه اسود منه النقاء
وبات من العجب ترب الغباء ذميما زريا جفاه الحياء
وكنت توخاه للنازلات وضيء الضمير رفيق الفداء
سخي المروءات ذا نخوة بعيد الاناة حمول العناء
فألفيته من وفاء خلا خذولا ، ومن مكرمات خواء !
هجينا وذا جفوة لا تبيد وبين الرجال كسيحا جفاء
فدره ويا ليته يرعوي فحق له منك طرف الرثاء
أتخشى هنا اذ يحيق فحيح ، ويعتو ظلام ويطغى عواء
واذ أنت لم تسترد الصدى ، وحل بك الغبن ملء الفضاء
أتهوي لاعصار مرجومة تزعزع كل مكين البناء
وتلقي على السق للضحى ضحوك ، بكل رماد الفناء
صغرت لتعنو لمستسلمين بدا عريهم قسر زاهي الرداء
صغرت لتحسب زرع النجوم على جبهة الليل : محض افتراء !
الى العصر وليستقل الشموس مطلا مع الفجر : ركب الضياء !

أزياء عراقية

من الأزياء العراقية المتسمة بالترف والجمال « الهاشمي » .

وهو ثوب فضفاض له اكمام عريضة مفتوحة تحليه النقوش المنسقة وتزينه الخيوط الفضية والذهبية .. و « الهاشمي » يصنع عادة من الاقمشة التي تشف عما تحتها وهو يرتدي فوق الملابس الاعتيادية في أوقات الراحة .

وقد تفننت النساء في خياطته وظل ـ لفترة طويلة من الوقت ـ زي الأناقة المتسمة بالحشمة والوقار . ولا يزال يرتدى في المناسبات المختلفة وقد عرف هذا الزي في وسط وجنوب العراق .

الحيل والتراكيب عند العرب

سليم طه التكريتي

يقصد العرب بعبارة « علم الحيل والتراكيب » البحوث الطبيعية في الميكانيك ، واختراع الادوات التي تتحرك من ذاتها ، وتؤدي بعض الاعمال من دون مشاركة الانسان فيها .

وهذا الفن يقرب في ابتداعه وفي اغراضه من فن التسيير الذاتي الذي أخذت المدنية الحاضرة تتطلع اليه للتقليل من الجهد الذهني والبدني الذي يبذله الانسان والاستعاضة عنه بالآلة المتحركة ذاتيا .

ولقد عرف البشر في فجر تاريخه علم الطبيعة وعني به كثيرا فكان لليونانيين السبق في استنباط بعض الادوات المتحركة ووضع المؤلفات فيها . فقد كتب « ايرن » في رفع الاثقال ، ووضع « مورطس » كتاب « الآلات المصوتة على بعد ستين ميلا » ، والف « هرن » الصغير في الآلات الحربية ، وقسطيزيتوس وهيرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للماء » .

وعندما بدأ العب حركة النقل عن اللغات الاخرى الى اللغة العربية ولا سيما النقل عن اليونانية لم يكتفوا بترجمة كل ما وصل الى أيديهم من المؤلفات عن الحيل والتراكيب فحسب وانما اضافوا اليها ـ كما هو شأنهم في جميع العلوم والفنون الاخرى ـ الكثير من المخترعات والتراكيب المستنبطة حتى تهيأت لديهم منها انواع متعددة وضعوا فيها العشرات من المصنفات التي حوت صور تلك الآلات وكيفية صنعها واستعمالها .

وتنقسم هذه الآلات والتراكيب الى قسمين رئيسين أولهما القسم الخاص بالآلات الحربية ووسائل النقل كالمجانيق والعرادات والناطحات بالاضافة الى وسائل رفع الاثقال وجرها بالقوة اليسيرة . ويلحق بهذا القسم عدد كبير جدا من الادوات العلمية كالساعات والموازين وأدوات الاختبار والمختبرات وما شاكلها .

أما القسم الثاني فهو المختص بصنع أدوات اللهو والتسلية من أمثال ادوات تقديم الاشربه ، واللعب المتحركة على اللوالب ، والسابحة في البرك .

وقد بلغ اتقان العرب لهذا النوع من الحيل والتراكيب درجة جعلت الكثيرين من شعراء العرب يتغـــزلون بتلك اللعب ويبدعون في وصف حركاتها واشكالها وهذا القسم هو الذي يهمنا في بحثنا هذا وكان العرب يسمونه فن الآلات الروحية ٠ وقد أسهب في ذكره وشرحه السيد الانصارى في كتابه « ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد » فقال عنه فيه : « انه علم يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء وغيرها من آلات الشراب ٠٠٠ ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات كقدحي « العدل » و « الجور » ٠٠٠ »

* * *

يتفق المؤرخون الذين بحثوا في الحضارة العربية الاسلامية على أن أول من ألف في علم الحيل والتراكيب لدى العرب هم محمد وأحمد وحسن اولاد موسى بن شاكر ٠ ويقال انّ الولد الاوسط ، أى أحمد ، هو الذى تخصص في هذا العلم ونبغ فيه نبوغا عجيبا ٠

وقد ثبت بما لايقبل التأويل ان هؤلاء الاخوة الثـلاثة قد كتبوا ، منفردين او مجتمعين ، الكتاب الشهير المعنون باسم « حيل بني موسى »الذي يقول عنه ابن خلكان في وفياته « ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ٠٠ ولقد وقفت عليه فوجدته من احسن الكتب وامتعها وهو مجلد واحد » ٠

وجاء في الكتاب الذى وضعه جمهرة من اساتذة جامعة اكســفورد البريطانية بعنوان [تراث الاسلام] ان كتاب حيل بني موسى يحتوى على مائة تركيب ميكانيكى عشرون منها ذات قيمة عملية ٠

وذكر بعض المؤرخين ان لبني موسى كتابا آخر في « القرسطون » وهو غير الكتاب المعروف بحيل بني موسى كذلك ذكر ان لهم كتابا خاصا يبحث في الآلات الحربية ٠ وقد ذكر ابن النديم في فهرسته ان كتاب « القرسطون » هو لبنى موسى مجتمعين ، وان كتاب الحيل هو من تاليف احمد بن موسى وحـده ٠

ويأتي العالم الرياضي الاسلامي الشهير محمد بن موسى الخـوارزي مكتشف علم الجبر والمقابلة ، بعد اولاد موسى في الكتابة عن الالات والحيل وقد وضع فيها كتابه الشهير الموسوم بـ (مفاتيح العلوم) ٠

واتى ابن النديم في الفهرست على ذكر عدد كبير من العلماء العرب المسلمين الذين اشتغلوا بصناعة الالات والتراكيب منهم على بن يعقـوب الرصاصي ، وعلي بن سعيد الاقليدسي ، واحمد بن علي بن عيسى قريب العهد ٠

ومن صناع الحيل والالات ايضا ابن خلف المرور ذي الفزاري ،وخفيف غلام على بن عيسى وكان حاذقا فاضلا وكذلك احمد بن خلف غلام على بن عيسى

واخوه محمد بن خلف • وهناك ايضا كل من احمد بن اسحق الحراني ، والربيع بن فراس الحراني ، وقسطولسن غلام خفيف ، وعلي ابن احمد المهندس غلام خفيف ايضا ، ومحمد بن شداد البلدي وعلي بن خرد حراني •

ومن الالات التي اخترعها العرب وكتبوا عنها « المرايا المحرقة » وقد كتب عنها ابن الهيثم ، وعطارد بن محمد الحاسب •

ومن تلك الالات ايضا الرخامات وهي آلات الساعات والقرانات وهي الاجهزة التي تصنع لمعرفة حركات الكواكب ومداراتها ، والاسطرلابات ، والساعات التي تضرب بالبندقيات المائية ، والدوائر المتحركة من ذواتها ، ووصف الاحراق بضوء الشمس المنبعث من المرآة •

كان احمد بن موسى هو الذي تفرغ لعلوم الميكانيك من بين اخويه • فهو من الذين اهتموا بالتركيبات ذات الغاية ، وبالالات المتحركة تلقائيا وقد استقبل كتابه الشامل في « التركيبات ذات الغاية » من قبل العلماء البارعين في العالم بالاعجاب الشديد ، والاكبار العظيم فقد صنع احمد الكثير من الآلات البيتية ذات المنفعة الفائقة وصنع لعبا ميكانيكية لو ظهرت حتى في هـــذا الوقت لوجد فيها الاطفال متعة وسلوة كبيرتين •

وكان من بين ما صنعه احواض ماء لاتفيد منها سوى الحيوانـــات الصغيرة ، وخزانات للحمامات ، ودنان وخوابي للشراب يستطيع المرء بحركة بسيطة ان يفرغ منها قدرا معينا ثم تعقب ذلك فترة استراحة معلومة •

وكذلك اوجد تركيبات لعدد من الاوعية تمتلئ بالسوائل تلقائيا وتفرغها تلقائيا ايضا ، وزجاجات تترع بالماء او الشراب ثم تفرغ حسب الحاجـة ، وقناديل ترتفع فيها الفتائل ذاتيا ، ويصب فيها الزيت ذاتيا وحين تشتعل لاتطفئها الرياح •

ومن الالات الاخرى التي صنعها احمد بن موسى آلة تبعث صوتا معينا كلما ارتفع مستوى الماء فيها الى حد معين ، وتتغير هذه الاصوات بتغـير مستوى ارتفاع الماء في تلك الالة ، هذا بالاضافة الى اختراعه عـــددا مـن النافورات المائية كانت عندما تتحرك مصعدة الماء في الفضاء تشكل صـورا متعددة الاشكال بمياهها الفوارة • كما صنع مع اخيه محمد ساعة نحاسية كبيرة •

وكذلك تفنن بنو موسى في صنع الالات الفلكية والموازين الدقيقة •

ذكر الطبيب الشهير عبدالله بن سهل ابن ريان الطبري المولود سـنة ٨٠٨م انه زار قصر بني موسى في سامراء فاطلع على ما فيه من آلات عجيبة قال عنها « في مرصد سامراء رأينا آلة بناها الاخوان احمد ومحمد ابنا موسى وهي ذات شكل دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطهـــا وتديرها قوة مائية • وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة • واذا ما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الافقي من الآلة » •

ومن الآلات التي شاع صنعها واستعمالها عند العرب قدحا العدل والجور وقد كتب عن هذه الالات « حاجي خليفة » في كتابه الشهير « كشف الظنون » فقال : اما الاول قدح العدل فهو اناء اذا امتلأ على قدر معين يستقر فيها الشراب وان زيد عليها ولو بشيء يسير ينصب الماء ويتفرغ الاناء منه بحيث لايبقى قطرة ٠

واما الثاني قدح الجور فله مقدار معين ان صب فيه الماء بذلك القدر القليل يثبت ايضا ، وان كان بين المقدارين يتفرغ الاناء لعدم امكان الخلاء٠

وجاء في كتاب « تراث الاسلام » السالف ذكره ان اكثر هذه الالات توضح انواعا من الحيل العلمية وهي مبنية على المبادىء الميكانيكية ٠

ومن الذين اشتهروا بصنع الآلات والتراكيب ابو زيد عبدالرحمن ابن الربيع التجاني الفاسي المتوفي سنة ٧٧٣هـ ـ ١٣٧١م ٠ فمن بعض اعماله انه اخترع آلة تشبه الاسطرلاب لصقها في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فيأتي الناظر فينظر الى ارتفاع الشمس كم ، وكم مضى من النهار، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل ٠

ومن الذين صنفوا في الالات والتراكيب ايضا بديع الزمان ابو المعز اسماعيل ابن الرزاز الجزري وقد وضع كتابا سماه « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » الفه سنة ٦٠٣هـ ـ ١٢٠٦م لسلطان ديار بكر محمد بن محمود الارتقي وهذا الكتاب مزين بالصور من صنع المؤلف نفسه وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة جامعة « بوسطون » الامريكية ٠ وكان الذي اكتشف هذا الكتاب هو الدكتور فانداكومار سوامي الهندي استاذ الفنون الشرقية في الجامعة ٠ وقام كل من المستشرقين فايدرمان وهوسر بترجمة هذا الكتاب الى اللغتين الانكليزية والالمانية ٠

ويذكر الذين كتبوا عن شاعر العرب الاعظم ابي الطيب المتنبي انه حدث ذات يوم في مجلس «بدر بن عمار بن اسماعيل الاسدي» ان احضر احدهم معه لعبة على شكل فتاة لها شعر طويل وهي تدور على لولب واحدى رجليها مرفوعة وفي احدى يديها طاقة ريحان وفي الاخرى كأس الشراب فكانت كلما دفعت تقف بجانب احد الجلساء فيحمل الكأس من يدها ثم يضعه فيها ويتقر اللعبة فتدور مبتعدة عنه الى غيره من الجالسين واذ رأى ذلك المتنبي قال يصفها :

وجارية شعرها شطرها　　محكمة نافذ امرها
تدور وفي يدها طاقة　　تضمنها مكرها شبرها
فان اسكرتنا ففي جهلها　　بما فعلته بنا عذرها

وقال المتنبي في قصيدة ثانية يصف هذه اللعبة ايضا

جارية ما لجسمها روح　　بالقلب من حبها تباريح

في يدها طاقة تشير بهـــا   لكل طيب من طيبها ريـــح
سأشرب الكأس من اشـــارتها   ودمـــع عيني في الخـد مسفوح

وحين تقرت تلك اللعبة ووقفت بجانب ابن عمـار قال ابو الطيـب المتنبي

يا ذا المعـالي ومعـدن الادب   سيدنا وابن ســيد العرب
انت عليـم بـكل معجـــزة   ولو ســالنا سواك لم يجـب
اهذه قابلتـــك راقصـــة   ام رفعت رجلها من التعـب

وقال فيها ايضا

ان الامـــير أدام الله دولتـــه   لفاخـر كسيت فخـرا به مضر
في الشرب جارية من تحتها بشر   ما كان والدها جن ولا بشـــر
قامت على فرد رجل من مهابتـه   وليس تعقـل ما تأتي وما تـذر

وعندما دارت تلك اللعبة وسقطت قال المتنبي

ما نقلت في مشـــية قدمـــا   ولا اشتكت من دوارهـا المـا
لم ار شخصا من قبل رؤيتهـا   يفعل افعالها وما عزمـــا
فلا تلمها عـلى تواقعهـــــا   اطربهـا ان رأتك مبتســما

وحين امر ابن عمار برفع تلك اللعبة اردف المتنبي يقول

وذات غدائر لا عيب فيهـــا   سوى ان ليس تصلح للعنـاق
اذا هجرت فعن غـير اجتنـاب   وان زارت فعـن غـير اشتيـاق
امرت بان تشـــال ففارقتنـا   وما ألمت لحـادثة الفـــراق

وحضر الاديب الشهير ابو العلاء صاعد البغدادي مجلس المنصور محمد بن ابي عامر امير الاندلس فاراد هذا ان يمتحنه بان اعد له طبقا كبيرا فيه سقائف مصنوعة من مختلف انواع الازاهير وقد وضعت على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء القيت فيهـــا اللآلي على شاكلة الحصى . كما وضعت في البركة حية كانت تسبح فيها . والى جانب السقائف كانت تقف سفينة فيها جارية تجذف بمجاذيف من ذهب .

وما أن رأى الاديب البغدادي منظر تلك السقائف حتى اجاد وصفها وما فيها وعندئذ نبهه الامير المنصور الى السفينة التي غفل عن ذكرهـــا فأنشد هذا في الحال يقول

واعجب منها غادة في ســفينة   مكللة تصبو اليهـــا المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقـــي   بسكانها ما هيجته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب   تصرف في يمنى يديها المجادف

ولم تر عيني في البلاد حديقة   تنقلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو ان انشت معاليك روضة   وشتها ازاهير الربا والزخارف

اما اول القصيدة التي وصف بها البغدادي ذلك المنظر الخلاب فهو

ابا عامر هل غير جدواك واكف   وهل غير من عاداك في الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل عجيبة   واعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها عندك الحيا   على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت   عليها بانواع الملاهي وصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا   تظللها بالياسمين السقائف
واعجب منها انهن نواظر   الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح في عبابها   من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها   من الوحش حتى بينهن السلاحف

وعلى اثر الانتهاء من القاء هذه القصيدة الفريدة امر المنصور لصاعد البغدادي بجائزة قدرها الف دينار ومائة ثوب ورتب له مرتبا شهريا مقداره ثلاثون دينارا وجعله من خلص ندمائه ·

المصادر

١ ـ Legacy of Islam (London Oxford 1943)
٢ ـ الفهرست ـ لابن النديم
٣ ـ وفيات الاعيان ـ لابن خلكان
٤ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ جرجي زيدان
٥ ـ العلوم عند العرب ـ قدري حافظ طوقان
٦ ـ شرح ديوان المتنبي ـ للعكبرى
٧ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ للدكتورة زخريد هونكه
٨ ـ تراث العرب العلمي ـ قدرى حافظ طوقان
٩ ـ المسلمون والعلم الحديث ـ عبدالرزاق نوفل
١٠ـ طبقات الامم ـ لابن صاعد الاندلسي ·

مقاييس الذكاء

وضرورتها للمجتمع العربي الحديث

الدكتور فخري الدباغ

قد يظن القارىء العزيز ان البحث في موضوع مقاييس الذكاء في هذه المرحلة من تطور المجتمع العربي سابق لأوانه او متطلب كمالي لا يستوجب الاهتمام الآني • وقد يكون كذلك الان بالنسبة الى متطلبات حيوية اخرى •• ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الاشارة اليه والاستعداد له لانه سيكون يوما ما من ضروريات المجتمع الاشتراكي العربي الناهض ، فالاشتراكية العربية التي ترمي الى تحقيق العدالة الاجتماعية وتهيئة الفرص أمام افراد الشعب ستجد ان مقاييس الذكاء وسيلة دقيقة وحساسة لتحقيق فرص اكثر واستكشاف مواهب لم تكن في الحسبان وتوجيه امكانات في الجهة المناسبة •• ، وبذلك يزداد الزخم الاجتماعي نحو انتاج اكفأ واهم • ومنعا للالتباس الفني يجب أن أقول بأن مقاييس الذكاء (Intelligence Tests) هي محدودة بميدانها وفوائدها ، وان المقصود مهنا هي المقاييس الاهم والاشمل لنواحي النفس البشرية وهو ما يعبر عنه بمقاييس النفس (Psychological Tests) ، ومقاييس الذكاء هي جزء منها وواحدة من نواحيها المتعددة • وقبل أن ابين الصعوبات الفنية التي سنجابهها لتحقيق ذلك اود ان استعرض النواحي التي تستفيد منها الاقطار المتمدينة الاخرى باستخدام المقاييس النفسية :

١) ــ في حقل التربية التعليم تستعمل مقاييس الذكاء لغايات متعددة :

آ ــ تصنيف الاطفال حسب درجة ذكائهم ومدى استعدادهم للتقدم الدراسي ، ثم توجيههم في المستقبل في النواحي التي يجيدونها والمتوقع نجاحهم فيها • فالتلميذ المحدود الذكاء يوجه الى دراسة تتناسب مع ذكائه أو الاكتفاء بما توصل اليه او توجيهه الى التدريب المهني • والتلميذ الناقص العقل يرسل الى مدارس خاصة تتولى تعليمه بدل ان يربك ويعرقل سير التدريس في المدارس الاعتيادية •

ب ـ اختيار الطلاب المتقدمين الى الكليات والمعاهد المهنية ٠ فاختيار الطلاب المتقدمين الى دراسة عليا يعتمد على المقابلة الشخصية ودرجات البكالوريا والتي هي نوع خاص من مقاييس الذكاء ذات النواقص العديدة ، بينما توجد مقاييس خاصة تستخلص قابلية الفرد في موضوع من المواضيع وتقيس درجة مقدرته اللغوية او الحسابية او الهندسية او المهنية او الفنية والموسيقية ٠٠ الخ ٠٠ الخ ، وبذلك تختار الكلية الطلاب الذين يبرزون في نواحيها الخاصة ، وفي المعهد المهني نفسه ينسق المتقدمون حسب قابلياتهم الصناعية والفنية فهنالك مقاييس تشير الى امتياز الفرد بالنجارة او الحدادة او التصمم او الزخرفة ٠٠ الخ ٠

ويجب ان نؤكد بهذه المناسبة ان المواجهات الشخصية للطلبة والانطباعات والتقديرات الذاتية هي مقاييس عاجزة عن معرفة ذكاء وقابلية الشخص بصورة دقيقة ، ومجال الخطأ فيها واسع ، ولكنها قد تصيب ٠ مثال على ذلك طالبة زنجية قدرت ذكاءها مديرة المدرسة ب ١٠٠ ، بينما ظهر من مقياس الذكاء بان ذكاءها الحقيقي هو ٢٠٠ !! ، فمقاييس الذكاء تجنبنا كثيرا من اخطاء الحكم الشخصي ٠

ج ـ اجتناب المشاكل التربوية مع التلاميذ ذوي الذكاء المفرط او الذكاء تحت العادي ٠ ولايضاح هذه الناحية نورد ثلاثة امثلة على ذلك ٠

المثال الاول ـ تلميذ مؤدب مطيع متتبع لدروسه يسهر ويكد ولكن درجاته تتراوح بين النجاح والرسوب ٠٠ ، يشكو من صداع والام جسمية وقلة الشهية ، ويدور بين الاطباء الى ان يعرض على طبيب نفساني فيختبر ذكاءه ويجد بانه دون المعدل بقليل ، وان اعراضه الجسمية هي نتيجة اجهاد عصبي ومحاولة مخلصة من الطالب لاجل اللحاق بزملائه الآخرين ٠٠ ، فينصح الطبيب والديه وادارة المدرسة بان يغير موضوع دراسته او توجيهه الى الفرع او المهنة التي تناسبه وتريحه وتسعده ٠

المثال الثاني ـ تلميذ عمره عشر سنوات تحيله ادارة المدرسة رسميا الى الاخصائي بالامراض النفسية لكونه « تلميذ لا يتجاوب مع اعمال المدرسة ٠٠ وشكس ٠٠ وكذاب ٠٠ »! وتدور بين الطبيب النفساني والتلميذ المحاورة الآتية :

الطبيب ـ ما الذي يبدو لك من مشاكلك الرئيسية في المدرسة ٠٠؟

التلميذ ـ بضعة أسباب ٠٠٠

الطبيب ـ اذكر لي واحدة منها ٠٠

التلميذ ـ أوه ٠٠ لا أدري ماذا أقول ٠٠ ولكن المعلوم ان من السيء أن يرتكب التلاميذ أخطاء ، ويكن من الأسوأ بكثير أن يرتكب المدرس اخطاء ايضا ٠ مثلا ٠٠ كنت جالسا

استمع الى معلمتي وهي تشرح للطلاب كيف ان الالمان اكتشفوا اول آلة للطبع وان (جوتنبرغ) هو اول مخترع لها ٠٠ وتمالكت اعصابي برهة ثم نهضت قائلا : « كلا ٠٠ ان الصينيين هم اول من اوجد الآلة الطابعة قبل زمن جوتنبرغ ، عندما كان الالمان برابرة ٠٠ » وأمرتني المعلمة بالجلوس ثم اهانتني امام الصف ٠٠!

وتبين بعدئذ بأن درجة ذكاء ذلك الطفل ١٦٥ ، وان درجة ذكاء المعلمة كان ١٢٠ ٠٠!!

المثال الثالث ـ ارسل طفل عمره ثمان سنوات الى الطبيب النفساني لانه احدى المعضلات التربوية في المدرسة ٠٠ ، ودار بينهما الحديث التالي :

الطبيب ـ ما هي مشكلتك في المدرسة ؟

الطفل ـ مشكلتي الحقيقية ليست في المدرسة بل مع مأمور المكتبة ٠٠

الطبيب ـ وكيف ٠٠؟

الطفل ـ حسنا ٠٠، أنا أذهب الى المكتبة لأطالع كتبا بالميكانيك لانني افكر بطريقة جديدة لتبديل (جهاز التبديل) الى الخلف ، ولكن مأمور المكتبة يقطع علي الطريق ويقول ـ « اين انت ذاهب ؟٠٠ ان مكانك ليس في قسم الميكانيك بل قسم الاطفال ٠٠ » وعندئذ اضطر الى الذهاب الى قسم الاطفال ولا امكث طويلا لانه لا توجد كتب حقيقية كما اريدها ٠٠ ، فهل تستطيع ياسيدي الطبيب ان تعطيني توصية للذهاب الى اقسام المكتبة الاخرى ؟٠٠

ان ذكاء الطفل المذكور كان ١٧٨ ٠٠!!

وعليه فالاهتمام بالاطفال الموهوبين ضرورة تربوية واجتماعية ، اذ قد ثبت بان الاطفال الذين يتراوح ذكاؤهم بين الـ ١٦٠ ـ ٢٠٠ يصبحون في المستقبل من لوامع المجتمع اذا عرف الآباء والمدرسون كيف يعاملونهم ٠٠ ، فذكاؤهم الخارق هو بالحقيقة « عقبة » امام تكيفهم الاجتماعي قبل اكتشاف ذكائهم ، ومقاييس الذكاء هي الوسيلة لاكتشافهم ٠

٢) ـ في حقل الطب النفساني والامراض العصبية تستعمل المقاييس النفسية في النواحي الآتية :

آ ـ تشخيص ذوي النقص العقلي وتصنيفهم الى درجات العته والبله والغباء ٠٠ ثم توزيعهم الى مدارس خاصة او مستشفيات خاصة لتتولى تدريبهم ورعايتهم ٠ ويجب ان نذكر ان أول مقاييس للذكاء فكر بها علماء النفس كانت من اجل اكتشاف المتأخرين عقليا وعزلهم وتربيتهم ، وكان اول مقياس صمم في فرنسا قبل اكثر من قرن ٠

ب) ـ اصبحت مقاييس النفس جزءا روتينيا من الفحص السريري للمرضى النفسيين ، ويستخدم قسم منهـا لمساعدة التحليل النفسـي للاطفـال والبالغيـن ، فهنالـك التصاويـر والاشكال والرموز التي يشرحها المريض فيستنتج المحلل النفساني عقدته من طريقـة شرحه • ومن هذه المقاييس النفسية ما يدعى بال (TAT) و (روورشاخ) •

٣) ـ في الحقل الاجتماعي تستعمل مقاييس الذكاء كما يلي :

آ ـ في المصانع والمؤسسات الانتاجية توزع المناصب حسب قابلياتهم الفنيه والعملية سواء آكان كاتب اضبارات او رئيس عمال او مدير عمل ••

ب ـ تهيئة وتنسيق الخدمات الاجتماعية لذوى النقص العقلـي او العاهات الحسية ••

ج ـ اختيار أطفـال التبني حسب ذكاء الطفل لكيلا يتبنى الوالدان طفلا غبيا ••

٤) ـ في الجيشـ :

آ ـ توجد اختبارات عامة أولية للمكلفين بخدمـة العلم مهمتها استطلاعية ، لكي تكتشف بصورة مبسطة ذوي النقص العقلي أو الاضطرابات النفسية الشديـدة •• فترفض من ترفض وتختار الصالح ، لان الجندي الغبي أو المضطرب الاعصاب ضرر لنفسه وزملائه وفرقته •

ب ـ والخطوة التالية هي مقاييس أدق للنفس والكفاءات والمواهب لدى الجنود ، وبذلك يتم تصنيفهم وتوزيعهم الى الصنوف التي تلائم ذكاءهم • فصنف المخابرة يحتاج الى نوع من القابلية وسرعة البديهة واللغة •• وصنف المدفعية الى قابلية من نوع آخر •• كذلك القوة الجوية والنهرية •• الخ •

ج ـ المهمات الخاصة في الجيش تحتاج الى شخصيات لها مواهب خاصة •• ، مثال بسيط هي فرق المغاوير والضفادع البشرية • فهؤلاء هم نخبة من العسكريين الذين اجتازوا امتحانـات واختبارات نفسية قاسية كمقاييس الصبر والجراة وسرعـة التكيف للظروف المفاجئة ••

٥) ـ في ميدان علم الفلك وتسابق الفضاء ، نجد ان مقاييس النفس تلعب دورا حاسما وفعالا في اختيار رواد الفضاء ، ولنقل أن هذه الاختبارات هي أحدى الاختبارات الخاصة لصنف الطيران في الجيش • فابطال الفضاء الذين يرسلون في الاقمار الصناعية هم حصيلة مئات المرشحين

من الطيارين لارتياد الفضاء ، وعليهم ان يجتازوا مقاييس نفسية عديدة ودقيقة بالاضافة الى النجاح في الفحوصات الطبية الجسمية ٠

* * *

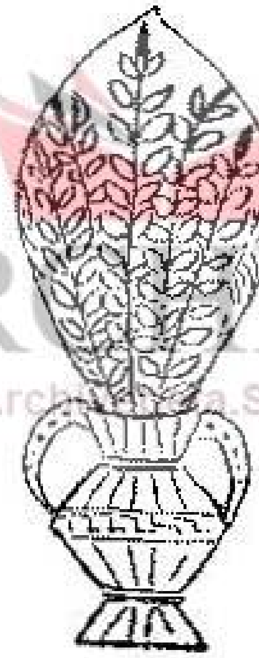
ان الفوائد التي سردتها آنفا بايجاز هي التي يجب ان نتطلع الى تحقيقها في مجتمعنا العربي المتطور ٠ ولكن ٠٠، هل بالامكان ـ كما قد يتبادر الى الذهن ـ استخدام مقاييس الذكاء الاجنبية لاختبار الفرد العربي مثلما بالامكان استخدام الياردة أو المتر في أية بقعة من العالم ؟ ٠٠ كلا ، فالعقل البشري والنفس الانسانية عالم بذاته ، وهو مرتبط بارضه ومحيطه وتقاليده ووراثته ٠٠ ، والمقياس الذي يصلح للفرنسي لا يصلح للايطالي ولا للمكسيكي ، بل ان المجتمعات الصغيرة في المجتمع الكبير تحتاج الى مقاييس خاصة بها ٠ لذلك فان من الخطأ استخدام مقاييس ذكاء أجنبية بل يجب استنباطها وتنسيقها ووزنها بميزان عربي نابع من البيئة العربية وقادر على استجلاء الذكاء والامكانية الخام دون ان يكون للمال او البيت أو المدنية تأثير عليها ٠

ومع ان بعض مقاييس الذكاء الاجنبية قد ثبتت صلاحيتها لدى شعوب أخرى ، أي انها تكاد ان تكون مقاييس عالمية (Cross-Cultural Tests) الا ان ذلك لم يثبت بصورة قاطعة ولم يتعداه الى المقاييس العديدة الاخرى ٠ فمثلا هناك مقياس (الاشكال المتدرجة Progressive Matrices) تأليف (رافن) استعمل اولا في انكلترة ثم طبق على بقية أجزاء بريطانيا ، ثم استعمل في بعض أجزاء الولايات المتحدة ٠٠ ، واستعمله طبيب نفساني اسمه (ريمولدي) في الارجنتين وثبتت فائدته ودقة اختباره للبيئات المختلفة ٠ وقد طبق هذا الاختبار على بعض طلاب كلية طب الموصل وظهرت النتائج كما يمكن توقعها من طلاب كلية الطب ،ولكن اثبات صلاحيته للنفسية العربية يحتاج الى اختبار مئات بل آلاف من الناس ثم فحصها بطريقة احصائية ودقيقة ٠ وهنالك اختبارات أخرى امريكية استعملت في الجيش وجزائر الهاواي وفي بعض بيئات أفريقية الوسطى وتأيدت صلاحيتها ٠ ان جميع هذه المقاييس (العالمية) قليلة جدا ، ويقابلها عشرات المقاييس التي تقتصر على بيئة خاصة ٠ ولذلك فان من الضروري ايجاد مقاييس خاصة بالشعوب العربية لانه لا يوجد مقياس يخلو من تأثير البيئة أو ما يطلق عليه (Culture-Free Test)

ان بالامكان طبعا تحوير المقاييس الاجنبية لتتلائم مع البيئة العربية بعد التدقيق والتمحيص ، وهي وسيلة سريعة وسهلة ، وان كان الافضل والاصوب ان نجد لانفسنا مقاييس خاصة بنا ٠ وما نحتاجه لاجل ايجاد مقاييس نفسية للفرد العربي هي فرق متجانسة متكاتفة من الاطباء النفسانيين والتربويين وعلماء الاجناس واخصائيين بالاحصاء ومساعدين

عديدين • وما نعتقده اليوم سنحصل عليه غدا •

بقي أن أقول للقارىء العزيز بألا ينخدع بما يجد من مقاييس النفس التي تنشرها الجرائد والمجلات فهي أختبارات للتسلية مليئة بالاغلاط غايتها قتل الفراغ والهاء القارىء ، وهي مستمدة من مقاييس الذكاء العلمية مع تحويرات واضافات حدسية تخمينية لا تصلح للقياس العلمي بها ، كما انها أجنبية الاصل •



أُغنيةٌ إلى الوطن السَّليب

إدهام لهادى

وهناك فوق مراتع الاشذاء في أرض السلام

أرض النبوة والهيام

أرض الرجال الحالمين

بأزاهر الحقل الجديد

كانت لنا أكواخنا فوق التلال

والكرمل الحاني وأفياء

كانت لنا .. من شدوها الزاهي بخشوع

لحن الجمال ....

كانت لنا .. لكن أفواج المغول

سرقت مباهج دربنا ، جثمت على خضر الحقول

جاءت من الأدغال

من أرض الرزايا

أرض النساء الساقطات

أرض الخطايا

جاءت لتسرق غفوة الوادي الحبيب

جاءت لتبصق اثمها فوق الدروب

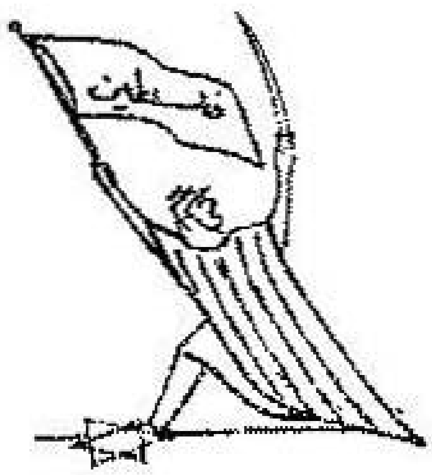
جاءت لتشنق كل

أفراح الصغار

جاءت من الادغال من أرض الخطايا

●

يا غفوة الوادي على خضر الأماني
يا حقدنا المدفون
في قعر الزمان
يا لوعة الذكرى بعمق الصامدين
الكرمل الحاني وأفياء الظلال
للقدس ... للجمع الطعين
للاهل .. للأرض الحنون
أرض الرجال الحالمين
بشائر النصر الأكيد



محاولة في نقد القصة

القسم الاول

للكاتب الانكليزي
روبرت ليدل

ترجمة : عبدالوهاب الوكيل

١ ـ مقام الرواية الرفيع :

مازالت الرواية ، كلون من ألوان الادب ، تتسم بالحداثة • ومع اننا لانجانب الحقيقة اذا أرجعنا أصلها الى لونكس[١] (Longus) وهليودورس[٢] (Heliodorus) وبترونيوس[٣] (Petronius) والى أقاصيص الرومانس في العصور الوسطى ، الا ان هذه الحقيقة ليست من الطرافة في شيء كما ان المشجع على الاخذ بهذا (النسب) هي المعرفة وليس العقل أو المنطق • وهو أمر مألوف في علم الانساب بيد ان ما يعنينا في دراستنا للعوائل التي انجبت في تاريخها الحديث رجالا عظاما هو اولئك الرجال انفسهم لا أسلافهم الاولون رغم تأكدنا من وجود هؤلاء الاسلاف ، وهكذا فان تاريخ القصص المنشورة قبل القرن التاسع عشر لايهمنا كقراء أو نقاد بل كباحثين فقط •

اننا عندما نتذكر الحالة التي كانت قصص الرومانس عليها في زمن بوسيه[٤] لا نأخذ هذا على مدحه لـ (هنريت دانكلتر) عندما أثنى على عدم اكتراثها بالرواية في خطابه التأبيني لها • اذ قال (لقد درست أميرتنا المدهشة الواجبات الملقاة على عاتق الرجال الذين يصنعون التأريخ في حيتهم • وخلال ذلك وبدون ان تشعر فقدت القبلية على تذوق القصص الرومانتيكية ، والاعجاب بشخصياتها التافهة ولشدة حرصها على بلوغ الحقائق والتزام الصدق أخذت تزدري هذه القصص الجامدة التي لا تخلو من الخطورة) •

وما زالت الرواية في أيامنا هذه عرضة للهجمات أحيانا ، ومع اننا نستطيع ان نلتمس (لبوسه) العذر فيما ذهب اليه ، الا أنه من العسير علينا الصفح عن اولئك الذين يتهجمون على طراز أدبي استعمله كل من (جين استن) و (ستندال) و (تولستوى) و(فلوبير) و (هنرى جيمس) • لقد كان لتلك الهجمات التي أنهالت على (الرواية) كطراز أدبي أثر سيء في النقاد والروائيين على السواء بحيث يمكننا ان نعزو كثيرا من الاخطاء الشنيعة التي ارتكبوها الى نظرتهم الواطئة نحو هذا الطراز من الفن •

ونستطيع ان نتفحص الافكار المناوئة للرواية كما وصفها (منكمرى بلجيون) رغم ان كتابه الذى ضمنه تلك الافكار أصبح طي النسيان ، اذ ينبغي ان نفند حججه تلك لئلا يتقدم بها احد غيره ٠

يزعم السيد (بلجيون) ان لا وجود للفنان الخلاق وانه لما كان الروائي ليس بفنان خلاق لذا فانه لا يعدو ان يكون مبشرا لافكار معينة تمثل وجهة نظره في الحياة ، وهو لذلك داعية خطر لا يلتزم بمسؤولية ما ٠ فهو ينكر على الفنان صفة الخلق ، لان (الخلق) الفني (ايجاد شيء جديد من العدم) فالشخصيات الروائية لم تخلق من لا شيء بل انها مكونة دائما من خيوط متفرقة تقوم على التجربة كما انها لا تنبض بالحياة ، فنحن لا نستطيع أخذها بالايدي[٥] ٠

ان الرد على هذا القول بسيط وواضح ٠ فاننا ننظر الى انفسنا والى جيراننا ككائنات خلقت بميزات خاصة بكل فرد منها ، ولكن أحدا منا لم يخلق من لا شيء ٠ كما ان هناك انواعا من الوجود مختلفة ، فالحكمة موجودة والفضيلة موجودة ، ولكنك لا تستطيع اخذهما بالايدى ٠ وعليه فرغم ان (فلستاف)[٦] و (السيدة كامب)[٧] لا ينتميان الى نفس الطراز من الاحياء الذى ينتمي اليه (نابليون) ، الا اننا لا نكون مجحفين في زعمنا بانهما موجودان وانهما خلقا فعلا من قبل مؤلفيهما ٠

وحتى عندما يعترف البعض بأن الروائي فنان خلاق فانهم يعتقدون بان فنه من نوع رديء ، ولسوء الحظ هناك الكثير من الروائيين من يشاركون هؤلاء في رأيهم هذا ٠ اذ يقول السيد (فورستر) مثلا وبعبارات تفيض بالاسف : (اى نعم ٠ ان الرواية تروى لنا قصة)[٨] ويود انها لا تفعل ذلك ٠ ولكن السيد (فورستر) يعتقد على الاقل وبشيء من الرضى ان الرواية ترسم لنا الشخصيات الروائية ٠ بينما يعتقد السيد (هكسلي) بأن رسم الشخصيات بحد ذاته أمر تافه ٠ وتتأمل احدى شخصياته (وهي تتمتع برضاه التام طبعا) « الملل الذى تسببه تلك المسرحيات والروايات الوصفية المحضة في العقل الراشد والتي يتوقع النقاد منها استحسانها ٠ وهذه عبارة عن سيل غزير لا ينقطع من حكايات رومانسية ، ودراسات شخصية خالية من النظريات العامة في الاقصوصة والنظريات المفسرة للقصة أو الشخصية القصصية ٠ » ٠ فهي اذا لا تتعدى كونها مجموعة هائلة من الحقائق المتعلقة بالشهوة والطمع ، بالخوف والطموح ، بالواجب والحب ليس الا — لا شيء سوى الحقائق ، بل الحقائق الخيالية التي لا أثر للترابط الفلسفي بينها الا المنطق العام والعرف المحلي ، والتي لا يقوم تنظيمها على أساس عقلي غير الضرورة الفنية البسيطة[٩] ٠

من الامور المستهجنة حقا ان تجد احد الروائيين يعتقد بان الحقائق الخاصة بالطبيعة البشرية مملة ، في الوقت الذى تؤلف مثل هذه الحقائق

رأسماله الوحيد • وانضح من ذلك ان يتشدد تنظيما لها يقوم على أساس غير (الضرورة الفنية البسيطة) - فأى قاعدة منطقية يمكن ان يتخذها الفنان خير من هذه ؟ - ان ازدراء الفنان للخيال لا يغير أو يحسن من الامر شيئا • كما اننا سنجد في فصل قادم كيف ان المنطق السليم هو خير فلسفة يمكن للروائي اتخاذها •

واذا تركنا السيد (هكسلي) والتفتنا نحو روائية ذات عبقرية خلاقة أحبت فنها وقدرته وهي (جين اوستن) فسنجد ان احدى شخصياتها التي هي موضع سخريتها ، تعبر عن نفسها باسلوب شديد الشبه باسلوب شخصية السيد (هكسلي) ذات الذكاء المزعوم •

ففي (سانديتون) وهي رواية تركتها الانسة (استن) دون ان تكملها عندما دعاها داعي الموت - يقول السير (ادوارد دنام) مباهيا : (لست من قراء الرواية الذين لا يميزون مايقرأون • فانا احتقر بشدة الروايات التافهة التي تزخر بها المكتبات العامة • فلن تسمع مني قولا يحبذ تلك الابتداعات الصبيانية التي لا تأتي الا على مبادىء متنافرة تأبى المزج والانسجام أو الانسجة التافهة من الوقائع العادية التي لا يمكن الخروج منها بما يفيد مطلقا • وعبثا نحاول وضعها في انبيق ادبي اذ لا نستطيع ان نقطر منها ما يفيد العلم في شيء أبدا •)

ان مباهاة (السر ادوارد) هذه تصلح ان تكون تقليدا تنبأت به (جين استن) لتسخر به من رأي (المستر هكسلي) وجميع الاشخاص الاخرين الذين لا يقنعون بالرواية كرواية • بل يريدون منها ان تكون شيئا اخر أيضا • كأن الرواية الجيدة لا تكفي لوحدها ومن العدل انيأتي توبيخ المستر (هكسلي) على لسان المسس (استن) ذلك لانه باقلاله من قيمة الرواية وتوسيخه بذلك بيته بيده ، يكون قد اقترف الذنب الذي صبت المسس (استن) لعنتها عليه في المقطع المشهور من روايتها (دير نورثا هنجر) حيث يقول :

(لن اتخذ لنفسي تلك العادة الجاحدة العقيمة التي تسود بين كتاب الروايات الا وهي الاحتقار الذي ينم عليه نقدهم اللاذع لنفس العمل الذي يشتركون هم انفسهم في الاكثار منه • وبذا يكونون قد انضموا الى معسكر اعدائهم في توجيه اقذع الصفات لمثل هذه المؤلفات دون ان يسمحوا لبطلتهم بقراءتها • تلك البطلة التي لو تناولت احدى الروايات بالصدفة فلا بد انها ستقلب صفحاتها بازدراء ••• ويبدو ان هناك رغبة عامة في الطعن بكفاءة الروائي والتقليل من قيمة مجهودة او الاستهانة بالانجازات التي ليس لها ما يميزها سوى المهارة وروح الفكاهة والذوق •• (فيسأل ••• ما تقرأين يا آنستي ؟) فتجيب الانسة الشابة (آه ، لاشيء • انها مجرد رواية) وتطرح الكتاب جانبا وهي تصطنع عدم الاكتراث والخجل العابر • فهي اما ان تكون (مجرد) (سيسيليا)(١) و (كاميلا)(٢) او

(يلييندا)[٣] وباختصار اى كتاب ينقل الى العالم ادق المعلومات واشملها والصقها بالطبيعة البشرية وصورها الجميلة المتعددة بروح من الفكاهة او النكتة المتدفقة وفي احسن الالفاظ المختارة ٠

ولم يضع أحد حتى الان دفاعا بليغا عن الرواية كهذا ٠ ولسنا بحاجة الى اى اعتذار اخر للتأكيد على مكانة هذا اللون الادبى الرفيع الذى يسهل (نقل ادق المعلومات واشملها والصقها بالطبيعة البشرية وصورها الجميلة المتعددة بروح من الفكاهة والنكتة المتدفقة الى العالـــم باحسن الالفاظ المختارة) ٠

● ● ●

(١) (Longus) كاتب يوناني كتب رواية تدعى بـ (غراميات دافنسي وكلوه) ولا يعرف الزمن الذي عاش فيه بالضبط ٠ وخير طبعات ظهرت الكتابه هذا ، طبعة باريس عام ١٧٥٢ وقيلواسو عام ١٧٣٨ ٠

(٢) (Heliodorus) وهو صوفي مشهور كتب قصة مسلية تدعى (اثيوبيكا) طبعها الناشر (كوملن) عام ١٥٩٦

(٣)(Petronius) وكان من مريدي (نيرون) الطاغية الروماني المشهور وأحد الذين كانوا يسعون الى الترفيه عنه لذا فمن الطبيعي أن يكون مخنثا محبا للشهوات والتهتك ، ولقد ألف عدة تآليف في الادب المكشوف مازالت موجودة ٠ فهناك قصيدة في حرب بومبي وقيصر كما توجد له قصة عن مأدبة (ترامالبسيون) التي يصور فيها بحرية ملذات بلاط متكي متهتك ٠

(٤) بوسيه(Bousset)من أعظم الوعاظ الفرنسيين في القرن السابع عشر ، عاش بين ١٦٢٧ ـ ١٧٠٤ ٠ وقد اشتهر بخطبه التأبينية لاعضاء العائلة المالكة ٠

(٥) فلسفتنا الحديثة في الحياة صفحة ٤٣

(٦) فلستاف من شخصيات شكسبير الروائيـة المشهورة ويظهر في مسرحيه (هنري الرابع) كفارس عجوز بدين يحب المزاح والمرح والانهماك في الملذات وشرب السائل ٠

(٧) السيدة كامب هي سارة كامب ، شخصية من شخصيات ديكنس تظهـر في رواية (مارتن جزلويت) اشتهرت بمظلتها القطنية الكبيرة ٠

(٨) أركان القصة للكاتب أي ٠ أم ٠ فورستر صفحة ٤١

(٩) After Many a Summer بعد مواسم صيفية عديدة) من روايات (الدوس هكسلي) التي يعود فيها الى اسلوبه القديم في الكتابة الا وهو الاستعاضة عن التراكيب الفنية بالافكار والابتكارات الهزلية وذلك على طريقة (بيكوك) الكاتب الانكليزي الذي عاش في بداية القرن التاسع عشر ٠

الولاية في الإسلام

الدكتور عواد مجيد الاعظمي

الولاية مصدر ولى ، وتعني السلطة على شيء ، وتقول ولي عليه ، اي أعطي سلطة أو قوة على شيء[1] ... ويميز المبرد في كتابه « الكامل في اللغة والادب » بين الولاية بفتح الواو ـ والولاية ـ بكسرها . فيقول : « اذا كانت بالفتح فهي مصدر الولي .. وفي القرآن الكريم ـ ما لكم من ولايتهم من شيء ـ أما الولاية بالكسر فهي مثل السياسة ، والرياضة ، والايالة ، وفي الاصل تعني الاصلاح .. »[2] . وفي التصريف اللغوي يروى لنا « المبرد » أيضا بأنه قيل « آله . يؤوله أولا . ويروى عن عمر بن الخطاب (ر) انه قال :ـ ألنا وايل علينا .. »[3] . وتعني ولينا السلطة وقد ولي علينا ... أما ابن منظور الخزرجي في قاموس « لسان العرب » فيفسر الولاية بالكسر ـ « بالخطة ، كالامارة والنقابة ، وانها اسم لما تعهدت القيام به »[4] .. أما « ابن الاثير » فيقول : « الولاية بالكسر تعني التدبير ، والقوة ، والعمل ، ومن لم تتوفر فيه هذه الامور لا تصح فيه الولاية »[5] .

وعليه ، فالولاية تعني الوظيفة أو السلطة ، وصاحبها يسمى بالوالي .. فالولاية على بلد او مقاطعة أو مدينة فصاحبها يلقب بالوالي أو الامير أو العامل .... الخ[6] .

ونستطيع ، أيضا ، أن نميز بين « الرئاسة » التي كانت شائعة للاستعمال في العصر الجاهلي ، حيث تضمنت الاتجاه الدنيوي ، وبين « الولاية » التي حل استعمالها محل الرئاسة في الاسلام[7] حيث تضمنت الاتجاه الديني بالاضافة الى الاتجاه الدنيوي ...

وعليه .. فالرئاسة في العصر الجاهلي كان يمثل سلطتها رئيس أو شيخ . أما خلال عصور التاريخ الاسلامي ، فأخذت تسود في الاستعمال القاب أخرى لتمثيل سلطة الولاية على البلاد الاسلامية واقاليمها ، كلقب وال ، وأمير ، وعامل ، وان كان بعض هذه الالقاب مستعملا في العصر الجاهلي ـ كلقب أمير مثلا ـ ولكن كان طابعه دنيويا صرفا ، أما في الاسلام فقد اصطبغ بصبغة دينية ، كما هو واضح في لقب أمير المؤمنين الذي كان أول من استعمله من الخلفاء هو الخليفة عمر بن الخطاب (ر) .

ان البحث في الولاية الاسلامية يتناول الجانبين التاريخي والفقهي ، ولما كانت الجوانب الفقهية والنظرية تعتمد في شروحها وتفسيراتها على الوقائع التاريخية ، وبعبارة أخرى لما كانت الاحداث التاريخية أسبق وقوعاً — من حيث الزمن — من الشروح الفقهية ، لذا نفضل هنا أولا استعراض الجانب التاريخي في نشوء الولاية في الاسلام وتطورها ، وتبيان أثرها في تبلور الحضارة الاسلامية وانظمتها . كما سنحاول في الوقت نفسه بيان بعض الجوانب الفقهية التي تناول درسها وشرحها بعض الفقهاء المسلمين ونذكر منهم مثلا « الماوردي » في كتابه « الاحكام السلطانية » .

يرجع جذور نشوء الولاية في الاسلام وتمثيل سلطاتها المتنوعة الدينية والدنيوية من قبل الولاة والعمال الى عهد الرسول (ص) — خاصة بعد أن تركز الاسلام في المدينة وتأسست نواة أول حكومة مركزية فيها — حيث أخذ الرسول (ص) ينيب عنه ، أو يولي بعض اصحابه من المسلمين لتمثيله في بعض الواجبات الدينيسة والدنيوية على المدن والقبائل التي اعتنقت الاسلام .. وبهذا بدأ الرسول (ص) يوزع ولاته وعماله على كل منطقة أو مكان تغلغل فيه الاسلام وانتشر .. وبهذا أصبحت الولاية تتضمن ليس فقط سلطة الوالي أو العامل فحسب . ولكنها شملت أيضا البلاد والقبائل الخاضعة لسلطته ..

والواقع ، أن معظم الولايات الاسلامية ، وتحديد سلطاتها ، قد تم نشوؤها وظهورها خلال فترة حكم الرسول (ص) في المدينة ، ونستطيع أن نحدد هنا الولايات الاسلامية التي ظهرت وتكونت خلال العصر النبوي في المدينة وفقا للتسلسل التاريخي والزمني كما يلي :ـ

١ـ ولاية الجهاد . ٢ـ ولاية الصلاة . ٣ـ ولاية الحج . ٤ـ ولاية الصدقات والزكاة .. وقد أناب الرسول (ص) بعض أصحابه ولاية القضاء ولكن هذه الولاية نشأت وتبلورت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[8] ..

وأحسن مثل يمكن أن نذكره هنا في كيفية نشوء الولايات الاسلامية خلال فترة الحكم النبوي في المدينة ووفقا للتسلسل التأريخي ، هو ما ذكره « البلاذري » في كتابه « فتوح البلدان » ذلك — : « أن الرسول (ص) حينما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له : أنك سوف تلقى جماعة من أهل الكتاب ، فان دعوتهم الى الاسلام فقل لهم : ان الله فرض عليكم الصلاة ليل نهار ، فاذا أجابوك ، فقل لهم ان الله فرض عليكم الصيام في شهر رمضان من كل سنة ، فاذا أجابوك ، فقل لهم ، ان الله فرض عليكم حج البيت ، فاذا أجابوك فقل لهم ان الله فرض عليكم الصدقة على أموالكم تؤخذ من أغنيائكم وتوزع على فقرائكم . »

لقد نشأت ولايات اسلامية أخرى خلال عصور التاريخ الاسلامي فقد ظهرت « ولاية القضاء » التي تبلورت وأخذت شكلها القضائي المنفصل

عن السلطة التنفيذية ـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ر) .

كمـا نشأت « ولاية العهد » في مطلع الخـلافة الاموية في الشام . وظهرت أيضا ولايات اسلامية أخرى خلال العصر العباسي تذكر منها ـ كما يوضحها الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية ـ « ولاية النظر في المظالم » ، و « ولاية النقابة على ذوي الانساب الشريفة . »[٩] .

ولاية الجهاد « الحرب »

ونستطيع أن نميز أول ولاية بدأ تكوينها منذ عهد الرسول (ص) ـ هي ولاية الحرب ، أو ولاية الجهاد .. وقد كان ذلك في السنة الاولى للهجرة ١هـ/٦٢٢م ، حيث بدأ الرسول (ص) يولي بعض أصحابه من المسلمين شؤون القيادة والحرب ... وقد تمثل هذا في السرايا التي كان يبعثهـا الرسول (ص) الى خارج المدينـة للاستطلاع والترصد في أول الامر ...

يروي لنا ابن هشام ، واليعقوبي ، وابن الاثير[١٠] ، ان الرسول (ص) بعث عبيدة بن الحارث في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ـ ليس فيهم من الانصار أحد ـ فسار عبيدة بن الحارث حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل « ثنية المرة » فلقي جمعا عظيما من قريش وعليهم عكرمة بن أبي جهل ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي في الاسلام .. وقيل انها أول راية عقدها الرسول (ص) ، ـ كما يروي لنا « ابن هشام » أيضا أن الرسول (ص) بعث حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم الى سيف البحر من ناحيـة العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ـ ليس فيهـا من الانصـار أحـد ـ فلقى أبا جهل ابن هشام بذلك الساحل في ٣٠٠ راكبا من أهل مكة ، فحجز بينهم « مجدى بن عمرو الجهني » وكان موادعا ومسالما للفريقين فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتـال .. وبعض الناس يقـول ـ كانت راية حمزة اول راية عقدها الرسول (ص) ، ويظهر أن بعث حمزة وعبيدة بن الحارث كانا معا ...

ويختلف المؤرخون المسلمون في عدد السرايا التي بعثها الرسول (ص) فابن سعد في كتاب الطبقات الـكبير يذكر : أن عدد سرايا الرسول (ص) كان سبعا وأربعين سرية[١١] ، بينما يذكر ابن الاثير : أن عدد السرايا كان خمسا وثلاثين سرية[١٢] ..

على أن أول سرية وقع فيها قتـال في الشهر الحـرام بين المسلمين وقريش كانت في شهر رجب ، في النصف الثاني من السنة الثانية للهجرة في واقعة نخلة بين مكة والطائف ، وكان على رأس سرية المسلمين عبدالله بن جحش ، وعلى قريش عمرو بن الحضرمي الذي قتل في هذه المعركة[١٣] .

وكان من أهم نتائج هذه المعركة أن شرع القتال في الاشهر الحرام ...

والواقع أن الجهاد في الاسلام لم يشرع الا بعد مرور ثلاثة عشرة عاماً من بعث محمد (ص) نبيا ... فالفترة ما بين نزول الوحي على الرسول (ص) في سنة ٦٠٩م أو ٦١٠م - حتى سنة ٦٢٢م قد تميزت بالطابع السلمي ، وكانت الدعوة الاسلامية خلال هذه الفترة - في مكة - قائمة على أساس الحجة والبرهان والاقناع ...

وقد كان بداية تشريع الجهاد في بيعة العقبة الثانية أو « بيعة الحرب » عام ٦٢٢م ، والتي بايع فيها الانصار الرسول (ص) بالدفاع عنه وحمايته في المدينة ... فنزلت أول آية تأذن بالقتال في قول الله تبارك وتعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ... »(١٤)

أما تشريع القتال في الشهر الحرام فقد كان بعد واقعة نخلة التي مر ذكرها ، كما في قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل .. »(١٥)

وبعد غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢هـ/٦٢٤م أصبح الجهاد عاما وشاملا كما هو واضح في قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. » ...

وقد اتصفت ولاية الجهاد منذ بداية تكوينها بطابع الدين والخلق والانسانية ... ولم تكن السرايا التي كان يبعثها الرسول (ص) مجردة قصد الغزو كما يتصورها البعض ، وانما كانت متصفة بالتوجيه والارشاد يذكر اليعقوبي - التاريخ العام - أن الرسول (ص) كان يقول لامراء السرايا حين يبعثهم : « أغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، وقاتلوا الذين كفروا ، ولا تقتلوا ، ولا تخونوا ، ولا تمثلوا بأحد ، ولا تقتلوا طفلا وضيعا »(١٦) .

لم يكن الغرض من تشريع الجهاد مجرد الغزو والقتال - كما قلنا - بل كانت أغراضه وأهدافه ايجابية بناءة ، كما لم يكن الغرض منه محاولة اخضاع الجماعات غير المؤمنة بقوة السلاح والحروب ، بل كان غرضه محاولة بناء مجتمع جديد على ضوء قيم ومفاهيم جديدة قائمة على أسس ومبادىء الدين الاسلامي الرفيع ، كما لم يكن غرضه الفتح والانتقام ، بل كان دعوة لنظرة جديدة الى الحياة ، قائمة على مفاهيم دينية وروحية جديدة ...

فالغرض من الجهاد هو دعوة لروح جديدة - دعوة لقيم جديدة متمثلة في مبادىء دينية سامية ... دعوة لبناء مجتمع جديد تمحى فيه العنصرية ، والتكتل القبائلي ، والروح العصبية الموقوتة ، دعوة لاحلال نظام حكم سياسي جديد تضمحل فيه الحكومات القبائلية المشيخية والاوليجاركية التجارية ...

ونستطيع أن نلمس هذه الروح البناءة في ولاية الجهاد عندما فتح الرسول (ص) مكة في سنة ٨هـ/٦٣٠م حيث قال (ص) لقريش :ـ « ما تظنون أني فاعل بكم ·· ؟ » قالوا : « أخ كريم وابن اخ كريم ·· » قال (ص) لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ·· » كما أن الجماعات الاخرى التي وجه الجهاد ضدها ، كانت تدعى أولا الى قبول الدين الجديد ـ بقيمه وروحه الجديدة ـ ففي حالة قبولها واستجابتها ، كانت تتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي كان يتمتع بها اخوانهم الآخرون من المسلمين ·· وفي حالة رفضها ، كانت تخضع لاحد أمرين :

أ ـ اما أن تقاتل وهي بذلك تعرض نفسها لما تقتضيه ظروف الحرب والقتال من أسر المقاتلين واسترقاقهم ، وغنم الاموال وتقسيمها حسب الآية الكريمة : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ··· »[١٧] ·

ب ـ واما ان تصالح المسلمين فتبقى محافظة على معتقداتها الدينية السابقة ، مقابل دفعها ضريبة الجزية دليل خضوعها وطاعتها للحكومة الاسلامية ، وبذا تتمتع بالحماية والضمان فتصبح في ذمة الله وذمة رسوله ، وحسب قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ··· »[١٨] ·· وقد شمل أهل الذمة أولا وهم أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين ، ثم دخل في ضمنهم من لهم شبه كتاب من المجوس والصابئة ···

وقد استثنى الجهاد من اعتباره ركنا سادسا من أركان الاسلام الخمسة وهي (الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ·) ، ما عدا فرقة الاباضية ـ احدى فرق الخوارج ـ التي اعتبرته ركنا سادسا من أركان الاسلام ·

ومع ذلك فالجهاد أصبح فرضا من فروض الكفاية وهو واجب عام ، فعلى كل مسلم حر بالغ ، سليم الجسم والعقل أن ينضوي تحت راية الجيوش الاسلامية ·

والمسلم الذي يقتل في سبيل الله يعتبر شهيدا ، له أجره عند ربه ، ويدخل الجنة ·· وفي قوله تعالى : « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم[١٩] » وفي قوله تعالى أيضا : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون »[٢٠] ·· وفي الاية الكريمة ايضا : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون »[٢١] ···

ويقسم الماوردي في كتابه « الاحكام السلطانية » ولاية الجهاد الى قسمين :ـ

أولا : ولاية أو « امارة » الجهاد الخاصة ، ووظيفتها محدودة على تنظيم الجيوش الاسلامية وادارة الحرب [٢٢] .

ثانيا : ولاية أو « امارة » الجهاد العامة ، ووظيفتها توزيع الغنائم وعقد اتفاقيات الصلح [٢٣] .

ويضيف الماوردي الى ولاية الجهاد ولاية أخرى يسميها « الولاية على حروب المصالح » ، وتشمل ثلاثة أقسام :ــ

أولا : قتال أهل الردة : [٢٤] ... وتشمل هذه الولاية قتال الذين سبق ان اعتنقوا الاسلام ثم ارتدوا ..

ثانيا : قتال اهل البغي [٢٥] : وتشمل هذه الولاية قتال من خالف آراء الجماعة ، وخلقوا لانفسهم مذهبا مخالفا ، كالخوارج مثلا ..

ثالثا : قتال المحاربين وقطاع الطرق[٢٦] ... وتشمل قتال طائفة اجتمعت من أهل الفساد على شهر السلاح ، وقطع الطريق ، وأخذ الاموال ، وقتل النفوس ، وقتل السابلة ..

ويمكن تقسيم العالم بموجب النظرية الفقهية لولاية الجهاد الى ثلاثة أقسـام :ــ

اولا : دار الاسلام [٢٧] : وتشمل البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي .

ثانيا : دار الحرب : [٢٨] وتشمل البلدان التي تخضع للحكم الاسلامي، ومن واجب الخليفة توسيع النطاق الجغرافي لدار الاسلام على حسـاب دار الحرب ..

ثالثا : دار الصلح أو « العهد » [٢٩] : ويميز الفقهاء المسلمون قسما ثالثا ، بين دار الاسلام ، ودار الحرب ، يطلقون عليه بدار الصلح أو دار العهد ، وهي تلك البلدان التي تكون في حالة عهد أو أتفاق مع الحكومة الاسلامية ، ومن الامثلة التاريخية عليها بلاد نوبيا ونجران .

هكذا لعبت ولاية الجهاد في الاسلام ـ في جانبيها التاريخي والفقهي ـ دورها المهم في توطيد دعائم النظام العسكري في الاسلام في حالتي الحرب والسلم ، فصانت وحدة الدين الاسلامي من كل تصدع وانشقاق ، كمـا كانت عاملا مهما في توسيع نطاق العالم الاسلامي وامتداده الى اقطار مترامية الاطراف في الشرق والغرب .

---

(١) انظر :

Encyclopeadia of Islam, ed. 1, Heffening, Art., Wilaya

(٢) انظر : المبرد ـ الكامل في اللغة والادب ، القاهرة ـ جـ٢ ـ ص١١٣ .

(٣) انظر : نفسه ص١١٣ .

(٤) انظر : ابن منظور الخزرجي ـ كتاب لسان العرب ـ الطبعة الاولى ، مصر ، ١٣٠٧هـ ص ٢٨٩ .

(٥) انظر : نفسه ـ ص٢٨٩ .

(٦) انظر :

E.W. Lane, Lexicon, Book, I., part III, London, 1893, p. 3060.

وانظر أيضا : مجد الدين فيروزآبادي . القاموس المحيط . طبعة ٤ ، ١٩٣٥ . ص٤٠١ .

(٧) انظر : المبرد : الكامل في اللغة والادب ، جـ١ ، ص١٢١ .

(٨) انظر : البلاذري ـ فتوح البلدان ـ القاهرة ، ١٩٠٠ ـ ص ٧٩ .

(٩) انظر : الماوردي ـ الاحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص١٢٨ .

(١٠) انظر اليعقوبي ـ التاريخ العام ، طبعة Brill ، ١٨٨٣ ، ص٧٠ .

وابن الاثير : الكامل ، جـ٢ ، القاهرة ١٣٤٩هـ ـ ص ٧٧ ـ ٨٧ .

(١١) انظر : ابن سعد ـ كتاب الطبقات الكبير ، طبعة ، ليدن ، ١٩٠٨ ، المجلد٢ ، جـ٢ ص ٥ .

(١٢) انظر : ابن الاثير ، الكامل ، جـ٢ ، ص ٧٩ ـ ٢٠٦ .

(١٣) انظر : اليعقوبي ـ جـ٢ ، ص ٧٠ ـ ٧٢ ـ ابن الاثير ، جـ٢ ، ص٨٧ .

(١٤) القرآن الكريم ـ سورة الحج : آية ٣٨ ، ٣٩ .

(١٥) القرآن الكريم ـ سورة البقرة : آية ، ٢١٧ .

(١٦) انظر : اليعقوبي ـ التأريخ العام ، جـ٢ ، ص٨ .

(١٧) القرآن الكريم : سورة الانفال ، آية ٤١ .

(١٨) القرآن الكريم : سورة التوبة ، آية ٢٩ .

(١٩) القرآن الكريم : سورة الحديد ، آية ١٩ .

(٢٠) القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية ١٥٤ .

(٢١) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، آية ١٦٩ .

(٢٢) انظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، طبعة ، Bonnac ، ١٨٥٣ ، ص٥٧ .

(٢٣) انظر : نفسه ، ص٥٨ .

(٢٤) انظر : نفسه ، ص٨٩ .

(٢٥) انظر : نفسه ، ص ٩٦ .

(٢٦) انظر : نفسه ، ص١٠٢ .

(٢٧) انظر : Encyclopeadia of Islam, D.B. Macdonald, art., Dar al-Islam.

(٢٨) انظر : نفسه

Encyclopeadia of Islam, D.B. Macdonald, art., Dar al-Harb.

(٢٩) انظر : Wadi Jwaidah, The introductory Chapter of Yakut's Mu'jam al-Buldan, Leyden, 1959, p., 61.

الى صانعي المجد في جنوبنا العربي

عبد الله احمد السامرائي

أبـدا سأهزأ بالقيـود ... وأظـل أرنو من بعيـد
مترقبـا فجر الحيـاة ... يعود يزحف من جديد
وعلى شـفاهي بسـمة ... خضراء بالأمل الوليـد
اني أرى حلـم العـروبة ... قـد تململ بالقيـود
فأبث روحي رغبـة ... ان رنمي حلـو النشيد
امنت بالجـرح المعطـر ... بالـرماد وبالصديد
بالاغنيـات البيض ... تنشدها شـفاه من حديد
بالمجد رفـرف باسما ... يخطو عـلى كتف الشهيد
بالطفلـة الحيـرى ... تقلب ناظريهـا في شـرود
وبدمعـة الشيخ انحنى ... متغنيا : ابسم وحيـدي
ابسم بنـي وناجنـي ... فالفجـر يلمع من بعيـد
ابسم فما زالت يـداك ... تخـط آيات الخلـود
ابسم سـأحمل مدفعـي ... وحـدي بعزم من حـديد
« ردفـان » هب لـي ... ان اطـأطـأ في سـجود
الغـار ينسج من ضلوع ... الحر في طـوق فريد
قالوا أتاك العيـد فاهنـأ ... قلت لـكن أي عيـد
وعلى فمي انشـودة دموية ... الالحان يعزفهـا وريدي
أويصـبح الحر الابـي ... بأرضـه عبـد العبيد
أو يسلب الوطن الابي ... بأيـد هاتيك القرود
امدد ذراعـك يا أخي ... فالروح تسـخر بالحدود

الصرع الأدبي

عزيز السيد جاسم

« نحن الرجال الفارغون ـ نحن الرجال المحشوون ـ نتساند ـ بين الفكرة والحقيقة ـ بين الحركة والعمل ـ يقع الظل ـ بين التوهم والخلق ـ بين العاطفة والاستجابة ـ يقع الظل »

ثمة اشياء واشياء اجتاحت حقول الادب فجعلته أمتدادا لارهاصات عريضة مستطيلة بعيدة الغور ، وبنفس الدرجة والقابلية نشأت تفسيرات وتوضيحات تحليلية لتلك الظاهرة · وتوكيدا لذلك ينبغي تبيان ضربين من التحليل ، اولهما ما يصح اعتباره التحليل النفسي اللا موضوعي الذي يعتمد كليا على موقف الذات وبما ان الذات خط بياني متعرج لذا فالادب يوازيه هبوطا وصعودا · وثانيهما التحليل التأريخي الموضوعي الذي ينظر الى الادب نظرة شمولية أبعد من المرحلة الآنية والنفسية الكاتبة ·

وقد لا أراني مغاليا اذا قلت أن الادب أفراز فني ، ان كلمة افراز قد تعطي معنى شديد الارتباط بعمليات الاجهزة ، وقد لا يحتملها ذوو الذوق المرهف والحس الناعم ولكن ذلك لن يضير فالافراز ان لم يكن لكان الجسد قد اختنق ، وكذا الاديب ان لم يكتب لخنقته عبرته وقتلته أحاسيسه ، وهنا يظل التساؤل هل أن هذا الافراز عمل داخلي لا شأن له بالموجودات الخارجية أم انه ارضاء داخلي ليس محضا بل له علاقة بالروابط الموضوعية المحيطة ؟ وفي الحقيقة تبقى هذه النقطة ساحة جدل مستمر ونقاش محتدم ·

ان الادب مهما بلغ من اللاأجتماعية وادعاء الابتعاد التام عن المجتمع لابد ان يكون مقرا للبديهية الاولى الا وهي كون ذلك الادب نشأ في رحم مجتمع وبذا يصير من الثابت لدينا أنه لابد ان يحمل سمات أمه · اننا نستطيع وبصورة تجريدية ان نقسم الادباء على الصعيد التأريخي الى ثلاث فئات : أدباء الحياة الذين يدخلون في خضم الصراع لتنشيط قوى الحياة البازغة ولدحر وقبر القوى الهرمة الشائخة والمحتضرة ، وادباء الموت الذين يريدون فرض سنة الموت على خضرة الحياة والذين عبثا يحاولون ان يمدوا في عمر ما تقرر موته حتميا ، اي أنهم يعممون سلطة سلاطينهم الخائرين على مباهج الحياة البهيجة الخصبة ·

والفئة الثالثة الادباء المختلطون الضائعون العابرون كل الحدود ·

وكادت هذه الفئة تطغي على الفئتين الاخريين حاملة معالم جديدة ومميزات تجعلها بحق شبه مستوطنة •

وثمة ظاهرة نسميها ظاهرة (الصرع الادبي) نستطيع ان نراها وهي تكاد تطغي على (الرشد الادبي) فما هي حقيقة هذه الظاهرة وما بواعثها ومسبباتها ، ومن ثم الى أين تؤدي ؟ ومفهوم (الصرع الادبي) اعني به ظاهرة الارتجاج الادبي والتعايش الادبي المزمن بين تناحرات سيكولوجية وبيولوجية من استيقاظ لرقود ومن تعقل لهوس ومن حكمة لبلاهة ومن سلام للعنة • فأديب يكتب ببساطة عن الناس ، حقيقة الناس ، بساطتهم وشجاعتهم وكرامتهم واذا به بكل بساطة يعلن في وقت آخر (انا ، أنا الغضب الاسود على كل الحياة) • وأديب يكتب عن الحب ، لا جدوى الحياة بدون حب ، يكتب عن الربيع والفراشات والاصيل والندى والعيون ، واذا به مرة أخرى يكتب : (النقمة على كل من يحب ، الحب بيت الشيطان) • وأديب آخر يكتب قائلا : (وانت يا ألسنة النار والدمار لتمتدي فأعالينا سوف تخمد جورك الى الابد ، وانتم ايها المستضعفون هبوا فالفجر يناديكم) ومرة أخرى يكتب : (المستضعفون يا للسخرية ! البلهاء الذين يريدون ان يبتلعوا شمسنا !) •

والادباء في المجتمع كالمنادين في السوق ، فأما أن يكونوا سماسرة وأما أن يكونوا دعاة مخلصين فهم اعرف بطبيعة السوق وحاجاته وحركته وبصفتهم أكثر الناس حسا وارهفهم شعورا فلابد اذن أن تكمن وراء هذه الظاهرة ، ظاهرة الصرع الادبي لديهم ، عوامل معينة ، هذا ون ظاهرة الصرع الادبي قد لا تشمل أديبا بمفرده بل أنها تشمل الادب ككل ، فأدب يمجد الانسان ، ويصدح بأناشيد الانسان وخيره وملحمته كما يؤكد (فرجيل) وأدب ينظر للانسان بتصغير واحتقار واشمئزاز ونكاية ، ما العوامل التي تكمن وراء ذلك ؟ هل هي عوامل متأتية من طبيعة تكوين الاديب النفسية والعقلية والجسدية فقال ما يقول دون ان يأتي غريبا حوشيا ، أم ان شيئا ما اكبر من كل ذلك واعظم منه هو الذي يجعل الامر بهذا الشكل ؟

× × × ×

بلغ العلم شأوا بعيدا في مجتمعنا العصري وامتدت الحركة العمرانية فاجتمع الانتاج الى الجمال وبذا جاءت مدينة حديثة فيها كل غريب وبديع ومدهش • وبقولنا : (فيها كل غريب) قد نضع يدنا على صمام الخطر • فمجتمعنا مشحون بتناقضات حادة ، المدنية تتطور والمتناقضات تزداد ايغالا وحدة وسعيرا ، ففي الوقت الذي تكثر فيه السلع والحاجيات نرى أزمة الغلاء تأخذ بناصية السوق بين حين وآخر فتلتهم النيران والمياه ما زاد من بضائع من أجل أن يبقى السعر مرتفعا وحتى لا تأخذ الطبيعة الانتاجية

والتبادلية مجراها وفي الوقت الذي تكثر فيه المعامل والمصانع والورش الصناعية الفخمة وتنتشر في المدن والبقاع ، واذا بافواج هائلة ، من جنود البطالة المفلسين يتسكعون تسحبهم التفاهة والضياع والقلق على المصير • الاموال تنتشر بتضاعف مضاعف والاساليب تتبدل والازياء تتجدد ومع ذلك مازالت هناك مقابر يسكنها ذوو الدخول المحدودة والعاطلون •

قد تتطاول ناطحات السحاب الى السماء ومع ذلك فما زال الانسان مكبلا محروما من الكلمة الشريفة ، ترى البشاعه التى تقر انيها المصلحون بقرف واشمئزاز ، السرقة والزنا والخديعة والقتل ، فاي علم هذا الذي منح البشر مغاليق الذرة فغلقها ومع ذلك لم يغلق ذرة الشؤم والنجاسات ، لم يطارد زحافات الشر والاثم ، لم يلاش سحائب الدجل والتفاهة والسقوط المتربعة والآخذة بالخناق • واي ادب هذا الذي يكتب عن المواسم والربيع والحقول والمطر دون أن ينظر للعيون التي يجمدها الخسوف والافواه التي تيبسها صيحات الاستجداء والاستغاثة والوجوه التي تذبل بعد ان يشرب الشحوب منها الدم والندى والطراوة •

والاديب في المجتمع ، يمجد البطولة في ارض غير ارضه ولو عاد لارضه لخنقته الغصة ، يكتب وكتاباته صورة لمجتمعه ، ويأتي انتاجه جيدا ولكن الاستخفاف نصيبه ، ما العمل ؟ لابد ان في الامر خطأ ما ، أما أن يكون فيه وهو متأكد انه قدم وجدانا حيا ممتلئا يسكب روحه في كل السطور ، أو ان الخطأ لدى المجتمع وحاشا وبذا لابد ان يداخله الخوف من مجتمع ذي سطوة • والنتيجه هل يترك الكتابة ؟ نعم يتركها أياما قليله ولكن هل بالمستطاع ان تسد ينابيع الارض بقطعة من قماش ؟

ان الاديب محاط بأسيجة متعددة تدفعه من جنب لجنب وتخلق في ذاته نويعات متعددة من الالحاح والتهافت والتردد والقلق والهروبية لهذا فان ذلك الامر ليس بالشيء المستغرب ، وللتحقق من حيوية الادب الحي ولاطلاق لقب الحيوية كنية تعين موقع الادب في عالمنا الكبير لابد ان نعتبر مفهوم (الاصطراع الادبي) مختلفا عن مفهوم الصرع الادبي فهو ضروري وحقيقي ، فحقيقي لكونه شديد الصلوق بالارتباطات العضوية المتسلسلة والمتبادلة التأثير والارتقائيه في صيرورتها ومسيرتها

وعمليا لا نستطيع التوصل الى عمليات نشوء وتفاعل تجديدي وخلق مطرد الا بأعتماد التضاد بداية لكل غاية وعلة فالادب بدون سلب وايجاب وبدون الاستقطاب والتنافر الجزئي حينا والكلي حينا آخر لا يمكن ان يرتقي ويتخطى حدود مرحلته ولعلنا لا نعلن شيئا جديدا لو قلنا ان السكونية في الادب التي تحمل معاني أولى للموت الادبي هي بحد ذاتها تحمل في أعماقها لونيات وملامح تناقضات خفيفة متلاشية •

فالاصطراع في الادب حقيقي لا يمكن الفرار منه كحقيقة الحياة والموت والخير والشر وهو ضروري لتعديل تجربة الانسان في عالمه الكبير • أن عمل

الانسان التأريخي والذي يعطيه نياشين الفخر على كل الحيوانات اللاانسانية هو العمل الدؤوب المستمر والمثابر من أجل اخضاع الطبيعة وأذلال الجموح البيئي ، أن صراع الانسان مع الطبيعة صراع أزلي يأخذ أشكالا متعددة متباينة ، والادب لابد أن يسهم في تلك المعركة وان كان يبدو بعض الاحيان ولدى بعض الادباء وكأن لا علاقة له بهذا الصراع المرير والدائمي ، وعندما يتدخل الادب بهذا الصراع لابد ان يعدل مواقفه عبر تناقضات طويلة ومتغيرة حتى ينال جدارة الأهلية لمواكبة حركة التطور النشطة والفاعلة . اذن ألا يمكن اعتبار الاصطراع بين المذاهب الادبية شيئا ضروريا وطبيعيا ؟ أننا قد لا نجافي الصواب لو قلنا بأن الاصطراع الادبي في المذهب الادبي الواحد بل وحتى لو كان عند الاديب الواحد هو شيء ليس بالمستغرب .

اما الصرع الادبي فهو سمة من سمات انهيار الانسان في العصر الحديث ، الانسان الذي وجد كل القيم السابقة والمقدسة لديه مهملة ومزدراة وملغاة ، ان صيحات اللا جدوى والعبث والانسحاق والانزواء عند الادباء الكبار الذين تبنوا الالتزام منذ اللحظة الاولى هي مظهر يمثل صرعا حادا وتشنجات فكرية وأدبية يعانيها أولئك الادباء . أن الطيبين الذين تملأ قلوبهم مشاعر النبل والطيبة والجمال والذين تصوروا ان نداءاتهم وصرخاتهم وجهودهم الفردية التي بلغت الذروة قادرة على تبديل العالم ، وبعد حين وجدوا العالم كما هو مازال قبيحا مملوءا بالأسى والاحزان والتعاسات ، أصابهم ارتداد مفاجيء في الصميم واعلنوا ان لاحيلة لهم وان الكون لن يتغير ، وطبعا لا يعلنون ان الكون لا يتغير بل انهم يظلون يتكلمون كالمخرفين والمشدوهين عن اشياء بعيدة عن الساحة ، يتكلمون عن الماضي واللاوعي وعن اشياء لا يفقهها سواهم هذا وقد تظل الرموز المؤكدة لماضيهم الادبي والفكري كبقايا أثرية تستحق الكنس والاكتساح من قبل المجددين المحدثين الناشئين . وبسهولة يتحول مبدعو الماضي والمستقبليون الى قوى متبوذة او معوقة ترمى على الهامش .

× × × ×

(ان الصرع الادبي مركب وامتزاج أدبي عند الاديب الواحد ، أنه الغلو والاسراف في كل الامور المتقابلة وجها لوجه والعواطف المتناحرة ، أنه اغراق صوفي من أديب حسي ، أنه بودليرية كلوديل وفوكترية اراجون ، انه خليط حاد بين المفهومية والوضوح والماضي البعيد والمستقبل الاكثر مجهولية ، أنه شيزوفرينيا المفرطي الحساسية والادراك .

ان الصرع الادبي كما نحب أن نثبته صفة من صفات حركة أدبية عامة وعلى العموم يبدو الصرع واضحا في اراضي اوربا واميركا ، هناك ـ والشأن في ذلك شأن كل شيء في بلد منظم تقني ـ تكون الجدية بشكل تفرض الصراحة في التقسيم والتحدد في العمل والرأي ولذا فالالتزام بمعناه

الدقيق المعمق هو حقيقة حيوية تقرها وتفرضها طبيعة التقسيم الاجتماعي للناس ، ان الاديب هناك اما ان يلقي بحمله هنا او هناك واما ان يمد يده الى الأجراء والمشردين والبؤساء او يتحول الى صنيعة تخدم خساسة الاستملاك اللاانساني وتهافت المرابين من أجل ان تتحول كل الحقائق وقيم الشرف الى أرباح وسندات ٠

وهناك لا يستطيع الاديب ـ أديب المدينة الكبيرة ـ ان يبقى في خلوة ذاتية واستغراق فردي في عاطفية خالصة والا لكانت الاتهامات تتوالى عليه من كل حدب وصوب ، ولا نستطيع اعتبار تلك الاتهامات ظالمة حالما يتضح لنا ان ذلك الاديب يطرد من حسابه مسألة الناس وقضاياهم الملحة ٠ وطبعا عندما يتدخل الاديب في قضايا الناس لا يتدخل كمحرض مشاغب يشبع نزوة الهوس والهياج والاندفاعية الرعناء بل يتدخل كمؤمن يهيب بالجرحى ان يضمدوا جراحاتهم وبالعراة أن يستروا عريهم ، والوعظية ليست مثلبة بل انها تكون مثلبة ان تجردت من الايمان العميق الذى يرافقه عمل وكفاح٠

ان الغموض والتعقيد المستمر في الادب مظهر صرعي يحاذر من التورط في المسائل الملحة ، وهو هروبية واضحة من التوضح والتكشف والصراحة ٠ ان جنوح بعض الادباء الى الغموض شيء غير مرغوب فيه في وقت نعتبر فيه ضرورة ان يكون الادب واضحا ٠ وان كون الادب ارثا مستمرا للانسان والتاريخ لا يربح في غموضه الا القائل نفسه ، وأي حكمة في أن يرضي واحد نفسه بينما يظل الجميع في حيرة مبهمة وقلق مفترس ؟ وان ادعى المعقدون الغامضون انهم انسانيون مع غموضهم فماذا ينتظرون من جوابنا ان يكون ؟ لا شك ان الرجال الباحثين عن قوتهم حري بهم ان يفتشوا عن القوت وبعده الكلمة الحرة الهادية لا ان يفتشوا عن معاني متخيلة تجرها كلمات محمومة

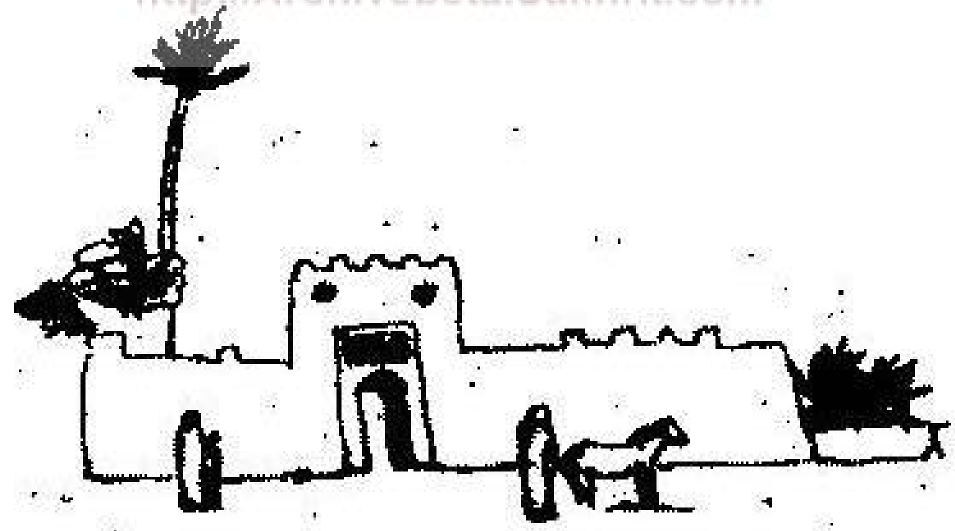
اما عن الآراء التي يتكلم عنها الكثيرون ، بان كل شيء هباء والعبث سنة الحياة ، وعلى الجميع ان يدركوا ان لا غاية لهذا الكون، واعتبار الانسان منفيا عن الناس وحتى عن نفسه ، فذلك وان كان له ما يبرره لكنه القاء الحجة واعلان الفشل ٠ ان ذلك المظهر من مظاهر الصرع يبرر في مجال واحد ووحيد فقط هو مجال الحب المستمر لاحتضان الحياة ، هذا الاحتضان المهدد بالموت فالاديب يعشق الحياة وبعد ذلك يوالي حبه هذا وفجأة يفطن الى ان قدرية سوداء تتفحص أقدامه ومواقعها ، ويدرك ان هناك موتا ، وبعد هذا ينقلب كل شيء ويتحول حبه الى بلاهة وخوف واستسلام وقلق وجزع لا ينتهي ان الحياة شيء معطى لنا ، ونحن نحبه كما نحب انفسنا ، فلنظل امناء لهذا الحب ولتلك الحياة ، وبعدها اذا انتهت ، ان كان بيدنا أن نستنكر فلنستنكر ، والا فالمفروض ان نظل امناء للموت ، وهكذا الاحياء أمناء للموت ، وهكذا الاحياء أمناء لحياتهم والموتى أمناء لموتهم ٠

أن نيأس ويعتصرنا الالم اذا تصورنا نقمة الموت لهو السلاح السلبي الوحيد الذى نملكه بوجه الموت ومن أجل الحياة ، أما ان تتحول حياتنا الى

يأس مستمر يثيره موضوع الموت فهذا خزي ينبغي ان يعالج فورا بالانتحار، والانتحار بهذا وان كان جبن المضمخين بعبير الحياة فهو شجاعة اليائسين ٠

ان القرن العشرين هو بالحق قرن القضايا النفسية ، ان الحس المرهف توغل لدراسة اعماق النفس وبتوغله هذا لم يكسب الا العصاب والانفصام والاضطراب والوهم ، وعالم الرأسمالية المضطرب شجع كل ذلك فأنشغل اغلب رجال الادب عن ضرورة انقاذ الحياة من مخالب هذا الغول الغريب الوصف ، انهم يدركون ذلك ومع هذا فهم قانعون بتخاذلهم هذا وسلبيتهم تلك ٠ ولدينا في العراق تبرز ظاهرة الصرع الادبي لدى الشعراء خصوصا٠ ان تسكع الكثير من المحدثين في مختلف مناحي الشعر وأغراضه يحتاج الى دراسة مستفيضة مدعمة بالامثلة ومقرونة بالشواهد الناطقة ٠

ولا يسعنا لكي نختم هذا الموضوع الا ان نقول بأن التاج رمز الكفر والضلال والغشاوة والاندحار لا يمكن ان يزيله صرع أدبي بل شيء واحد يزيله هو الالتحام مع الناس كل الناس وإلا لان يعجز الانسان عن ان يستجير من الشقاء حتى بوهم او برؤيا ، ان يعيش بلا رجاء ـ او ليس ذلك هـــو الجحيم ؟ أليس عدلا أن يزول ؟



كتب الشهر

نفحات من خمائل الادب الفارسي

نقلها الى العربية شعرا ـ
الاستاذ جعفر الخليلي
منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابهـا
بالجامعة اللبنانية ـ بيروت
١٨١ ص من القطع المتوسط

هذه اضمامة عطرة من روائع خمائل الادب الفارسي نقلها الى لغـــة الضاد شعرا الاستاذ جعفر الخليلي ، وقد جرى في الترجمة ـ كما يقول في مقدمة كتابه (مجرى المذهب القائل بأن المقصود بالترجمة هو نقل الفكرة التي اوردها الشاعر دون التقيد باللفظ ، والوزن ، وعدد الابيات ، فأن كنت قد اطنبت في شرح الفكرة وزدت عليها شيئا ، او اذا كنت قد اختصرتها وانقصت منها شيئا ، فأنني لم افعل ذلك الا على قدر ما تستدعيه الترجمة لكي انقل فكرة الشاعر الى نفس القارىء كاملة صحيحة ، كما لو كان الشاعر نفسه قد حاول نقلها بنفسه الى العربية ، لذلك فأن أية زيادة او نقصان مشهود ، لا ينبغي ان يفسر بأكثر من طريقة او وسيلة لا يمكن بدونها ان يضمن المترجم نقل المعنى المطلوب ، والفكرة التي يرمي اليها الشاعر ، نقلا امينا صحيحا ليس فيه اي شيء اكثر مما اراد الشاعر ان يقول ، ولا اقل مما قال) .

وبعد ، فالمختارات مستقاة من شعر اكابر شعراء الفارسية امثـــال سعدي والشيرازي والخيام وفردوسي فراهاني وايرج ميرزا وابي القاسم حالت وابي سعيد ابي الخير .. وغيرهم كثير .

ولقد قدم لها الدكتور (محمد محمدي) رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية .

كما كتب المرحـــوم الاســـتاذ علي الشرقي ـ بين يدي المجموعة ـ كلمة عن تطور الشعر العربي في بنائه واغراضه .

فيضانات بغداد في التاريخ

ـ القسم الثاني ـ

للدكتور أحمد سوسة

٣١٥ صفحة من القطع الكبير
مع مقدمة وفهارس وتقاريض
مطبعة الاديب ـ بغداد

هذا الكتاب الذي يبحث في تاريخ فيضانات انهر العراق وتاثيرها بالنسبة لمدينة بغداد والتدابير المتخذة للوقاية من خطر الغرق في مختلف عصور المدينة ، وهو القسم الثاني من هذا البحث الذي حاز القسم الاول منه على جائزة الكتاب العربي لعام ١٩٦٣ . وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره .

ويقول المؤلف في مقدمته « كنت حين اقدمت على اعداد هذا الكتاب الموسوم بـ (فيضانات بغداد في التاريخ) قد عزمت على حصر مواده في مجلد واحد . ولكن التبسط الذي اضطرتني اليه مستلزمات البحث اوجبت اصداره في مجلدين الاول والثاني .

وقد تضمن المجلد الاول اربعة فصول هي :

١ ـ الرافدان ودجلة
٢ ـ الطوفان وما بعده
٣ ـ بغداد مدينة السلام
٤ ـ فيضانات بغداد في العهد العباسي

ثم بعد ان شرعت بطبع الجزء الثاني باعتباره تتمة للبحث وجدت نفسي أمام امر واقع وهو انه لابد من جعل الكتاب في ثلاثة مجلدات لاستيعاب البحث الكامل للموضوع .

ويشتمل هذا الجزء على اربعة فصول كذلك هي :

١ ـ فيضانات بغداد في عهد المغول والفرس والترك
٢ ـ الاحصاءات الهيدرولوجية الحديثة
٣ ـ فيضانات بغداد في العهد الاخير
٤ ـ اعمال الري في العهد العثماني وفيما بعد الاحتلال البريطاني

ويشير المؤلف الى انه سيتناول في الجزء الثالث من بحثه الموسع هذا المشاريع التي انجزت حتى الان في معالجة اخطار الفيضان مع شرح للمشاريع الاخرى القادمة .

والكتاب معزز بجملة خرائط ومرتسمات وتصاوير .

رسالة الكندي في اللحون والنغم

ملحق ثان لكتاب « مؤلفات الكندي الموسيقية »

تحقيق ، زكريا يوسف
٣١ صفحة من القطع الكبير
مطبعة شفيق ـ بغداد

ينبه المحقق في مقدمة هذه الرسالة الى انه لم (يكن على علم بها عندما نشر كتابه (مؤلفات الكندي الموسيقية) المحتوى على خمس رسائل لفيلسوف العرب أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي المتوفى في حدود سنة ٢٥٢هـ) ٠

ويقول(ولقد كانت الرسائل الثلاث الاولى معروفة بانها للكندي ، نظرا لما نصت عليه العناوين الموجودة على صفحاتها الاولى ، ولان مادتها الموسيقية واسلوبها الكتابي مما لا يدعان مجالا للشك بأنها من قلمه ٠

اما الرسالتان الرابعة والخامسة فقد ضاعت الاوراق الاولى من كل منهما والتي تحتوي عادة العنوان واسم المؤلف ، ولا يوجد على ما تبقى منها ما يشير الى انهما للكندي ٠ غير انني لدى دراستي لهما حصلت لدي القناعة بانهما من تاليفه فنشرتهما على انهما للكندي وقلت انذاك : وعسى ان يجود لنا المستقبل بنسخة اخرى لتثبت او تنفي ما ذهبت اليه ٠

ولقد استجاب ذلك المستقبل رجائي ، فكلل تنبؤاتي بالعثور على هذه الرسالة الكاملة التي اثبتت اليوم بعض ما ذهبت اليه سابقا وأكدت للتاريخ حقيقة هاتين الرسالتين بصورة لا تدع مجالا للشك ٠

وهذه الرسالة الجديدة محفوظة اليوم في خزانة ولاية « مغنيسا » بتركيا ٠ وتعتبر على جانب من الاهمية في تاريخ الموسيقى العربية لاحتوائها على ثلاثة أمور فريدة في بابها وهي كيفية صناعة العود وتسويات العـود وتمرين للضرب على العود) ٠

مخطوطة ديوان مفتاح الافراح في امتداح الراح

لعبدالمحسن بن حمود التنوخي الحلبي
بقلم الدكتور محسن جمال‌الدين
٤٣ صفحة من القطع الكبير

يتحدث الدكتور جمال‌الدين عن مخطوطة ديوان الافراح في امتداح الراح فيقول :

كانت مخطوطة الديوان ملازمة لي منـــذ تسع سنوات انصرمت من عمرها بين يدي • بعد ان حصلت عليهـــا اعـارة من الاستـاذ البحاثة (عبدالرحمن الخير) من اللاذقية بســـورية • وهي مطموسة العناوين مجهولة الناظم ، مشوشة الترتيب ، مهملة التاريخ ، ناقصـــة القصائد ، ركيكة الكتابة ، كتب عنها معيرها دراسة اسماها (البازيازي) ونشرها في باب (شاعر قديم) بمجلة (القيثارة) الشعرية • دون ان يهتدي الى عنوانها الكامل وناظمها الشاعر وتحديد عصره ومكان ولادته • ولقد ظن ناسخوا الديوان بانه من شعر (ابي نواس) الحسن بن هانيء • واستمرت هـذه المخطوطة تسير في متـــاهة طويلة دون أن يهتـــدى الى حل أسـرارها ، لنقصها ، وقدمها ، ورداءة خطها وتحريف كلماتها • حتى هدتني الصدفة وانا ابحث في مكتبة (المتحف العراقي) في مجموعة المخطوطات الشعرية فيها • فأذا بي اقع على ديوان خطته يد الخطاط العراقي المرحوم الشيخ ابراهيم الدروبي للبحاثة المرحوم الاب (انستاس ماري الكرملي) وبعد ان تصفحته وقعت على عنوان الديوان وصاحبه • فاذا هو (مفتاح الارواح — في امتداح الراح) لعبدالمحسن التنوخي الحلبي لا كمـــا ذكر الاستاذ (الخير) بانه (ديوان البازياري) • ثم رجعت بعدها ابحث عن مكان الديوان ووجوده وترجمة ناظمه ، فراجعت فهارس المخطوطات العربية في الشرق والغرب ، وتراجم الرجال ، فحصلت على ما اريد من تحقيق اسم الديوان وحياة شاعره ، وعصره ودراسته وموطنه واثاره وسفره •

ثم يتحدث الدكتور الكاتب عن ذلك كله في مقاله المطول الذى استله من مجلة كلية الآداب وطبعه مستقلا بهذه الكراسة •

ديوان الكعبي

قسم المراثي الحسينية
للحاج هاشم الكعبي
قدم له وعلق عليه وصححه :
محمد حسن آل الطالقاني
٢٤٦ صفحة من القطع المتوسط
منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها
في النجف الاشرف

كتب السيد محمد حسن آل الطالقاني مقدمة ضافية بين يدي الديوان استغرقت تسعين صفحة كاملة تناول فيها موضوعات ادبية مختلفة مثل

(الاستشراق والمستشرقون ، والادب واثره في الحياة ، ومكانة الادب عند العرب ، وعناية الاسلام بالشعر وموقف الفقهاء من الشعر ٠٠ الخ) ٠

كما تناول حياة الشاعر وشعره وشاعريته واقوال العلماء والادباء فيه وديوانه المخطوط وديوانه المطبوع ٠٠ وغيرها ٠٠ وغيرها ٠٠ اما الديوان الذي قدم له ناشره بكلمة مختصرة فيقع في حوالى ١٥٠ صفحة في المراثي الحسينية ومدح آل البيت (رض) مذيلة بفهارس للقوافي والاعلام والامكنة والبقاع والقبائل والاسر ٠

هدايا وردت المجلة

★ السجين

مجموعة من مجلة السجين التي تصدرها مديرية سجن بغداد ويحررها السجناء ويسهم فيها عدد من الاساتذة والمسؤولين وذوي الاختصاص ٠

وتستهدف (السجين) نشر الوعي الثقافي والتوجيه السليم بين المساجين منطلقة من حقيقة كـــون السجن في العصر الحديث « وسيلة من وسائل تثقيف المجرم وهدايتـــه ودراسة نفسيته والعمل على اصلاحه وتمكينه من العمل الصالح ومن ثم اطلاقه لخدمة مجتمعه » ٠

★ ســراب

مجموعة شعرية لعبدالحق العاني (٢٩) قصيدة في ١٢٢ صفحة من القطع الصغير مع مقدمة بقلم الشاعر ٠

★ وادي الهوى

مجموعة شعرية لمصطفى نعمان البدري ١٢٨ ص من القطع الكبير ــ مطبعة دار البصري ــ بغداد مع مقدمة وخاتمة للشاعر ٠ وقد ساعدت وزارة التربية على نشرها ٠

المنتمي
تاليف : غالي شكري

عبدالجبار عباس

ان قارىء نجيب محفوظ ليسعد حقا بهذه الدراسة الموسعة التي استطاع فيها غالي شكري أن يقدم تصورا شاملا لتطور رؤيا نجيب محفوظ عبر رواياته منذ (القاهرة الجديدة) حتى (السمان والخريف) ، سيما وان المكتبة العربية تفتقر - اذا استثنينا ما ألف عن توفيق الحكيم - الى الكتاب الذي يعقد كله لدراسة روائي أو مسرحي عربي معاصر .

يبدأ غالي شكري كتابه بدراسة موسعة لثلاثية نجيب العظيمة مركزا على شخصية أحمد عبد الجواد وقضيته الفكرية مؤكدا بذلك أن الثلاثية من أدب القضايا الفكرية الذي يمثل عنده المستوى الاعمق بين مختلف ألوان الأدب ومخالفا بذلك الراي الشائع عن الثلاثية والقائل بأنها من القصص النهرية التي تبعث مرحلة تاريخية بأجيالها المتعاقبة . والقارىء يجابه في البداية بحديث مطول عن الانتماء واللا انتماء والتمرد والرفض وتأكيد على الفروق الجوهرية بين المثقف الغربي حيث (التقاليد الديمقراطية العميقة الجذور في تربة الحضارة الغربية) التي هددتها النازية والفاشية فاتخذ الغربي موقف اللاانتماء ، وبين الشرقي الذي عانى من التخلف الحضاري واللاديمقراطية حيث معوقات التغيير تغلب ارادة التغيير فكان الانتماء هو السبيل الوحيد لكي يحقق وجوده ليخلص الى القول بأن كمال يمثل المنتمي المأزوم وان رغبته في اللاانتماء تدخل في طبيعة المنتمي العربي كجزء من بطولته التراجيدية ، لان الانتماء قدر العربي .

ورغم ما في الفصل الاول من تشعب يحس القارىء ازاءه انه يلج غابة لغاء مبهمة المسالك ، سيما وأن المؤلف يطلق أحكاما قاطعة عن الانتماء واللاانتماء بين الشرقي والغربي - الا أنه ، في النهاية ، يظفر برأي الناقد في الثلاثية وقد استحالت لديه الى قضية كمال وحده باعتباره يمثل أزمة جيل . ولذا فالقارىء لا يدهش حين يقرأ : (نجيب توسل بالمنهج التاريخي

الى حماية تجربته من صدود القارىء !) (الأب العملاق أحمد عبدالجواد كفل له الفنان صفحات الجزء الاول من ثلاثيته لكي يتضح دوره الخطير في نشأة ابنه كمال الذي كان يرتعد فرقا من أبيه) (ليست الشخصيات الرئيسية الا وجوها متعددة لشخصية واحدة هي كمال عبد الجواد استخدمها الفنان كحيلة روائية) ذلك ان اعجابه بأدب القضايا الفكرية جذبه تلقائيا الى قضية كمال فتشبث بها واضطر بالتالي الى القسول بأن باقي جوانب الثلاثية ليست سوى أدوات صياغة لهذه القضية فوقع في جملة أخطاء متتالية . ولسنا ننكر أهمية أزمة كمال في (قصر الشوق ، السكرية) ولكن ، هل كان نجيب مضطرا الى خلق هذا العالم الرحب الزاخر بشتى الاحداث والشخوص لابراز أزمة كمال ؟ وما تأثير الأب في نشأة كمال كي يحشد له الفنان صفحات الجزء الأول . هل تختلف هذه النشأة عن غيرها .. وهل كان كمال وحده يرتعد من أبيه ؟ ولماذا يصد القارىء عن قضيته كي يتوسل بالمنهج التأريخي ؟ واذا لم تكن كل شخوص الثلاثية ذات علاقة بكمال فلم اذن وجدت ؟ القول بأن الشخصية الرئيسية هي المحور يصدق في (السمان والخريف) وفي (الشحاذ) لا في الثلاثية ولا في القاهرة الجديدة اذ كرر الناقد الخطأ فقال ان محجوب عبد الدائم هو الشخصية المحور وبقية الشخصيات مجرد مرايا (ص ١٠١) . وما اشك ان المؤلف كان سيفر بمجانبة رايه لواقع الثلاثية لو لم يكن على عجل من أمره ، فما هو الا أن أعجبه كمال حتى جعله المحور الوحيد لعالم الثلاثية الرحيب ومضى يخضع هذا العالم لتصور قبلي خاطىء .

في الفصل الثاني صنف أبطال نجيب في مراحل تبدأ بالضائع محجوب في (القاهرة الجديدة) ثم أحمد عاكف المضطهد في (خان الخليلي) وحميدة التي تمثل الطريق القصير في (زقاق المدق) وحسنين الذي يمثل الطريق المسدود في (بداية ونهاية) ثم كامل رؤبة يمثل السراب فهو الحلقة الاخيرة من ملحمة السقوط والانهيار . ولا شك – مبدئيا – في سلامة تمثيل كل من هؤلاء للموقف الذي اكتشفه الناقد ، ولكنه يقع في الخطأ الأكبر حين يحرص على الربط القسري بين روايات المرحلة الواقعية فيخلص الى هذه النتيجة الخطيرة : (حاول الفنان أن يتجاوز انسانه البرجوازي الصغير الى عالم الخلاص ولكنه لم يكتشف سوى السراب .. تأكد أن الضائع والمضطهد في محاولتهما اجتياز الطريق القصير أو الطريق المسدود لن يجدا سوى السراب) ، فالمؤكد أن السراب رواية منفصلة عما سبقها[1] ولن ينال من

---

(١) يذهب الى مثل هذا الربط بين السراب وما قبلها الاستاذ محمود أمين العالم ، ويرى انها تناقض زقاق المدق فهي الانسحاب من العالم الواسع الى باطن النفس الجبان . بينما زقاق المدق تمثل الخروج من الزقاق الى العالم الواسع والحرب العالمية – مجلة (الهلال) نوفمبر ١٩٦٤ .

قيمتها الفنية انها رواية نفسية لا تنطوي على دلالة اجتماعية خطيرة كالتي توهمها الناقد ، وهو نفسه يعمد الى تحليلها تحليلا نفسيا ، ثم يربطها فجأة بحلقات ملحمة السقوط والانهيار • ان الضائع والمضطهد وصاحبة الطريق القصير وصاحب الطريق المسدود ليسوا مراحل زمنية في رؤيـــا نجيب ولكنهم نماذج بشرية اجتماعية خلقتها ظـــروف التخلف واللاديمقراطية ، وهي لا تخضع لتتابع رياضي بل يمكن أن نجدها في كل مرحلة • زقـــاق المدق وخان الخليلي والثلاثية روايات تمثل القاهرة بكاملها في ظرف معين ، وفيها نكاد نعثر — ما دام التطور الحضاري بطيئا ويكاد يكون معدوما — على كافة النماذج المتطلعة والقانعة ، المضطهدة والضائعة ، المنتمية واللا منتمية ، المتجاوزة للمأساة والعابرة من قلبها ، وقد تنبه المؤلف الى ذلك حين قال ان هذه المواقف (كلها تعبيرات مختلفة عن الشخصية المصرية •• وفي نفس الوقت تعبيرات اجتماعية لأنها تجسيد عفسوي لمعظم الخصائص المصرية على الصعيد الاجتماعي ، فهي تشكل رقعة النسيج الغالبة على تكوين البرجوازية الصغيرة المصرية منذ نشأتها ، والبرجوازية الصغيرة في بلادنا تمثل رقعة النسيج الغالبة على كيان المجتمع المصري) ص١٧٦ • حقا ان شخصيات نجيب قد تبدأ كرمز محدد (ضائع أو مضطهد أو منتم) ثـــم ما تلبث أن تمتد بفضل الصدق الفني والموضوعية الصارمة والحـــدب الأبوي الذي يسبغه نجيب عليها ، الى ما وراء هـــذا الرمز ، فالشخصية الروائية الناجحة ذات ظلال ثرية وامتدادات واسعة تنأى بها عن ان تكون رمزا مباشرا لمعادل في الواقع الموضوعي • وسنرى أن الباحث سيتخلى عـــن هذا التحديد في دراسته للص والكلاب فيرى ان (سعيد ورؤوف ونور أدوات تعبيرية يصوغ بها الفنان عالما كاملا يرمز في شموله الى عالم كامل آخـــر) فلماذا لم يفعل الشيء نفسه في تحليل روايات مرحلة السقوط والانهيـــار سيما ان الفرق بينها وبين اللص والكلاب ليس فرقا نوعيا ، بـــل هـــو — بالدرجة الأولى — فرق في زاوية الرؤيا وفرق في التكنيك اذ تخلى نجيب عن الرصد الدؤوب الشامل لقطاعات اجتماعية واسعة وعمد الى المونولوج الداخلي المتوهج وتداخل اللحظات الزمنية وامتزاج الحلم باليقظة ، وظلت معركته هي هي مع عالم الزيف والتناحر والبؤس ، فرواياته قبل (الشحاذ) تتطور فيها رؤياه ولا تتغير ، ولكنه ليس التطور الجبري الذي ينتهـي الى (السراب) فالفروق بين أبطال نجيب الذين تجمعهم طبقة واحدة ويعانـــون من وطأة ظروف واحدة هي — في الغالب — فروق نفسية (لاحظ مثـــلا تسمية نجيب لأبطال بداية ونهاية — حسن حسين حسنين — يدل على انهم رغم تباين مسالكهم ازاء الواقع يظلون جميعا ابناء شرعيين لهذا الواقـــع ومحتفظين بفـــروق شخصية يرمز لها بالفروق بـــين الأسماء ، على عكس يونسكو مثلا في (المغنية الصلعاء) اذ تحمل أجيال من الأجداد والأبنـــاء

والاحفاد اسما واحدا هو بوبي وآتسمن رمزا لغيـاب الشخصية المفـردة المتميزة •) ومعلوم ان لدى نجيب مسودات لروايات اجتماعية أخرى عدل عن كتابتها أو نشرها ، أتراه ـ لو فعل ـ ستظل رؤيا الباحث سـليمة بحيث يفضي الضائع الى المضطهد الى الطريق القصير الى الطريق المسـدود الى السـراب ؟!

وفي الفصل الثالث يكشف المؤلف عن براعة فائقـة في الالتفات الى الفروق الدقيقة بين المنتمي واللا منتمي وتطورهما التأريخي عبر روايات نجيب ومدى نجاحه في صياغتها صياغة فنية ، الا انه يتشبث بتصنيف معظم أبطال نجيب في صنفين : منتم ولا منتم ، متوهما أن واحدا مثل أحمد عاكف اذا نظر الى الماضي نظرة اعجاب أو مال للثقافة القديمة بات منتميا لليمين ، مع ان شرط الانتماء أن يكون المنتمي واعيا بانتمائه مسؤولا عن النتائج المترتبة عنه واثقا من أن في هذا الانتماء فهما معينا للقوانين الضابطة لحركة المجتمع وفي برنامجه ما يحقق مجتمعا معينا ، فهل كان أحمد من هذا النوع ، هذا الكهل المسكين الذي ضاع عمره بين الاخفاق والاحجام ، على عكس أخيـه رشدي(٢) • أحمد نمط للملايين من متعلمي البرجوازية الصغيرة المحرومة من نعمة الثقافة الحرة ، فهم لا يجدون أمامهم سـوى الثقافة اليمينية يؤكدون بها ذواتهم ويجدون في أمجاد الماضي المندثر عزاء عن الاخفاق في الحاضر ، دون أن يكون وراء هذه الثقافة رؤيا فلسفية أو برنامجا اجتماعيا ، فهو قد يلتقي عفويا باليمين وقد يعد من جماهيره ولكنه ليس منتميا لليمين • وبالمثل فان بضع كلمات يقولها حسنين عن الجوع لا تضعه في صف المنتمين الى اليسار ، بل هو بالضبط (أقرب الى الحساسية الشعبية التي تستشعر الأسى العميق في بلواها الاجتماعية) وهو ليس منتميا بل (يقف على الحافة الحادة بين المضطهد والمنتمي) بين البلطجي حسن والمتطلع الى الطريق المسدود حسنين ، وموقفه هذا لم ينبع من ثقافة سياسية أو رؤيا فلسفية وانما (من تكوينه الذاتي •• فهو أشبه الابناء بأخلاق أمه في صبرها وعقلها واخلاصها) •

على ان منهج النـاقد يستقيم في دراسته للص والكلاب والسمان

---

(٢) يقع المؤلف كغيره في خطأ تحميل نجيب وجهة نظر أخلاقية صارمة حين يقول عن رشدي : (نشأ مدللا شهوانيا سكيرا تستهويه المخاطرة) ص١٢٦ • بينما رشدي يمثل النقيض الفني يبرز أزمة أحمد ويمثل التفتح والحيوية وحب الحياة والمرح دون أن يسقط في مهاوي الابتذال واللا أخلاقية ، وبينما نحب رشدي نرثي لأحمد • وموته في الرواية يمثل عند نجيب تلك القوة الغاشمة اللا منظورة التي تغتال ـ ودون مبرر ـ عنفوان الحياة وأجمل ما فيها ، بيد ان هذا الفنان الكبير لا يستسلم لليأس ، وانما تغادر الاسرة حي الشؤم وتفتح صفحة جديدة في حياتها . فاستمرارنا في الحياة هو الرد الوحيد على عبثها ، ونهايتها الأكثر عبثا ـ الموت •

والخريف واولاد حارتنا ، وفي دراسته للقصة القصيرة عند نجيب فنتعرف عليه منذ أن بدأ موبسانيا ، في قصصه نزوع الى الميلودرامية والمفارقات والفكاهة وذلك في (همس الجنون) التي تشبه من وجوه عديدة مجموعة (بيت سيء السمعة) وربما كانتا من مرحلة واحدة ٠٠ حتى كتب (دنيا الله) التي (تعطي قارئها وجهة نظر شاملة للانسان والكون والمجتمع) وأكد فيها نجيب قدرته الفذة على الاقتراب من عالم الناس والتعبير عن أشيائهم الصغيرة لا بلغتهم هم كما يفعل يوسف ادريس بمنتهى البراعة ، ولكن بلغة شعرية صوفية تنبض ببساطة لا تنحدر للابتذال وتكشف عن أبعاد فكرية دون تقرير أو تفلسف ٠

وبعد : فان في الكتاب اعتمادا كليا على آراء الآخرين في دراسة قضايا لا علاقة لها بموضوع الكتاب ، كاعتماده المطلق على لويس عوض وبرادلي وصدقي اسماعيل في حديثه عن المأساة ٠ وعهدنا باصول البحث أن يكتشف الباحث وجهة نظر جديدة تؤيدها أو تناقضها آراء من سبقه لا أن يحدث العكس ٠ هـذا بينما أغفل الحديث عن روايات نجيب التاريخية (عبث الأقدار ، رادوبيس ، كفاح طيبة) رغم ان له في علاقتهـا بالمرحلة التي ظهرت فيها رأيا ـ لسنا بصدد مناقشته الآن ـ بسطه في كتابه : سلامة موسى وأزمة الضمير العربي ٠

ومهما يكن ، فالكتاب اضافة فكرية طيبة ، ولا غنى عنه لقاريء نجيب محفوظ ، ولولا ان المؤلف كتب بعض فصوله وهو يلهث لقلنا ان فيه من شمول النظرة وسعة الثقافة والربط الذكي بين الأدب والمناخ الحضـاري ما يؤهله لأن يكون أفضل دراسة كتبت عن روائي عربي ٠

نظرة في « آراء في العربية »

للاستاذ : عامر رشيد السامرائي

بقلم : شوكت الربيعي

البحث عن أي مبرر لوجود قيم غير عادية يحتاج الى مقاييس تتناول كافة الوجوه المختلف عليها ايجابا وسلبا لـكي تؤدي الى المعرفة فالمفهوم الدال على الاقوى والابقى ٠ واذا ما استوعب الفرد الموجودات بصيغها العامة قبل الاجزاء الجوهرية فيها ، أعطى معنى غير متكافيء في التعبير عن جوهر اللباب فيهـا ٠٠ واذا لم يستوعب الانسان لغته كجوهر وصيغ يتفحصها بدقة متناهية وبعمق ، فانه أيضا يعطي في تعبيره لنفسه مجالات تبعده عن لباب الاشياء اللغوية ، فانه أيضا يعطي في تعبيره لنفسه مجالات تبعده عن

لباب الاشياء اللغوية : وهي من الموجودات التي تحمل رموزا تابعة من مظاهر الحياة الاجتماعية المتأثرة بالبيئة العامة المقولية طبيعيا بعلم الاصوات المعبرة عن النوازع والافكار التي تعتني بالسلوك الانساني الهادف ٠

ولكي ينتهج الباحث السبيل الصحيح لفهم حقيقة لغته ، عليه ان يبني هيكلا يقوم على أساس من الادراك والفهم والتقييم ، ولان ذلك موضوعا شائكا لا يسلم من يخوض معتركه أن تنسرح قدماه في مكان وتقوى في مكان آخر ، فان عليه أن يأتي بالاقناع التام عند تناوله للموضوع ٠

والاستاذ عامر رشيد السامرائي في كتابه [« آراء في العربية » من منشورات مكتبة النهضة لعام ١٩٦٥] قد تناول قضية اللغة العربية كموجود غير عادي يحتاج الى مقياس يؤدي الى المفهوم العلمي لتفسير اللغة ، بالرغم من معرفته أن المكتبة العربية غنية جدا بمؤلفات كثيرة راعت المضامين اللغوية المتعددة الانواع والمختلفة الابواب ٠٠ ولكنه فكر في وضع كتابه ـ كما يقول في التمهيد ـ لكي يتناول فيه بعض المسائل المهمة في العربية ويخرج على القارىء وهو جامع الآراء القيمة لرعاة اللغة ونحاتها ومفسريها والمتتبعين لقواعدها وتطورها وتيسيرها ٠٠ فلم يترك فرصة للمناقشة الا ودخلها ، هادفا توضيح الحقيقة للقارىء ، مبينا رأيه في الاصوب والاوفق ٠

والكتاب بشكله ومضمونه العام ذو أهمية لما يحتويه من آراء في البحث يؤدي غرضه شمولا متجها الى أمام ، تتزاحم من حروفه أفكار عديدة شامخة في قيمها متينة في بنائها ، هادفة في موضوعها ، ان خدمت واقع الحاضر بدرجة متوسطة ـ لقلة الوجوه المتجهة لمعرفة أهميتها العامة ـ فانها ستخدم في المدى البعيد الاتجاهات الحديثة التي تقابل الادراك الحديث في تكوين اللغة علميا ، لكي تؤدي وظيفتها الاساسية « في تكوين العالم الانساني » ٠

والكتاب « آراء في العربية » تجربة مفعمة بجهد جليل وطاقة تدفع المعمول اللغوي الى تحليل الرموز التي يحملها وهو من جهة أخرى بحاجة الى توسيع في مجال ، وايجاز في مجال آخر نظرا لخطورة البحث واهميته الاجتماعية ٠

والمؤلف عندما تساءل عن اللغة في باب « ما اللغة !؟ » فلأنه يعنى أكثر من سؤال شكلا ومضمونا ٠٠ ونجده يقف على الآراء والاحاديث المطروحة سابقا ، فيعمد الى اللجوء في التفسير الى مصادر هامة لها قيمتها لغويا ٠٠ فوضع رأي مصطفى الشهابي ازاء رأي السيوطي ، وأخذ من مقدمة ابن خلدون مقابل ما تناوله في مفهوم اللغة ساطع الحصري ، واطنب في رأي محمد السعران أمام الآراء التي تناولها السابقون له ٠٠ كل تلك الآراء تترك أثرا مباشرا على نفسية القارىء الذي يريد « بلا جهد » أن يختار

المفهوم الصالح الملتقى مع حاجته في عصر يجنح فيه للعلم ·

وهنا يحاول (الكاتب) أن يضع رأيه في ذلك فيقول :ـ « ولكن التعاريف وان تعددت فان اللغة في مفهومها العام وسيلة للفهم والتفاهم ، نفكر ونبدع في التفكير ، فنعبر عن تلك الآراء وتنقلها الى الآخرين باللغة وليس المهم هو نقل الافكار الى الغير فقط ، بل الوظيفة الاساسية للغة هي اثار افكار وانفعالات عند السامع أو المخاطب ودفعه الى العمل والحركة أو التفكير ··· وبواسطة اللغة نستطيع ان نتبع ما ينتج المفكرون من تراث خالد في الآداب والعلوم ثم انها عامل مساعد على تفتيق الذهن ولولاها لبقي الذهن مغلقا ولتصرف الانسان بشذوذ » ·

وفي باب « اللغة والقومية » نجد الكاتب وقد قسم موضوعه الى شقين يمثلان نقطتين مهمتين : اللغة والقومية ·

ولكنه يعيد تفسير اللغة بعد أن طرح السؤال نفسه في الباب السابق فسبب بذلك كثافة في المفهوم من جهة ازاء التوضيح الذي هدف اليه تسهيلا للقارىء من جهة أخرى ·

وفي تفسيره لـ « القومية » ، « النقطة الثانية » يؤكد على (الوجود) وعنى بذلك [أن (الفكرة) وأن (الشعور) يصيران واقعا وليس خيالا نعيشه ونتمثله وان الوجود ليس ضائعا سائرا حيث لا هدف ، بل هو وجود قائم على فلسفة واضحة لها حدودها التي تشير الى انها نابعة من هذا المجتمع لتطمئن حاجاته برسم طرق المستقبل الافضل ··] ·

وهذا يعني أنه سجل رأيا آخر قد يختلف « نسبيا » عن الآخرين الذين وضعوا تعاريف كثيرة مختلفة هي أيضا عن بعضها في تعريف القومية و [ما كان ذلك التعدد في التعاريف والاختلاف حولها الا بسبب أن البحث العلمي القائم على الدراسة العميقة والاحاطة بالموضوع لم يبدأ الا في فترة زمنية متأخرة] ·

والمؤلف اذ يعطي تأكيدات في تأثير اللغة على المجتمع فانه يريد أن يعرض « وجوه المجتمع المختلفة » لكي نعرف « من دراسة اللغة الكثير من الآداب والعادات التي تسود مجتمعا ما » بما في ذلك « الطرق التفكيرية » ما دامت هي [أصدق سجل لتاريخ الامم والشعوب] ·

وفي الباب الآخر « اللغة والمجتمع » يحاول الكاتب أن يعطى ملتمسا ذا نكهة انعكاسية لحالات المجتمع الاقتصادية والسياسية والدينية والاخلاقية وما جاز لنا التصنيف والتنويع ذلك لان (اللغة والمجتمع متفاعلان لا ينفكان عن التفاعل أبدا) ·

وهو اذ يعرض شتى ضروب المجتمعات الحضارية وتقاليدها فذلك لانها صورة لاصل يمثل التصرفات الواضحة المعالم من تأخر وتقدم ·· من تزمت وتعنت تقليدي الى تحرر في الابعاد الاجتماعية ·· من ظرف تسيطر

عليه المثالية والروحانية الى مجتمع رومانسي غارق في الخيال ٠٠ من آخر ميتافيزي هيغلي الى ماركسي مادي فدعوة وجودية ذات أبعاد ذاتية مختلفة الاهداف ٠٠ وهكذا ٠

« فاللغة اذن صلة وثيقة بالفكر الانساني ، وهي ان كانت منظمة ساعدت على تنظيم الفكر ، كما أن الفكر المنظم يعمل على تنظيم اللغة » ٠

وفي باب [تطور اللغة] يقسم الاستاذ السامرائي المراحل التطورية للغة الى عوامل وجدها ضمن الظواهر الاجتماعية التي تخضع لمؤثرات المجتمع بكل مزاياه الدالة على الاصالة ـ سواء من التقاليد أو النظم والقوانين أو في الثقافة العامة والاتجاهات الفكرية المتعددة كانت أم الموحدة ـ والتي هي نتيجة الاحتكاك بين المجتمعات بكافة الوسائل المتعارف عليها خلال مسيرة زمنية غير محددة ٠

أما العوامل غير الاجتماعية ـ وهي السبب الثاني ـ فتلعب دورها في التأثير على اللغة ومرجع ذلك الى التكوين البايلوجي للفرد المتكلم ، مرتبطا بالصورة التي تخرج فيها الاصوات ٠٠ وكذلك للاسباب في الاخطاء السمعية ٠

وفي الباب الذي يفسر [اللغة العربية وقيمتها من اللغات] نجد الكاتب يستعين بالتقسيمات اللغوية الى مجاميع ٠٠ فيسجل الفصيلة الهندية ـ الاوربية مع فروعها الثمان ٠٠ ويقسم الفصيلة الحامية ـ السامية المعروفة [في بلاد العرب وشمال افريقيا] الى قسمين : الاول مجموعة اللغات الحامية « مع تحديد المجتمعات التي تتكلم بها » والمجموعة الثانية هي اللغات السامية والتي قسمها أيضا الى شرقية وغربية ٠٠ وللغربية فرعان « شمالية ، ومنها الكنعانية والآرامية » [وجنوبية ومنها العربية الجنوبية والعربية الشمالية ٠ وللعربية الجنوبية لهجات : معينية وسبئية وحضرمية وقتبانية ، وللعربية الشمالية فرعان : عربية النقوش وعربية القرآن الكريم ٠]

ونظرا لشمول اللغة العربية عناصر لغوية أصيلة فانها « أقرب لغات الساميين الى اللغة السامية القديمة »

و « العناصر الثابتة في العربية لها أهميتها البالغة قد يكون أوضحها هي تمكين متعلمها من معرفة سائر افرادها معرفة اجمالية لما بين حروفها من حروف مشتركة وبذلك يتوفر له الوقت والجهد » ٠

ونحن نؤكد على ما جاء في قول المؤلف قولنا أن اللغة العربية من اللغات السامية التي تعطي مفهوما زمنيا دقيقا لكي تعطى قيمة جديدة لميزة أصيلة لم يكن لمثيلاتها من اللغات مجال واسع ، كما هو في العربية من نحو واعراب وتقسيم الفعل والاسم والحرف ، وعمل كل واحد منهم مرتبط بزمن معين وحدث ما معين ٠

وفي باب [اللغة العربية محاسنها وعيوبها]

فانه يضع الآراء في ان اللغة العربية أرقى اللغات ، لكثرة مفرداتها ، ويرتب المميزات التي فضل بها السيوطي العربية على اللغات الاخرى .. ويضيف الى تلك الميزات أربعا مفصلة الشرح تدل على امكانية الاطلاع والبحث .. ويستطرد في القول معتمدا على رأي « أحمد أمين » في أن اللغة العربية أرقى اللغات في العالم لكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها ومجازها وقلبها وابدالها ونحتها وقد أضاف الى ذلك الاستاذ مصطفى الرافعي في أن « الحرية والنظام والنمو » شروط للتمدن الاجتماعي وهي (أخص مميزات اللغة العربية) بالاضافة الى ما ورد في أقوال الاساتذة « عبدالوهاب عزام ومصطفى الشهابي والدكتور مصطفى جواد والشيخ محمد رضا الشبيبي » على (أن اللغة العربية تمتاز بالرقي لسعتها وغناها .. ولوفرة حظها من المعاني الانسانية السامية)

ثم يتعمد الكاتب في عرض آراء الذين يغالون في قولهم أن اللغة العربية ميتة وجامدة غير قابلة للتطور . مقابل ذلك يضع آراء ايجابية تفند المحاولة العدائية من مفردات اللغة العربية .. في حين يضع ازاء ذلك العناصر الاساسية لفوائد الاعراب في اللغة وصلته بالمعنى العام للقول ، اعتمادا على القرآن الكريم . ويلخص الاستاذ المؤلف رأيه « أن اللغة العربية كغيرها من اللغات لا تخلو من عيوب وفيها محاسن . واننا نقع في خطأ كبير حين نضخم عيوبها حتى نجعل منها عقبة كأداء في سبيل كل تطور وتقدم ، ونحن نقع في وهم كبير أيضا حين نوحي لانفسنا بأن اللغة العربية هي أفضل اللغات لان مثل هذا الاعتقاد يدل على جهل وتعصب مفضوح ... » و « تقدمها لا يتم ما لم يشملنا التقدم والرقي ونأخذ بأسبابها لانها من مظاهر حياتنا »

والسؤال الذي يتردد على لساني عندما أوردت اختصار الكاتب هو :-

كيف يمكن أن نقوم بذلك ؟ وما هو الطريق العلمي الاسهل والاصلح !؟

وفي باب [وضع قواعد اللغة العربية] يؤكد على أهمية القرآن الكريم لغويا لانه حافظ على كيان اللغة العربية أمام النزعات الانتمائية في « زحزحة الفصحى على مقامها المسيطر » .. ونظرا لانتشار اللغة في أرجاء كثيرة من الارض وحفظا على قواعدها وخطر اللحن فيها وخروجه « من اللفظ الى أساليب الكلام وقواعده » فانه وجد من الافضل « تحديد الاستعمال اللغوي الصحيح بصورة أساسية »

ويعود الفضل في ذلك الى الامام علي بن أبي طالب (ع) في طلبه لابي الاسود الدؤلي في وضع قواعد اللغة وتحديد الاستعمال اللغوي ، وكذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وسع تلك القواعد وهذبها .. ثم سيبويه

الذي أضاف ووسع بتطور ٠

وفي الباب « مؤثرات في قواعد اللغة العربية » فان المؤلف يقسمه الى عدة تأثيرات عامة وخاصة فيشرح (المنطق) واصوله وشرائطه وخاصة « أثر المنطق الجدلي في المماحكات التي كانت تدور بين النحاة — ٠٠ »

والتأثير الثاني — هو عدم استكمال الدراسات في النحو العربي « مما اخل بجهودهم وبعثرها » باعتمادهم على الشعر لتأمين قواعدهم دون النثر مع رفض الكثير من النحاة الاعتماد على الاحاديث النبوية ، ولان أغلبهم كانوا يجهلون اللغات السامية أو الآرية وعلاقتها بالعربية مما أضعف بحثهم في المقارنة العلمية ٠٠ ولان التكسب في الكتابة من المواصفات المبهمة في اللغة ، وقد جاء بتعمد من النحويين ٠

وفي الباب [آراء في تيسير اللغة العربية] يعرض الاستاذ (عامر) آراء الداعين الى التيسير ويضعها في شقين الاول من يرى في اللغة « عجزا وقصورا يقعدان بها عن مسايرة التقدم الحضاري » ٠ والثاني من يرى « ان العربية خير لغة لغنى مفرداتها ومعانيها ومقدرتها على الاشتقاق والتصريف والتعريب ولكنهم يؤمنون بأن النحو العربي في حاجة الى اصلاح وتيسير ٠ ويستدرج الكاتب في شرح النقطتين باسهاب مع وضع آراء اخرى لكتاب كـ « طه حسين » والاستاذ « جورج كفوري » الذي وضع ست نقاط لاسباب ضعف اللغة العربية ٠

ثم يعود ليضع المساوىء والوهن في اقتراحات « كفوري » هذا بما يستحق بعد أن يضع اراء ذلك « الطرائق التي اتبعها الاجداد في نقل العلوم القديمة الى لغتنا الضادية » وكان مصيبا في ذلك الى حد ما ٠

ويعود ليسجل اقتراحات الدكتور « أنيس فريحة » في (جعل الفصحى لغة التخاطب وفرض لهجة قائمة ووضع لهجة موحدة) ٠٠ ولكنه يعارض ذلك في امور تجدها ايجابية بصدد الموضوع ٠٠ دون غض النظر عما اورده الدكتور مصطفى جواد والدكتور المخزومي والدكتور جميل سعيد والاستاذ يوسف السودا والاستاذ كمال ابراهيم وطه الراوي — من آراء في تيسير اللغة — مضيفا في ذلك رأيه « ككاتب » في مدى خطأ أو صواب ما ورد في الآراء السابقة بعد أن يتطرق الى آراء الاستاذ الجنيدي خليفة والاستاذ محمدعلي كمال والشيخ يوسف كركوش ٠

ثم يلخص الكاتب المجالات التي يجب أن ينالها التيسير أو الاصلاح كمشكلة النحو العربي ومشكلة اللغة العربية والخط العربي واللهجة العامية ٠

وفي الباب [الخط العربي ومشاكله] يدلل المؤلف على النقاط المتعلقة بتيسير مشكلة الخط العربي بعد أن يحاول بحث نشأة الخط العربي والمراحل الخمس التي مرت في تطوره ٠٠ وبعد ذلك يحاول أن يظهر العيوب

التي اتفق عليها باحثو الخط العربي سواء في الحركات أو الحروف ٠٠ وقد وضع رأيين أو قسمين في المحاولة من تغيير الخط العربي و « أن الذين بحثوا مشكلة الخط العربي بالغوا كثيرا فيها وكان عليهم أن يدركوا أنه ما من لغة لا تشكو من مسألة الرسم وعلة ذلك واضحة كل الوضوح ٠٠ اضافة الى أن اللغة المكتوبة لا تساير في تطورها لغة الكلام ٠٠ »

« والبواعث كثيرة تدفع البعض الى محاولة تغيير الخط العربي منها ما يتصف بالاخلاص والحرص على اللغة العربية ، ومنها ما يقصد به الاضرار باللغة » ثم يحاول الاستاذ المؤلف أن يبرر منطقه بالامثلة التي جاء بها في اللغات الاجنبية الاخرى في عدم خلوها من « مشاكل ونواقص وتضارب في نطق الحروف المرسومة ٠٠٠ »

وفي الباب [اللهجة العامية] يفسر الكاتب اللهجة العامية في الاصطلاح العلمي الحديث معتمدا على رأي الدكتور ابراهيم أنيس « اللهجات العربية » في ذلك ٠٠ ثم يعطي معللات انتشار تلك اللهجة في الحياة اليومية ولكنه يجدها « أمرا شاذا يترك آثارا خطيرة في المجتمع وتطوره ، اذ سيؤدي ذلك الى انعزال اللغة الفصحى وأصحابها عن العامية وأصحابها ، وبمعنى آخر ان الازدواجية في اللغة تؤدي الى احداث فجوة كبيرة بين أفراد الشعب الواحد ، وخلق عدة طبقات تمتاز عن بعضها باختلاف طرق تفكيرها وعاداتها ، وذلك يعني تمزيق وحدة الشعب ومن ثم انحلال المجتمع »٠

والكاتب اذ يذهب مذهبا بعيدا في رأيه فانه يضع أمام القارىء دلائل استند عليها العديد من ذوي الآراء في صلاحية اللهجة العامية وعدم صلاحيتها لدى الآخرين ، لما فيها من تشويش وابدال ٠٠ ومع هذا فانني أرى ان الاستاذ قد انعطف في درب شائك قد يفسره الزمن الطويل الذي عاشته اللغة الفصحى دون أذى من اللهجة العامية مهما كانت الظروف وبلا تمييز طبقي أو انحلال لمجتمع ما ، اذا ما اتخذت الفصحى قالبها العلمي الثابت ، لكي « تسير في الخط التأريخي الخالد » ٠ اذا كانت الجذور قد وزعت في أرض صالحة وبطريقة صحيحة ، ومع ذلك فاللهجة العامية لا تصلح أن تكون لغة كأصل ينعت بالبقاء على الفصحى ٠٠ وقد وضع المؤلف ثلاثة عشرة نقطة موفقة بصدد سلبية اللهجة العامية ك « لغة للفهم والافهام » على النطاق الاعم الى حد ما ٠

ونجد الاستاذ الكاتب يضع الاسباب في وجود اللهجات مقابل وضعه الوسائل التي تقضى على تلك اللهجات العامية ٠

ونحن اذ نبارك هذه المساعي التي بذلها المؤلف في كتابه « آراء في العربية » الجدير بالتقييم ، نشد على يده لما فيه خير الادب المعبر عن المعاناة المصيرية للقضايا الانسانية بوجه عام ٠

أنغام حالمة

ديوان الشاعرة روحية القليني

بقلم : سلمان هادي الطعمة

من المبهج حقا ان الاوساط الادبية وأندية الشعر استقبلت ديوان (انغام حالمة) للشاعرة المبدعة روحية القليني بحفاوة بالغة ، لما للشاعرة من مكانة وتقدير في نفوس قراء العربية ·

ومن يتصفح ديوانها بامعان يلمس الاخلاص والصدق الصافيين ·· انها شاعرة تعزف على قيثارتها اشجى الالحان ، لذا جاء شعرها تعبيرا عن الحياة في وطنها وجهاد شعب الجمهورية العربية المتحدة ، وبالتالي فهي الصورة المثالية البارعة للمجتمع المصري الحالي الذي تعيش فيه ·

ما أروعها من مشاعر تثير كوامن الحماس في النفوس وتوقظ الهمم ، انها مشاعر تتحسس بالعواطف الجياشة والاشواق المستعرة · يغلب على شعرها سمة الابداع وجودة السبك ، وتتجلى فيه روعة اللفظ وروعة الصور الشعرية وجمال الاسلوب والمعاني الجديدة التي تتسلل الى اعماق النفس في أبيات جزلة تدخل القلب دون استئذان · ان اصدق صورة في شعرها قولها في قصيدة (عودة الاحرار)

طفــــل شريد ضائع بــين المسالك والدروب
يمشي على وجل ويبحث في المجاهل عن حبيب
صهيون غال اباه في غدر ولــــم يجن الذنوب
فمضى يئن ابي حبيبي قد ذهبت فهل تئوب ؟

وفي قصائدها الوطنية نلمس ايمان المرأة العربية وفرحتها بحريتها الوطنية ومدى وعيهــا بأحـداث الوطن ومشاركتها تلك الاحداث · ففي قصيدتها (الجزائر) تناشدنا بقولها :

بنت الجزائر قابلت مثــل الفتى — وتذرعت بالصبر والايمـــان
وجميلة مثل البطولة والفــــدا — فاقت بطولتها قــوى الشجعان
لا السجن ارهبهـا ولا تهديدهم — ومضت تصــول كفارس الميدان
كم عذبوهــا كي تبــوح بسرها — فأبت وظـل السـر في الكتمان
قالت لهم : مهما يطــل تعذيبكم — سـر البــلاد اصونـه بجنـاني

وعلى هذا النمط تتمشى قصائدها الوطنية الاخرى كقصيدتي (الام العربية) و (بور سعيد) وسواها ·

وللمرأة ايمان حسي مرهف ، ففي شعرها الوجداني يتفجر الصدق

والعاطفة • ومن ارق قصائدها في هذا المجال قولها في قصيدة ـ قلب احب ـ :

همساتك السكرى تهدهد بالحنان مشاعري
وتقول انت غدي السعيد اجل وانك حاضري
امسي الحزين نسيته ونسيت دمع محاجري
لما خطرت بجنتي مثل الملاك الطاهر
فأجبته والحب يلمع فرحة في ناظري :
اني أحبك مثلما أحببتني يا شاعري

ان هذا الاثر الجليل تصوير لامال روحية وعواطفها وتسجيل لارائها وسجل صادق للاحداث التي شهدتها وتأثرت بها حيث تألف منها هذا الديوان الشعري الرائع الذى بات فخرا لكفاح المرأة العربية في المرحلة الراهنة التي استيقظت فيها الامة العربية وسارت في طريق الكفاح الجدي الذي يوصلها الى اهدافها القومية •

• • •

آراء وتعقيبات

الشعراء الصعاليك و (الاشتراكية)

نوري حمودي القيسي

اطلعت على المقال المنشور في مجلتكم الموقرة (الجزء الثاني من السنة الثانية) والموسوم : بـ (اشتراكية الشعراء الصعاليك) لكاتبه الفاضل الدكتور محمد مصطفى هداره ، ونظرا لصلتي بالشعر الجاهلي ، وارتباطي بموضوعاته ، فقد وددت ان اعلق على بعض الجوانب التي اثارها الدكتور في مقاله ، راجيا أن تجد تعليقاتي رضى في نفسه ، وقبولا لديه •

ان الحديث عن الشعراء الصعاليك طريف ، واطرف ما فيه جوانبه الواقعية التي اشار اليها الدكتور مصطفى في مقاله ، والتي سبقه اليها استاذي الفاضل الدكتور يوسف خليف في رسالته التي قدمها لنيل درجة الماجستير في جامعة القاهرة وهي « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » ، والتي كان لها صدى بعيد في نفوس الدارسين والمتتبعين لحركة الشعر ، والمؤرخين الذين عنوا بدراسة هذه الفترة • وكنت اظن ان الدكتور مصطفى قد جاء بشيء جديد في مقاله هذا ، يضفي على آراء الدكتور خليف مسحة جديدة او تفسيرا مغايرا ، أو ربما عثر على نماذج مفقودة لهؤلاء الشعراء (الصعاليك) ، تفسر لنا جانبا من سلوكهم ونمطا من أنماط حياتهم ، كل هذه الافكار كانت تدور في ذهني وانا اتصفح المقال ، وانتهيت منه ولم اجد نفسي مقتنعا — كما وجدتها من قبل — بالفكرة التي يناقشها الدكتور مصطفى في مقاله ، بل لا اوصف بالمغالاة اذا قلت : ان الدكتور مصطفى قد استشهد باغلب النماذج التي استشهد بها الدكتور خليف وحتى التعليقات التي كان الدكتور يقدم بها نماذجه(١) •

انني كما اسلفت لم اقتنع بفكرة الدكتور يوسف ، والتي اعاد ذكرها الدكتور مصطفى ، لانني اعتبر هذه البحوث ، وهذه التسميات من

---

(١) قارن بين نماذج التي اوردها الدكتور مصطفى في مقاله والنماذج التي اعتمد عليها الدكتور يوسف في كتابه في الصفحات ١٤٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ . وربما تكون هناك نماذج أخرى وفي صفحات اخرى من الكتاب لم تتهيأ لي الفرصة لمشاهدتها •

الظواهر التي بدأت تتخلل الدراسات الادبية الجديدة ، وان هذه التسميات تفسير بعيد ، لحوادث التاريخ ، وقسوة عنيفة على الظروف التي احاطت بالافراد ، ليسلكوا طريقاً معيناً ، ومحاولة من محاولات اقحام المصطلحات في غير ما وضعت له ، واطلاقها على غير مسبباتها الحقيقية[٢] ٠

لاشك ان مثل هذه الظواهر التي بدأنا نحس بتسربها في هذه الدراسات ، لا تعطي الادب العربي سماته الحقيقية ، ولا تضع القيم الاصيلة ـ التي حرص الشعراء على ابرازها وتصويرها في موضعها المعين ، وهي بالتالي عملية من عمليات التوجيه الاجباري ، لآراء لم يود اصحابها لها هذا التوجيه ، ولم يفكروا ـ في يوم من الايام ـ بأن يكون شعرهم سلاحا طيعا من اسلحة (الصراع الطبقي) ، الذي ارتسم في اذهان ادبائنا المعاصرين ، أو ان يكونوا معبرين عن سوء توزيع الثروة في المجتمع ، كما يحلو للبعض ان ينعتهم ٠

فالاشتراكية ـ التي نعت بها الصعاليك ـ بكل مظاهرها الحديثة ، ونظرياتها المختلفة ، تخطيط علمي دقيق ، ومنهج لتحقيق العدالة الاجتماعية ، واثارة الابداع ، والارتفاع بكرامة الانسان الى المستوى اللائق ، واعادة الاوضاع الى سويتها ، كما أنها تسعى الى خلق جو من المساواة بين ابناء الامة الواحدة ، في امكاناتهم وظروفهم ، وتحاول القضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان ، والوصول الى مجتمع متحرر ، تخضع فيه جميع وسائل الانتاج لمصلحة الانسان نفسه ، وتسخر في سبيل المجموع ، فهل كان (الصعاليك) يسعون الى هذه (الاهداف) ، وهل كان (تفكيرهم) يتجه الى هذه الوجهة الموضوعية ، اظن اننا لا نجانب الحق في تفكيرنا اذا ذهبنا هذا المذهب ، واندفعنا باحكامنا هذا الاندفاع ٠

وشيء اخر أود الاشارة اليه فاقول : ان الاشتراكية ـ حسبما يتضح من مفهومها ـ نظام يحل محل نظام قائم بعد ازالته ، نتيجة ثورة ، أو تغيير في اسلوب الحكم ، او انتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى ، وكلنا يعلم أن العصر الجاهلي لم يتمخض عن نظام سابق ، وانما هو استمرار لنظام قبلي ساد الجزيرة قرونا طويلة ، ثم ان المجتمع الجاهلي لم يكن مجتمعا (رأسماليا) أو (صناعيا) ، حتى يمكن أن يظهر فيه نوع من (الاشتراكية) ، وانما كان مجتمعا بسيطا ، لم تتعقد مشاكله التعقيد الذي يساعد على ظهور هذه (النظرية) ، أو غيرها من (النظريات) ٠ فالاشتراكية نظرية يقوم عليها تنظيم مجتمع معين ، وتهدف الى اغراض تتعلق (بوسائل الانتاج) واستملاكها وادارتها ، وفي كل هذا نجد ان

---

(٢) اسهب الدكتور مصطفى في استعمال عبارات (الصراع الطبقي) و (الارستقراطية) و (الاشتراكية) و (مجتمع طبقي) و (سوء توزيع الثروة) و (مذهب اجتماعي واقتصادي) وكل هذه المصطلحات لا يمكن تطبيقها على العصر الجاهلي ٠

العصر الذي عاشه (عروة) ، أو عاشه (غيره من الصعاليك) ، لم يملك من مقومات الحياة التي ظهرت فيها هذه (النظرية) شيئا ، والواقع ان التاريخ العربي كان يسجل صراعا مع (ظروف الحياة) ، لا (صراعا بين الطبقات) كما اطلق عليه ، ومن هذا نستطيع ان نقول : أن مشاركة (عروة) للفقراء ، لم تكن مرحلة من مراحل النمو الاقتصادي ، ولا نظاما جديدا من انظمة (الانتاج) و (التوزيع) ، وانما هو شعور عميق بالظروف الملحة التي كان يحسها بعض الناس ، أو تعانيها فئة منهم ، ووسيلة من الوسائل التي سلكتها (فئة الصعاليك) ، لحض الجهود الفردية للعمل ، والدعوة الى التخفيف عما تجابهه هذه الجماعة من الفقراء ، وهذا تقييم للمعاني الانسانية الابداعية التي تجلت واضحة في الذهن العربي ، وامتزجت بحضارته ، فكانت دليلا من ادلة الشمائل العربية في العصر الجاهلي ، وفي العصور التي أعقبته ، وهو من جهة اخرى احساس بالمسؤولية التي فرضتها عليه طبيعة الحياة آنذاك ، ليعكس لنا المستوى الخلقي الرفيع الذي عاشته الاجيال السابقة •

فالسلوك اذن سلوك طبيعي ، والمشاركة التي طبقها (عروة) وصحبه من (الصعاليك) كانت تقوم على المفاهيم البسيطة التي تعارف عليها الناس في عصره ، نتيجة عوامل غير العوامل التي انبعثت منها (الاشتراكية الحديثة) ، كما ان القضايا التي تعالجها (الاشتراكية) في العصر الحديث قد تعقدت ، وأصبحت قائمة بذاتها ، لها حلولها المستوحاة من مستحدثات العصر ، ومن متطلباته وظروفه ، اما مشاركة الصعاليك و (فلسفتهم) ، فهي مستحدثة من طبيعة ذلك العصر وظروفه ، وهي ميزة لا يكاد ينفرد بها نفر معين ، وانما هي الطبيعة التي يشارك فيها العرب عامة ، فكما كان (عروة) كان (حاتم الطائي)، وكان (كعب بن مامة)، وكان (أبو دؤاد الايادي) و (دريد بن الصمة) ، و(ربيعة بن مكدم)، وغيرهم من فرسان العرب وفتيانهم ولكن الذي ميز (عروة) عن غيره ، هو محاولته تطبيق ذلك السلوك بدقة ، والمحافظة على (عياله) الذين تكلف بهم •

فالشعراء الصعاليك الذين اتسم شعرهم بسمات معينة ، وجمعتهم وحدة موضوعية واحدة ، لم يكونوا بالدرجة التي بدأنا نلمسها في تفسير البعض لهذه السمات ، أو لتلك الوحدة ، وانه من الخطأ ان نطلق (المصطلحات الحديثة) التي نشأت تحت ظروف معينة ، واخذت (شكلا ثابتا) ، على أولئك الشعراء الذين لم يسمعوا بأبسط هذه المصطلحات ولم يمروا بأقل هذه المراحل ، ولان هذه المصطلحات ترتبط باذهان الناس بمفاهيم خاصة ، فقياس الناس ـ الذين عاشوا قبل مئات السنين ـ بمقاييس العصر الحديث ، وحصر نشاطهم وأعمالهم وانتاجهم لتقييم بعيد عن تقييمهم ، عمل لا ترتضيه

الدراسة العلمية الدقيقة ، لان هذا يشكل اجحافا بحق اولئـــك الشعراء (المساكين) ، الذين وقعوا في قبضة هذه المصطلحات دون وعي منهم ٠

واذا قدر لنـــا أن نحكم ، وجاز لنـا أن نطلق على (الشنفرى) و (تأبط شرا) و (عروة) (اشتراكيين) ، فما هو حكمنـــا على (حاتم الطائي) و (كعب بن مامة) وغيرهما من اجواد العرب الذين وصلت اخبار كرمهم حدا لا يصدق ، وما هو حكمنا على (هرم بن سنان) ، و (الحارث ابن عوف) وقد صنعا صنيعا جليلا يعجز اللسان عن تصويره ، وما هو حكمنا على (ابي دؤاد) وغيره من الاخيار ، الذين أجاروا الحيوان وحموه ، وما حكمنا على غيرهم من الاشخاص الذين ارتبطت أسماؤهم بحوادث معينة خلدت ذكرهم ، ألم يكن حكمنا على هؤلاء ـ اذا قدر لنا ان نمنح الالقاب والاحكام ـ حكما فيه نوع من الفوضى والاعتداء ومغايرة الواقع ٠

وبعد ٠ فارجو من الدكتور مصطفى هداره ان يكون سمحا في قراءة التعقيب البسيط ، الذي لم يكن رائده الا الحق ، ووضع الامور في المواضع التي تستحقها ، والتي وضعت لها ، وفي ذلك وفاء لاولئك الشعراء الذين وسموا بالصعلكة ، وقالوا شعرا لم يخطر ببالهم أن يفسر على الوجه الذي ارادوه ، والله الموفق لكل خير ٠

تصويب

وقعت في مقال (شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه) للسيد سامي مكي العاني المنشور في العدد الماضي بعض الاخطـــاء الطباعية ٠ مثـــل (وانتقدوا) وصوابها (وانتصروا) في الآية الكريمة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٠٠ الخ) و (شهود) وصوابها (تهود) في (ص ١٥٧ س ٢٥) و (وفان) وصوابها (وخان) في (ص ١٥٩ س ٧) ، نود أن نلفت اليها عناية القارىء الكريم ٠

اضواء على السياسة العالمية

ثورة تشرين

مرت في الثامن عشر من تشرين الثاني الذكرى الثانية لثورة تشرين الثورة التي قضت على الافكار الحزبية التي طغت على ثورة رمضان وكان من نتيجة هذه الثورة ان عاد اللقاء بين القاهرة وبغداد وانشئت القيادة السياسية الموحدة واعلنت قوانين تموز الاشتراكية التي اعتبرت اساسا من اسس الوحدة المنشودة بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة •

اقتصرت احتفالات تشرين على افتتاح بعض المشاريع الهامة التي انجزت خلال الفترة السابقة واقتصرت كذلك على خطاب القاه السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف وكان خطابا جامعا شرح فيه السياسة الداخلية والخارجية للجمهورية •

كما تحدث السيد وزير الثقافة والارشاد الدكتور محمد ناصر وتحدث اللواء عبدالرحمن محمد عارف وكيل رئيس اركان الجيش •

مؤتمر الاقتصاديين العرب

انعقد ببغداد في أوائل شهر تشرين الثاني الماضي المؤتمر الاول للاقتصاديين العرب وكان المؤتمر برعاية السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف الذي ألقى في المؤتمر خطابا جامعا حيا فيه الوفود المجتمعة في بغداد وأشاد بالدور الذي يلعبه التخطيط الاقتصادي في حياة الامم فقال « انكم تعلمون ان التخطيط الاقتصادي يلعب دورا مهما في حياة الامم وان كيان الامة السياسي والاجتماعي لن يثبت الا اذا استقرت امورها الاقتصادية على أسس سليمة • وتحدث السيد الرئيس عن الثورة فقال « ولأجل الاحتفاظ بثروتنا ودفاعا عن حقنا الشرعي في وطننا ثرنا لنتخلص من الاستعمار ولنتحرر من ربقة الاحلاف والاستغلال وسوف تستمر هذه الثورة حتى يتحرر كل جزء سليب في أرجاء وطننا العربي » •

وتطرق السيد الرئيس في خطابه الى الثروات الطبيعية في العراق وذكر انها ملك الدولة لتتكفل حسن استغلالها ونوه بالملكية الخاصة وأكد انها مصونة لا تنزع الا للمنفعة العامة ووفق نصوص القانون •

ثم أشار السيد الرئيس الى الخطة الخمسية المدروسة التي ارصد لها ٨٢٠ مليون دينار لرفع مستوى الفرد بغية خلق مجتمع الكفاية والعدل ونوه بأهمية القطاع العام والخاص والمشترك في بنـــاء الاقتصاد الوطني واختتم السيد الرئيس كلمته بقوله « اننا معكم اجتماعا وبحثا وتقريرا فعودرا علينا بنتائجكم وبمقرراتكم المثمرة المساهمة في انعاش وتنمية اقتصادنا العربي وهـذه أقوى أسس الوحـــدة المنشودة فان الاقتصاد الصحيح السليم هو الركيزة والدعامة القوية للتحرر من الاستعمار بل والقضاء عليه » .

المنهاج الوزاري للحكومة

في اليوم السادس من شـــهر تشرين الثاني اذيع من دار الاذاعـــة والتلفزيون في بغداد المنهاج الوزاري للحكومة وقد أذاعه السيد وزير الثقافة والارشاد وقد شرح المنهاج السياسة التي ستنتهجها الحكومة الحاضرة . وقد تطرق المنهـــاج الى السياسة الداخلية مؤكدا على النواحي الاقتصادية وزيادة الانتاج فذكر المنهاج ان الحكومة من أجل تحقيق هذه الغاية ستعمل على الاسراع في تنفيذ مشاريع الخطة الاقتصادية الخمسية ، والأخذ بمبـدأ المركـــزية في التخطيط واللا مركزية في التنفيــــذ ، والاستعانة بالقروض والاستثمارات ، واقامة القطاع المشترك الى جانب القطاعين العام والخاص ، وتشجيع القطاع الخاص في عملية التنمية ، وتشجيع المشاريع المشتركة من رؤوس الاموال الوطنية والاجنبية ، والاهتمام التام بالزراعة ، واعادة النظر في منهاج الاستيراد فتعطى الاولية لسلع الانتاج ، واستثمار الموارد الطبيعية في البلاد عن طريق الشركات الوطنية أو الاجنبية أو المشتركة .

وتطرق البيان الى الاشتراكية العربية وذكر ان من أهدافها الاولى عدالة التوزيع وذكر ان السياسة الاقتصادية تستهدف هذا الغرض ولتحقيق ذلك أخذت الحكومة بسياسة اقتصادية تستهدف التقليل التدريجي من تركيز الثروات بأيدي أفـــراد قلائل والقضاء على الاحتكار ، وملاحظـــة التوزيع الجغرافي العـادل للمشاريع ، والتأكيد على مبدأ اشـراك العمال في أرباح الشركات ، واشـــراك ممثليهم في مجالس الادارة ، وتخصيص بعض المال لصندوق الضمان الاجتماعي لهم ، واعادة النظر في قوانين المؤسسة الاقتصادية لتحقيق أهداف الاشتراكية الرشيدة .

أما السياسة المالية فلخص البيان أعمال الحكومة في انها تقوم بدراسة وافية للضرائب والرسوم للنظر في موضوع تخفيض بعضها وزيادة البعض الآخر تحقيقها للانسجام في السياسة الضرائبية ، تعديل قوانين الضرائب والتركات والمواريث بما يتفق والظروف الاقتصادية ، والاقتصاد التـــام في النفقات على المشاريع الاستهلاكية وبتشديد الرقابة على الصرف، والعمل على

ايجـــاد موارد جديدة للـــدولة ، والتوسع في التسهيلات المصرفية لتمويل المشاريع المختلفة ...

أما الشؤون الداخلية فقد ذكر البيان ان الحكومة ستعمل كل ما في وسعها لاعادة الأمن والنظام والمحافظة على وحدة تربة الوطن والاقرار بالحقوق التي حددها الدستور المؤقت لاخواننا الاكراد ، مع اعادة النظر في قانون الادارة المحلية بحيث يمهد للحياة الديمقراطية السليمة وذكر البيان ان الحكومة جادة في التهيئة للحياة النيابية والفت لجنة وزارية للاعداد لذلك .

وأكد البيان الوزاري مبدأ سيادة القانون وذكر ان ذلك يتطلب ايجاد جهاز اداري كفء واداة حكومية فعالة . وأكد البيان الوزاري ان الحكومة تعتزم أن تجعل من الاتحاد الاشتراكي العربي السند الشعبي الذي يجب أن تركن اليه كل حكومة تعني بالرأي العام وتعتبر جماهير الشعب سندها الحقيقي ولذلك سيعاد النظر في الاتحاد الاشتراكي العربي بضوء التجارب في الفترة الماضية وتجارب شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة .

ونوه البيان بأهمية الطلاب وطلاب الجامعة خاصة واهتمام الحكومة بهم وبالجامعة لتمكينها من اداء رسالتها على الوجه الأمثل .

وذكر البيان اهتمام الحكومة بالنقابات والعناية بالجمعيات التعاونية والفلاحية وغيرها ..

وتحدث البيان عن الخدمات العامة التي تقدم للافراد وأوضح تيسير وسائلها ليستفيد أكبر عدد من المواطنين منها .

أما الجيش فأكد البيان حرص الحكومة واعتزازها به بوصفه حامي الوطـن وبوصفه الطليعة الثورية ولذلك اكد البيان على انه سيحظى بكل عناية ورعاية .

وتحدث البيان عن السياسة النفطية فأكد ان الحكومة ستدرس نتائج المباحثات التي جرت بينها وبين شركات النفط العامة في العراق بما يضمن مصلحة البلاد العليا .

وفي مجال السياسة العربية أكدت الحكومة في بيانها التزامها بميثاق القيادة السياسية الموحدة وبيانها الصادر في ٢٦ أيار سنة ١٩٦٥

وأكد على ان العراق سيسير مع شقيقته الكبرى الجمهورية العربيـــة المتحدة الى أبعد مدى في تحقيق أهداف الامة العربية في اقامة الكيان العـام المشترك مع التعاون الكامل مع بقية البلاد العربية في اطار الجامعة العربية وخارجها ، في تنسيق السياسة العربية دوليا وفي نصرة أبناء الجنوب العربي

وعمان ، وذكر البيان ان الحكومة ستتقدم في الدورة القادمة لمجلس الجامعة العربية مقترحات حول تعديل ميثاقها بحيث تصبح متجاوبة تجاوبا كاملا مع حاجة العصر والتطور الذي أصاب الامة العربية خلال عشرين عاما ٠

أما السياسة الخارجية فأكد البيان حرص الحكومة على الالتزام بميثاق هيئة الامم المتحدة وتتبع سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز والتعاون مع الدول المحبة للسلام ٠ واقامة أفضل العلاقات مع الدول الاسلامية المجاورة وتنمية العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية معها ٠

والخلاصة فان بيان الحكومة كان جامعا شاملا لكل أمر من امور البلاد وجاء البيان مطمئنا لرغبات أبناء الشعب ورغبتهم في الحياة الحرة الكريمة ٠

دورة مجمع اللغة العربية في بغداد

انعقدت ببغداد في يوم ٢٠ تشرين الثاني الدورة الثانية والثلاثون لمجمع اللغة العربية برعاية السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف وقد أناب السيد رئيس الجمهورية الاستاذ عبدالرحمن البزاز رئيس مجلس الوزراء لحضور حفلة الافتتاح ٠

ان انعقاد مجمع اللغة العربية في بغداد يؤكد صورة من صور الوحدة التي يسعى اليهـا العالم العربي في الوقت الحاضر وقد نوه السيد رئيس الوزراء في كلمته التي ارتجلها في حفلة الافتتاح بهذا المعنى حين ردد قول أبي تمام الطائي :

في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا   بالرقمتين وفي الفسطاط اخواني

وقال السيد رئيس الوزراء « ولا أحسب ان عربيا حيثما يكون في بغداد أو في القاهرة أو في الرباط أو في صنعاء أو أقصى مشرق العروبة أو أقصى مغربها ، الا ويشعر انه حينما يكون في حاضرة من حواضر عالمنا العربي الا ويحس من أعماق نفسه أنه بين ذويه وأهله » ٠

وقال السيد رئيس الوزراء « انني اذن لست بحاجة الى أن ارحب بكم وأنتم بين أهليكم واخوانكم ولكنني أشعر بالفخار أن يتـاح لي أن ارحب بكم » ٠

بهـذه الروح انعقد المؤتمر والقيت فيه البحوث القيمة الرائعة من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي في بغداد ، وقد اغتنمت وزارة الثقافة والارشاد فرصة وجود العلماء المجتمعين فنظمت بعض الندوات الاذاعية والتلفزيونية تحدث فيها الادباء والعلماء والشعراء عن الأدب والعلم والشعر وعالجوا كثيرا من المشاكل اللغوية والادبية ٠

ونأمل أن تكثر مثل هذه اللقــاءات بين أبناء الامة الواحــدة ونذكر بالشكر والتقدير الجهود التي بذلتها وزارة التربية ووزارة الثقافة والارشاد وجامعة بغداد والمجمع العلمي على اقامة المؤتمر وانجاحه لتحقيق الاهداف الكريمة للامة العربية .

المهدي بن بركه

استنكر الرأي العام العربي والعالمي معا حادث اختطاف المهدي بن بركه الزعيم المغربي المعــارض ورئيس الاتحاد الوطني للقوى الشعبية في المغرب ، فقد ذكرت الانباء انه اختطف بعد وصوله الى باريس بفترة لا تزيد على الـ ٢٤ ساعة .

ان اختطاف المهــدي بن بركة يمثل جريمة من أبشع الجرائم التي ارتكبت بعد جريمة اغتيال الزعيم التونسي صالح بن يوسف ، ولعل أصابع الاتهام تشير – كما ذكرت وكالات الانباء – الى وزير داخلية المغرب الجنرال محمد اوفقير الذي حضر الى باريس ليوم واحد هو يوم اختطاف الزعيــم المغربي ومغادرته باريس عائدا الى المغرب والى ان القائمين بعملية الاختطاف من الفرنسيين هم الآن لاجئون في المغرب أيضا ، كما ذكرت الانباء ان التحقيق الذي أجرته الدوائر الفرنسية تتطلب استجواب الوزير المغربي المذكور عن ظروف قدومه الى باريس وسفره في تلك الفترة وتؤكد بعض المصادر كذلك ان ابن بركه نقل الى المغرب بعد اختطافه .

ان المهدي بن بركه يعادي النظام القــائم في المغرب وقد حكم عليــه بالاعدام غيابيا فليس من مصلحة أحد اختطافه والتخلص منه الا النظــام الذي يعاديه ..

ان للمهدي بن بركه في نفوس المغاربة مكانا كبيرا باعتباره رائدا من رواد الاستقلال وزعيما وطنيا لا يرقى الشك الى وطنيته واختطافه على هذه الصورة أمر يقلق الأحرار في كل مكان ويقلق المناضلين من أجل الحريــة والحق وسيكلف القائمين به غالي الاثمان .

استقلال روديسيا

اعلن خلال شهر تشرين الثاني استقلال روديسيا ، وليس أمرا عجبا أن يعلن استقلال بلد مثل روديسيا ارتبطت بالاستعمار البريطاني في افريقيا ولكن العجب أن يعلن هذا الاستقلال من قبل الاقلية البيضاء الذين ينتمون الى الاصل الانكليزي ليفرضوا سيطرتهم على سكان البــلاد الاصليين من الافريقيين الذين يكونون الغالبية العظمى من سكان روديسيا .

ان بريطانيا مهدت مثل هذه الجريمة النكراء وحين وقعت الجريمة لم تحرك ساكنا، صحيح ان بريطانيا أعلنت بعض العقوبات الاقتصادية ضد حكومة ايان اسمث الروديسية ، الا ان طابع الجدية وايقاف هذه الحكومة عند حدها لم يكن بالطابع المميز لسياسة بريطانيا ولذلك فان قيام الاقلية البيضاء بفرض سيطرتها هو تغيير لشكل الاستعمار الذي كان فبدلا من أن تحكم بريطانيا ، يحكم رعاياها الان ·

ان عمل بريطانيا في روديسيا يشبه عملها في فلسطين عندما سلمت فلسطين للاقليـــة الاسرائيلية ومهـــدت لذلك طوال سنوات ·· وسلمت روديسيا لرعاياها البيض وهم الاقلية ليحكموا الاكثرية السوداء ·

ان عالم اليوم غير عالم الأمس وستعمل شعوب افريقيا على كشف ألاعيب الاستعمار وستفوت على بريطانيا ألاعيبها الاستعمارية وتقضي على الاستعمار في شكله الجديد ·

